
عبد الكريم غلاب
رجاء النقاش
محمد إبراهيم الشوش

الذي مضى

الدكتور محمد إبراهيم الشوش

انسان الخليج بين قيم الماضي وتحديات العصر

- كان الخليج يعيش في اعقاب تجربة مريرة لها نفس الملامح
- كيف استغلت اجهزة الدعاية الصهيونية كرمنا ومجاملاتنا
- عينان تبرقان صناعة خادعة ووجه يحمل كل مظاهر الزيف



المصادفة التعسة

لم تكن موفقة حين اختارت الطرق التي اختارت للشروع في كتابها عن مجتمع قطر وتجربته الفريدة ، ولم يكن لها في الامر حيلة ، كانت مجرد صدفة زمنية تعسة الحظ لا يد لها فيها من قريب او بعيد ، فقد كان الخليج كله حينذاك يعيش في اعقاب تجربة مريرة تحمل نفس الملامح وان تغيرت الصورة ، وهناك فقد استغلت اجهزة الدعاية الصهيونية القبيحة سماحتنا وكرمنا الاسطوري ومجاملتنا للضيف والانفتاح على العالم ورغبتنا الملحة لكي يعرفنا الناس على حقيقتنا ، وخلو سجلاتنا الاعلامية في مكاتبنا في الداخل والخارج من قوائم العدو والصديق والطامع فينا والمتربص بنا ، وخاصة ما تعلق الامر بالاجانب الزرق العيون ، فارسلت الينا ربيبة دعاياتهم صحفية يهودية مغمورة تدعى لندا بلانفورد لا تملك اي قدر من الذكاء او الخبرة سوى انها فتاة صغيرة السن ، جاءت الينا سلاحها شعر اسود ينسدل على الكتفين في عفوية مصطنعة ، وعينان واسعتان تبرقان سذاجة خادعة ، ووجه يحمل كل مظاهر الزيف ، لتقول في براءة لاناس عرف عنهم اكـرام الضيف وقراه ، انها ترغب في المجيء الى بلادنا بقلب مفتوح لتحاول تغيير الصورة المشوهة عن العربي عامة والخليجي خاصة التي رسختها الدعايات المغرضة ، والجهل في اذهان الغرب .

لم تكن عالمة اجتماعية معروفة ، ولم تكن كاتبـة ذات صيت في اي مجال من مجالات التأليف الاكاديمي او الصحفي او الاعلامي، بل لم يعرف عنها انها كتبت كتابا طول حياتها . ومع ذلك صدقناها من شدة تلهفنا لكي يحبنا الناس في الغرب ... وفتحنا لها ـ هكذا وبكل بساطة ـ جميع الابواب حتى تلك المؤدية الى حرماتنا . وبالبساطة التي مددنا لها يدنا ، عضت اليد التي امتدت اليها ... تلقفها الكرم العربي الاصيل ، واستقبلت استقبالا لم يتح لكبار كتابنا وعلمائنا ورجال اعلامنا الذين افنوا زهرة شبابهم في خدمة القلم الناكر للجميل . وفتحت لها ابواب طالما دقتها ايد مخلصة وقادرة فلم تستجب الا في حذر وضيق .

وعادت لندا بلانفورد لتؤدي الدور الذي اريد لها ان تلعبه : لتركز وتؤيد من وحي تجارب مفتعلة الصورة القبيحة للعربي وللخليجي الفاحش الثراء التي ما فتئت اجهزة الاعلام الصهيوني تعمل على ترسيخها في اذهان الانسان الغربي عن طريق عملائها المباشرين وغير المباشرين ، وبدعم نموذج رديء محسوب علينا لا يعتد به ، مستغلة في ذلك المقالات المسمومة والاخبار الملفقة ، والرسومات الهازلة الهازئة التي ظلت تتردد في الصحف الغربية بمناسبة وبغير مناسبة .

لم تكن لندا بلانفورد مبتدعة هذا التهجم الاعلامي المسفر بنا وبتراثنا ونمط حياتنا وتفكيرنا واهتماماتنا ومعتقداتنا ، بل لم يكن الذي كتبته من وحي زيارتها المخططة المعدة لها بحساب دقيق ، الا تجميعا لهذه المقالات الملفقة ، التي ظلت تكررها الصحافة واجهزة الاعلام الغربي في رتابة مملة .

التأليف الرسمي

هذا النوع من الكتابة التهجمية كانت تقابله كتابة من نوع آخر تصدر عنا وباسمنا يفترض ان تكون حملات دعائية اعلامية دورية مدفوعة الثمن باهظة تصدر حسب متطلبات الموازنات الرسمية السنوية . كتابة خير منها التجاهل والصمت في اوراق مصقولة تتخللها صور ملونة تاتي في النص بلا مناسبة وحسبما يتفق ، لبان وبئر خالية من الحياة ، ملها الناس من كثرة ما رأوا وهي تنتقل من كتاب الى كتاب ، ومن ملحق خاص الى ملحق خاص ، ومقالات وتعليقات مدفوعة الثمن مكافأة او مرتبا شهريا مضمونا ، تتحـدث عن انجازات مضى على بعضها زمان وزمان ، وما زال الحديث عنها يتكرر حتى اصبح من القوالب المحفوظة المحنطة ، يكتبها مؤلفون رسميون او صحفيون ساخرون ماجورون ، تخصصوا وتمرسوا في فن الدعاية الجافة مطمئنين الى ان الذي يكتبون لا يقرأه أحد .

الانسان والتجربة

بين تهجم المغرضين واطراء المنتفعين الرسميين وشبه الرسميين تاهت شخصية الانسان العربي والانسـان

الذي مضى

لم يكن من اهدافها ان تصور انسان الخليج ملاكا او شيطانا

الخليجي الذي اصبح فجاة محط اهتمام المتهجمين والمتسلقين تعبيطا لسماه او طمعا فيه .. اصبح مجرد نموذج ، او قالب محدد المواصفات . اما الانسان نفسه ، مشاعره ، احاسيسه ، اهتماماته ، طموحاته ، في خضم هذه التجربة الاخاذة من جحيم الحياة الصحراوية الجافة الى نعيم الذهب الاسود المتدفق خيرا ونعيما ، ومن حرمان البداوة ومعايشة حيواناتها الضارية وحشراتها المميتة الى حياة التحضر الغربي بكل ما تحتويه من وسائل عصرية وامكانات مادية تفوق الوصف : من بيت مريح وسيارة وثلاجة ومكيف وتلفزيون ، ومن حياة يغوص فيها الناس شتات الاقدام يبتلعهم فيها اليم والحوت بحثا وراء الرزق الشحيح الى حياة مستقرة ورزق مضمون ، ومن قيم البداوة العميقة الى منطق الربح والجشع وضغوط الحياة العصرية والجري اللاهث وراء المال ومزيد منه :

هذا الانسان ؟

كيف تصدى لهذه التجربة الفريدة ؟

ما تاثير هذه النقلة الفجائية من عصر الى عصر ومن زمن الى زمن ومن حال الى حال في حياته الاسرية والاجتماعية والنفسية والمادية والروحية ؟

لم يكن هذا الانسان مصدر اي من الكتابات المعقول منها والمدسوس ، لان وجهه يبرز فيها مجرد لافتة ، مجرد قالب جامد ، مجرد برميل نفط ، مجرد بنك متحرك يتسرب المال من بين يديه بلا تقدير وبلا حساب سوى حساب اهوائه ومزاجه ، او مبنى عصري باهظ التكاليف في معرض الحديث عن الانجازات . اما الانسان بلحمه ودمه وقلبه ومشاعره في خضم هذه الموجة العارمة التي قلفت به في سرعة مذهلة من غابر الازمان الى مستقبل الايام في سنوات قليلة معدودة ، فليس مما يدخل في حساب الكتاب . لان الانسان ليس اساسا هدفا من اهداف كتاباتهم ، ولان الحديث عن الانسان وبخاصة في مهب هذه التجربة الفريدة ومن خارج التجربة صعب ومستحيل .

الانسان الذي خاض ويخوض هذه التجربة هو وحده القادر على الحديث عنها ، هو وحده القادر على استبطان مشاعره العميقة .

التعبير عن الذات

وعندما جاءت هلقا جراهام قبل اكثر من عام تتابط مسجلا صغيرا ودفترا ـ لا تحمل وراءها اي الباعث على حسن نية او تجربة في التاليف ـ لتقول في بساطة انها تريد لاصحاب التجربة ان يتحدثوا عنها ، لم تكن الاذهان مهيئة ، ولم تكن الوجوه مقبلة ، ولم تكن الآذان مصغية . كان مجرد الحديث عن تجربة الخليج والكتابة عنها امرا بالغ الحساسية والتوتر . كانت تجربة لندا بلانفورد ماثلة للاذهان ، وكانت هلقا مثلها فتاة في مقتبل العمر لها عينان واسعتان ذكيتان ، واصرار عنيد ، ولقة لا حد لها ، وجدية ترقص معها ان تستغل انوثتها باي قدر كان لتحقيق غرضها ، او ان تكون حقيقة انها امراة اي دور في الذي كانت تريد ان تصل اليه .

كانت حين رايتها اول مرة ، وهي تجادل المسئولين وتناقش في ضراوة حول شروط كتابها الرتقب ، ثم وهي تحدد مواعيد لقاءاتها مع النماذج التي اختارتها ، ثم وهي تدير دفة الحديث وتلقي نظرة اشفاق بين الحين والآخر الى آلة التسجيل التي معها لتتاكد من التقاطها لما يقال ، كانت تتصرف بعقل محدد الهدف لا يحيد عنه كما لو كانت قد تركت انوثتها معلقة بالغبة والقناع في مستشفى تقيم ، وشدت رحلها الى الصحراء . وربما كان ذلك بفعل تاثير الدم الجرماني الذي يجري في عروقها ، او ربما لانها ادركت بالتجارب السابقة او البصيرة او الغريزة ، انه في بلاد العواطف المتاججة يحسن الابتعاد عن الخلط والاختلاط .

لم تقل انها تريد ان تدرس المجتمع وتكتب عنه بعد نظرة خارجية سطحية تمتد الى بضعة اشهر ، لم تقل انها من موقع حكمة خالدة تدعيها لنفسها ، ستقف موقف الحكم الذي يصف من بعيد ويصدر الاحكام . ولم تقل كما قالت لندا بلانفورد من قبلها انها تريد ان تغير الصورة المشوهة للعربي في اذهان القارئ الغربي .

لم يكن من اهدافها ان تصور الانسان العربي الخليجي ملاكا او شيطانا وانما ارادت له ان يرسم

الحرية الفردية والتصرفات الخاصة ليست من سمات مجتمعاتنا

الحديث عن الذات في مجتمعنا يستحيل ان يكون صادقا

ملامح شخصيته بنفسه ومن وحي ذكرياته وتجاربه دون تدخل او ايعاز . وهذا هو بالضبط ما فعلته ... تركت له ان يتحدث في عفوية عن نفسه ، وكانت النتيجة تجربة ادبية فريدة لا اعرف لها مثيلا .

والحديث عن الذات ليس سهلا كما يبدو للوهلة الاولى ، ذلك لان استبطان الذات عمل فردي نفكر فيه حين نأوى الى انفسنا ، ونصوغه في داخلنا في تأن وجهد حتى يبلغ درجة التكامل ، ويخرج من حيز الشعور الداخلي الى كيان فكري يمكن التعبير الشفهي عنه بالكلمات . ونحن كعرب نعيش في اغلب الاحيان حياتنا كما تأتي ، لا نفكر في اجزائها كلا ، ثم اننا نعيش حياة جماعية لا فرصة فيها للتوقف والتأمل واستبطان دخيلة انفسنا .

والحديث عن الذات صعب ايضا لان القدرة على صياغة مشاعرنا الحقيقية في كلمات معبرة هي في الاساس قدرة خلق وابداع لا تتيسر الا لنفر قليل من البشر . فالناس جميعا يعيشون حياتهم ولكن تظل قلة قليلة منهم هي القادرة على التعبير عن هذه الحياة وهي بعد كل ، ملكة الشعراء والكتاب عبر القرون .

ونحن ايضا قوم مجاملون الى ابعد حدود المجاملة نحب ان نقول الذي يرضي جليسنا ، او الذي يتوقع ان يسمعه منا لا الذي نشعر به حقيقة وواقعا ، لاننا نعتبر ذلك مظهرا من مظاهر الضيافة والكرم ومجاملة الجليس والتبسط معه في الحديث .

ولاننا بحكم حياتنا الجماعية وطبيعتنا الشرقية ، نكره ان نشذ عن المجتمع من حولنا ، او يعرف عنا الشذوذ عنه ، ولهذا فان فرديتنا منصهرة في بوتقة الحياة العامة في المجتمع من حولنا ، تحكمنا نفس الاعراف والتقاليد . ولا نريد لمجتمعنا ان يعرف ان لنا تصرفات او مشاعر او طموحات غير المألوفة لديه او التي يرضى عنها . فاذا تحدثنا عن تصرفاتنا او ذكرياتنا او طموحاتنا او مشاعرنا ، حرصنا حرصا كاملا ان يكون ذلك في الاطار الذي يرضى عنه المجتمع،



وتغيير كل شيء يمكن ان يظهرنا بغير المظهر الذي يريد أهلنا ومجتمعنا ان نكون عليه . ان الحرية الفردية، والتصرفات الخاصة ليست قطعا من سمات مجتمعاتنا .. المجتمع يتدخل في كل شيء حتى فيما يتعلق بانفسنا وازواجنا واطفالنا .. ولهذا فان اي حديث عن الذات في مجتمعنا يصعب ويستحيل في كثير من الاحيان ان يكون صادقا كل الصدق .

وكان يمكن الوصول الى الحقيقة اذا كان في الامكان ان تختفي ملامح الشخص المتحدث الينا ، او اذا كان في الامكان ان يكون المتحدث مجهولا لدى القارىء ،



تسمع صوته دون ان تكشف ملامح وجهه ، ولكن ذلك يستحيل في مجتمع مترابط صغير يكاد يعرف كل شخص فيه الشخص الآخر بكل تفاصيل حياته العامة والخاصة .

دور الرواد الاوائل

لهذا لم يكن نجاح هذه التجربة بالامر الهين اليسير بل ان مجرد اكمالها على اية صورة يقرب أن يكون معجزة ، ذلك لان الذين تعاقبوا الحديث عن ذكرياتهم وتجاربهم في صراحة وفي بساطة وبلا تعقيد ولا مواربة،



ليسوا اناسا من عامة الناس وانما هم صفوة المجتمع وقادته ورواده الاوائل · من بينهم اول طبيب واول صحفي واول مدير ، واول سكرتيرة واول مذيعة للتلفزيونية واول من انشأ دارا صحفية ، واول مهندس الى آخر القائمة ، وجلهم لم يتعد الاربعين بعد وبعضهم دون الثلاثين ·

انهم ابناء الجيل الذي كتب عليه ان يمر بتجارب شخصية مذهلة حملت بعضهم عبر عصر البداوة في صحراء جرداء متجولا مرتحلا كرحل عالمة دائم الخوف والتوجس من وحش كاسر او عدو مغير او نائما في خيام الصوف جائعا لا طعام له سوى الحليب والتمر الا تيسر الحال ·

وعصر اللؤلؤ ابا واخوانا واخوة غاصوا في اعماق بحر مليء بمخاطر الغرق والقرش والذئب البحري والبريور والسمك السام وغدر الامواج وشفقة الاهل والعشيرة ينتظرون البحر بعيون اعياها الانتظار والقلق اياما واشهرا ·

وعصر النزوح حين كسدت تجارة اللؤلؤ غريبا يضرب في ارض السعودية والبحرين ، باحثا عن وسيلة للعيش بعد ان سلبت مناقله ·

وعصر العمل في شركات النفط اجيرا مستغلا يحمل فوق كتفه جوالات الاسمنت وصناديق الحديد ويسير عشرات الاميال فوق ارض قائظة لقاء بضع روبيات لا تقيم اودا ولا تملأ بطنا ·

واخيرا عصر تدفق النفط والرخاء ، مسئولا في مركز القيادة المرموق يامر ويطاع ويمنح ويمنع ، او تاجرا يتنقل بين البلاد يوقع العقود بالملايين ويجول بلاد الهند والسند ليشترى اللؤلؤ الذي جهد ليحصل عليه واضطر من قبل لبيعه ·

انه الجيل الذي لم يكتب عليه فقط ان يتكيف نفسيا وروحيا وماديا واجتماعيا لهذه التطورات المذهلة ، وانما عليه ان يقود دفة مجتمع كامل لا يمر بمراحل سريعة فقط ، وانما يعبرها فوق صاروخ عابر للازمان ·

ابناء هذا الجيل هم الذين وقع على عاتقهم ان يقوموا ويكثير من الحنكة والصبر بتدريب مواطنيهم ومرؤوسيهم على الانتقال من حياة بدوية بسيطة تسيطر فيها

المعاملات الاجتماعية والاسرية على كل اعتبار اخر ، ولا يلعب فيها التخطيط وتقدير الزمن ، والمواظبة والاستمرارية دورا ، الى حياة دولة عصرية تحتاج الى الانضباط والمواظبة والتفكير العلمي العملي واللامركزية الادارية في المكاتب والمعامل · وان يعملوا على تغيير عدد من المفاهيم التقليدية البدوية التي لم تعد تماشى العصر كاحتقار العمل اليدوي والزراعي وكافة انواع الحرف وكل تجارة عدا تجارة اللؤلؤ ، والتي تعتمد على مقاييس عصور غابرة في تحديد مقاييس الشرف وحسن التصرف والتي تعوق مسيرة التقدم وتركز مظاهر النفاق وازدواجية الفعل والقول ، وازدواجية التصرف الاخلاقي في الداخل والخارج ··· وقع على عاتقهم القيام بهذا الدور لا بالامر والنهي ورفع العصى ولكن بالقدوة والادراك الواعي لطبيعة مجتمعهم ·

ضياع القيم

انهم يدركون كم كان القدر بهم رفيقا حين بدل بؤسهم نعيما ، وشقاءهم راحة ، وفقرهم غنى ، لكنهم يدركون في الوقت ذاته ان الحياة قد جبلت على المقايضة ، واننا في مقابل كل ما نتلقاه نفقد شيئا ما ·

مع ضياع شقاء البادية يضيع ايضا الكثير من قيمها الغرة ، الحقيقية منها والمتخيلة ، كالكرم وقرى الضيف وحسن الجوار والولاء للرفاق والايثار والمروءة والتواضع وتوقير الكبير وطاعة الوالدين الطاعة العمياء ، والانصياع الكامل لاعراف القبيلة ونمطها السلوكي مهما تعارض مع رغبات الفرد وافكاره ومصالحه ·

ومع نشوء المدينة يختلط النائي والقريب وتطل بوجهها انماط سلوكية جديدة دخيلة على الحياة كما الثلاجة والسيارة والمنزل والمكيف ·

ومع تدفق الثراء تاتي مجاهل الطمع والجشع والانانية وحب المال نابعة من داخل انفسنا واتية من خارجنا ·

حين نكسب عالما جديدا نفقد عالما قديما الفناه

وكما للفقر مشاكله للثراء ايضا مشاكله .

لم يذهب الحنين الى قيم الماضي وذكرياته باحد منهم الى ان يفضل العودة الى شقائه وحرمانه ، او يبلغ النفاق باحدهم ان يرفض نعم الحاضر . ولكن ما من أحد غاب عليه اننا حين نكسب عالما جديدا نفقد بنفس القدر عالما قديما الفناه .

بين الأمس واليوم

يقول سعيد ، الرجل الذى خبر البحر وعالك الامواج وكانت له مع الاهوال والمخاطر حكايات :

ـ عانينا في الماضى الكثير مع الصعوبات وجابهتنا المخاطر . في الماضي كان البحر بكل مخاطره ومجازفاته الملاذ الوحيد لا ملاذ سواه ، وكان الناس يجهدون منذ الفجر وحتى غروب الشمس ليحصلوا على حفنة تمر وجرعة ماء .

ولكن الحياة الان اسهل . تتحرك بالسيارات المكيفة ونسكن المنازل المريحة ، ونملك الثلاجات والمكيفات والماء البارد . في الماضى كنا في رمضان نصوم لمدة سبع عشر ساعة في الصيف ثم نشرب ماءا ساخنا عند الافطار .

والان لك الحمد يارب نفطر بالماء البارد ونصوم تحت الهواء البارد ونحصل على النعم في كل الاوقات .

ومع كل ذلك كان شباب الامس افضل من شباب اليوم كان قويا صحيح البدن كان باستطاعتنا ان نغوص في البحر ساعات طويلة لا يقدر على مثلها شباب اليوم ... كان جيل الماضي اكثر رجولة واكثر شجاعة وكرما ومروءة ... الناس اليوم لا هم لهم غير المال وجمعه كان جيل الماضى مختلفا كان اكثر اهتماما بالشرف والنخوة والناس اليوم يتساوون ويتشابهون في البخل والانانية اكانوا يملكون ريالا واحدا او مليون ريال !

هدوء البال

كانت الحياة شاقة حقا لكن الناس كانوا اهدا بالا جادتهم الحياة المعاصرة براحة البدن وذهبت براحة العقل :

يقول شاكر الغور :

ـ في الحاضر تحسنت أحوالنا المادية الناس الان مرتاحون ولكن عقولهم ليست كذلك .. عندما كنت صغيرا كان الذى يملك عشرة روبيات يحس كما لو كان ملكا متوجا يشترى لنفسه أرزا وبلحا وقهوة ويخرج الى الصحراء يقطع الشجر ويجلب الماء من البئر لا يحتاج الى تصفيته ويقطف الفاكهة من الشجر ... كان سعيدا لم يكن يسال ولم يكن يحتاج جوابا .

كان ابى يرحمه الله شاعرا ومحدثا لبقا وكان يحب الاختلاط بالناس . في ذلك الوقت كان القطريون وأبناء الخليج عامة طيبى القلب لم يكن هنالك ما يشغل بالهم لم تكن هناك تيارات وعقود تجارية وعندما يعودون من البحر يتزاورون في المنازل يشربون القهوة ويتحدثون عن صيد الصقور ونوادر الغوص وحكايات الشعراء الشعبيين والصحراء والبحر .



المدينة والفراغ

وحياة المدينة بكل ما تملكه من خدمات وتسهيلات ورفاهية مادية تظل دائما للذى وجد نفسه فيها بين يوم وليلة حياة مملة ضجرة خالية من كل مظاهر المرح .

الذي مضى

يعرف ذلك الذين استقروا بعد تجوال وتجمعوا بعد تفرقة في مجمعات سكنية توفر لها كل مظاهر الحياة المتمدينة من مياه وكهرباء وصحة ، ومع ذلك يشعرون بالفراغ القاتل والملل وما بالخبز وحده كما يقولون يحيا الانسان .

يقول لنا أحد الذين ساهموا في تجربة استقرار الرحل :

ـ ان البدوي السابق يشعر بالملل في حياته الجديدة ، مساكنهم جيدة توفرت لها كل الخدمات ولكنها تمنحهم الاحساس بانهم يعيشون في معسكر خال من كل مظاهر الترويح التي يعرفون . لهذا فهم يضجون بالحياة ويملونها وينتهزون كل فرصة للخروج الى الصحراء حيث التماؤهم الحقيقي هناك يتفرقون في قراهم الاصلية ينصبون الخيام ويسترجعون الذكريات .

المال هو الغاية

حتى رجل الاعمال ، الابن الطبيعي لحياة الرخاء الجديدة يحس بضياع عالم اثير لديه :

ـ لست ادعو الى العودة الى حياة البادية فذلك الآن في عداد المستحيل ، لكن لو كان لي الخيار لفضلت العودة اليها . لست ادري لماذا ؟ ربما لان الناس كانوا يعيشون ويتعاملون كبشر ، ويستمتعون بحياتهم على بساطتها .. لم يكن الناس كما هو الحال الآن يلهثون الليل والنهار لجمع المال . لقد اصبح المال هو الذي يسيطر على حياتنا . كل واحد منا يريد أن يلحق بالآخر . جمع المال لا الاستمتاع به هو الغاية والمبتغى .

في الماضي كان الناس يعيشون في حضن الطبيعة ويستمتعون بها ، كنا نسكن على الشاطئ ، وكان منظر البحر جميلا اخاذا . كنا نسبح ونصطاد السمك ونسمر سمرا بريئا تحت ضوء القمر .

لقد عرفت الفقر وعرفت الغنى ولا اعتقد ان الانسان يحتاج للكثير ليكون سعيدا .

اننا نجهد لنلحق بركب الحضارة الغربية ، ولكن انظري ماذا حدث لعلاقاتهم الانسانية ؟ ربما كان حتما ان نصل الى ما وصلوا اليه وهذا شيء محزن حقا .

وهذا ما عبر عنه احد قادة المجتمع من كبار موظفي الدولة حين قال :

ـ بالنسبة للجيل الماضي كانت العلاقات الانسانية هي كل شيء ، والآن تغير الوضع .

اصبح مجتمعنا يتبنى نفس خصائص المجتمعات الاوروبية . ايقاع الحياة سريع سريع ، والناس يلهثون وراء المال المال المال .. هذا كل ما يشغل بالهم .

العلاقات الانسانية

شيوع العلاقات الانسانية الآن هو الشغل الشاغل والهم الاكبر للمتحدثين جميعا . يقول احد الصفوة :

ـ لقد عشت طفولة سعيدة انعم بحب اسرتي ، كانت الحياة بسيطة غير معقدة ، وكان الناس بسطاء يمنحون حبهم بلا حدود . ليت اطفالي يجدون بعض هذا الحنان الآن .

وتقول احدى المثقفات :

ـ لن افعل شيئا لا توافق عليه اسرتي او والدي ، ان اهم شيء في حياتنا وفي تكويننا الحضاري هو اننا لا نستطيع ان نعيش بلا اسرنا ، او خارج مجتمعنا ، اريد لابنائي ان يترعرعوا وسط اعمامهم واخوالهم ، واريد لامي ان ترعاني حين اضع مولودي . انت لا تدرين كما هي سعيدة من اجلي ومن اجل طفلي المرتقب . انها سعادة لا استطيع ان اعيش بدونها .

متعة الحياة

كان الناس يستمتعون بالحياة والطبيعة والاشياء من حولهم استمتاعا لا يدخل فيه حساب الربح والخسارة .

يقول سعيد ، وهو يسترجع ذكرياته مع البحر :

ـ عندما انظر الى البحر احس بحنين جامح

ايقاع الحياة سريع والناس يلهثون وراء المال

اليه لقد عشنا مع البحر منذ نعومة اظفارنا وكبرنا معه ولهذا كان من الطبيعي ان نحس نحوه بهذه العاطفة .

واللؤلؤ بالنسبة له ولجيله لم يكن مجرد سلعة للبيع والشراء :

ـ احس بالراحة النفسية حين انظر الى اللؤلؤ ، كيف يمكن لاى انسان ان ينظر الى اللؤلؤ ولا يغمره احساس بالسعادة أكان به خبيرا ام لم يكن ؟

حتى تاجر المجوهرات الثرى والذى عاصر عصر اللؤلؤ يافعا وتعامل فيه كبيرا لا يعنى له مجرد صفقة تجارية مربحة :

ـ انا شخصيا احس بميل عاطفى نحو اللؤلؤ انى اعتبره جزءا من حياتى ، وعندما اكون حزينا او متعبا ، اخرج اللؤلؤ من خزائنى وانظر اليه وانسى نفسى تماما - وفى اذنى تتردد اغانى الغوص واسمع هدير الامواج ويتنابنى احساس طاغ بسعادة لا استطيع ان اصفها لك .

مخاطر النقلة المفاجئة

واذا كان للرفاهية الاجتماعية ثمنها وللنقلة المفاجئة ضحاياها ، فان الجيل الناشىء الآن من دون العشرين ، هو الذى تنعكس فيه حقا كل مظاهر الخطر ، ذلك لان الجيل الذى يقود دفة الامور الآن ، ظل قريبا بروحه من قيم الماضى وكانت النقلة سريعة مباغتة بصورة لم تستطع معها ان تنفذ الى وجدانه او تغير من اسلوب حياته وتفكيره .

يقول احد اعمدة المجتمع من الذين عايشوا التغيير من اوله وقدر لهم ان يمتلكوا المنصب والجاه :

ـ مازلت نفس الشخص ، كل الذى تغير بالنسبة لى اثاث منزلى واسلوب طعامى ونوعه ، اما شخصيتى فلم تتغير ، صحيح اننى اصبحت اكثر تحررا من السابق بحكم رحلاتى فى العالم واحتكاكى بالحضارات المختلفة ، لكن المال لم يؤثر فى شخصيتى ، انه بالنسبة لى ليس اكثر من مجرد وسيلة لتحسين اسلوب معيشتى المادية . اعرف ان الكثيرين يقولون بان المال يوفر للانسان كل ما يريد ولكننى لا اعتقد ذلك .

ولانه جيل عصامى خبر حياة الفاقة ، وتغلب بجهده وعرقه عليها لم تبطره حياة الرفاهية او تحيله الى عاطل يستمتع بالحياة وهو مستلق على قفاه :

عن عمله اليومى يقول احد اصحاب الملايين :

ـ اننا نعمل بين عشر ساعات واربع عشرساعة فى اليوم انه عمل شاق مضن ولكنى استمتع به .

احس باننى استطيع ان اعمل اكثر مما اعمل ، وبرغم ان الله قد منحنى الثراء الذى لا يحوجنى الى العمل او بذل الجهد فاننى ادرك اننى لو توقفت عن العمل لانتهيت كانسان .

وحين اتوقف عن العمل يقتلنى السأم والضجر .

الفجوة الزمنية

لكن الفجوة الزمنية والشعورية بين هذا الجيل العصامى والجيل الصاعد من دون العشرين كبيرة . عن ذلك يعبر احد القياديين :

ـ هناك فجوة زمنية بين الجيل الذى سبقنا

الذي مضى

والجيل الذي يأتي بعدنا ـ ان الجيل الذي يمر بفترة المراهقة الآن يتعرض للمؤثرات السينمائية والتلفزيونية وقد ولد وتربى في حضن الرخاء ، يأتيه المال هينا سهلا يمتلكون السيارات الخاصة بهم ويحيطون انفسهم بما يريدون : التلفزيون الخاص والاستريو والمسجل

يشترونه كما يشتري الاطفال علب البسكويت ـ انهم يعيشون واصحابهم في عالم خاص بهم ، لا يستهويهم حديث مجالس ابائهم او اهتماماتهم، حديثهم ينصرف الى اخر احداث سباق مونت كارلو للسيارات واخر افلام السينما والتلفزيون واخر اخبار النجوم وابطال الرياضة .

الامر بالنسبة لجيلنا يختلف نحن أبناء اباؤنا عرفنا وخبرنا كما عانوا ، وكم ذاقوا من فقر واهوال للحصول على ضرورات الحياة . لهذا فنحن نقدر اليسر الذي نعيشه ، اما جيل اليوم فانه يعتبر نعيمه امرا مقيما وطبيعيا . عن هذه الفجوة تتحدث احدى المثقفات :

ـ احس بان الفجوة واسعة بين جيلنا والجيل التالي .. كنا نطيع اسرنا ونعاملها معاملة كاملة دون سؤال والآن تبرز مظاهر التعالي والرفض عند هذا الجيل ... كنا في الماضي اذا دخل والدنا الحجرة أسرعنا الى اغلاق الراديو احتراما له ، لكن اخوتي الآن لا يجدن حرجا في الرقص والغناء في حضرته .

الصراع والابداع

ان أبرز ما يفتقده هذا الجيل التالي، عنصر الصراع الذي يصقل الشخصية ويشحذ الهمة :



يقول اول من انشا دارا صحفية في البلاد بصراعه وجهده الشخصي :

ـ ان الصراع هو اكسير الحياة . وهو ما يفتقده الجيل الصاعد ، لقد عانيت كثيرا حتى أحقق حلمي لاكون صحفيا ... ولقد عانيت وكافحت حتى وصلت الى ما وصلت اليه ... ولكن الجيل التالي يجد كل شيء ممهدا أمامه ، لا يحتاج الى اعمال الفكر او الخيال تنتظره بمجرد تخرجه الوظيفة المضمونة والفيلا والارض لا يكد في ذلك ولا يجهد ، لم يعد هنالك صراع لكن الصراع هو الذي يوقد نار الابداع والخلق منه انبثق كل الذي نراه اليوم من تعليم واستقرار ورخاء وتقدم .

الفراغ الروحي

ولعل ابلغ صورة لحياة الضجر والملل والفراغ الروحي الرهيب التي يعيشها هذا الجيل مع كل امكاناته المادية ما عبر عنه في صراحة تامة طالب الثانية عشرة من عمره :

ـ تعودت الذهاب الى المدرسة ، ولكن ليس كل يوم ... عندما اكون مرهقا بعد سهرة طويلة افضل الاستمرار في النوم ... والدي يغضب لذلك ... واحيانا يهددني ... ولكني

اتوعده بالهروب من المنزل فيتركني لحالي ... احيانا لا اجد من أصحبه الى الصحراء لان بقية الزملاء في المدرسة او يمنعهم شاغل اخر ... احيانا اقف في الشارع واتفرج على المارة ..

وفي الظهر والمساء اجلس مع اصحابي نشاهد التلفزيون أو نتقابل في معصرة للفواكة .

وعندما اشعر بالملل اتجول بسيارتي او اذهب للصيد في الصحراء وكثيرا ما أشعر بالضجر فاخرج بسيارتي ليلا واتجول في الشوارع طول الليل وحتى مطلع الفجر ... امي لا تحب ذلك وقد حاولت منعي مرارا ، ولكن لا زلت افعل ذلك .

حرية وحرمان

وليس الحال كذلك بالنسبة لفتاة هذا الجيل ، فوضع الفتاة يختلف تماما أكانت امرأة الجيل الماضي او الحاضر ، او فتاة صغيرة من بنات هذا الجيل . انها بالطبع لا تستطيع ان تتجول بسيارتها او تذهب الى الصيد او تجلس مع صديقاتها في معاصر الفواكة ..



بل على العكس من ذلك تماما جاءتها الرفاهية ومتطلبات المدينة العصرية بقيود لم تكن تعرفها جدتها في البادية ، والتي كانت تنعم بحرية أكبر في العمل والتنقل مما يتاح للفتاة المدينة المتنعمة برغم معرفتها التامة لآخر موديلات الجواهر في لندن وباريس .

تقول احدى رائدات العلم :

– الفتاة لا تملك حتى واحد في المائة من الحرية التي يتمتع بها زميلها الشاب هنا وفي الخارج ... هنالك قواعد صارمة تحكم تصرفات الفتاة وتحركاتها ، بينما لا تخضع تصرفات الشاب لقيود تذكر. القانون الذي يحكم الفتاة مختلف تماما . ان الرجال يحتقرون النساء بصورة لا افهمها . يسمح للرجل بكل شيء وتحرم المرأة من كل شيء . الرجل هو القوي المانع الذي يملك السلطة وحرية الحركة ولا تستطيع حتى زوجته ان تسأله . وفي اعتقادي ان ثلاث ارباع المشاكل التي تعاني منها المرأة تنبع من ان الرجل لا يقدرها ولا يحترم مشاعرها .

وكما ان الهوة سحيقة بين شباب اليوم وجيل الأمس فهي كذلك أيضا بالنسبة للجنسين من نفس الجيل . هكذا تبدو الصورة من وجهة نظر فتاة متعلمة :

– ان مقابلة أية فتاة لشاب ولو كان لقاءا بريئا عابرا تكفي لتسويد سمعتها . اننا نتحمل كل اللوم لمجرد كلمة خبيثة تشاع عنا ... مستقبلنا كله يمكن أن يتحطم وشرف أهلنا وعشيرتنا يمكن ان يخدش ويهان لمجرد اتهام حتى ولو كان باطلا . لهذا فنحن نحاول ان ننأى بأنفسنا الى داخل أنفسنا حتى لا يبلغ عنا اي شيء . ولهذا فنحن لا نعرف الشباب ولا نعرف فيم وكيف يفكر ، وهم بدورهم لا يعرفون عنا شيئا ... المجتمع اقوى منا نحن الاثنين .

ويرجع أحد المثقفين هذه التفرقة الى العرف الاجتماعي :

– ان التفرقة في تقدير تصرفات الرجال وتصرفات النساء تستند الى العرف الاجتماعي وليس الى الدين . فالاسلام لا يفرق في ارتكاب المحرمات بين النساء والرجال .

وضع غريب

هذه التفرقة في المعاملة خلقت وضعا غريبا لم يكن في الحسبان اشارت اليه المذيعة التلفزيونية .

– الفتيات هنا اكثر اطلاعا من الشباب وبخاصة فيما يتصل بالادب والفن والدراسات الاجتماعية والثقافية العامة وذلك لانهن اكثر تفرغا للاطلاع والمتابعة والتأمل ، فلاهن يتجولن في الاسواق ولاهن يذهبن الى النوادي وأماكن التجمعات ، وليس لهن ما يملأ فراغهن سوى قراءة الكتب والمجلات وسماع الراديو ومتابعة الاحداث . واكثر الذين يكتبون للراديو ويعلقون على البرامج من النساء .

وتؤكد احدى رائدات التعليم هذه الحقيقة بقولها :

– النساء في هذه البلاد يرغبن حقا في التقدم والعلم . ولا يقتصر ذلك على الطالبات الصغيرات بل يتعداه الى النساء المتزوجات والامهات اللائي فاتهن قطار التعليم ولحقن به وانخرطن في المدارس والمعاهد والجامعات . انني أجد النساء أكثر اهتماما بدراستهن واكثر حرصا على تحقيق النجاح .

احتمالات المستقبل

وبعد ، ماذا عن احتمالات المستقبل ؟...

الصفوة المتعلمة كلها وبلا استثناء تؤمن بحتمية التغيير ولكنها تخشى مغبة الطفرة ، وتريد للتغيير

ان يتم بالتدريج ودون احداث شرخ في المجتمع وفي اطار مخطط مدروس .

يقول أحد قادة المجتمع من المهندسين المثقفين :

ـ باسلوب العلم استطيع ان الخص الوضع بان اطار المجتمع قد تغير كلية . وسيمر بعض الوقت قبل ان نصل الى المعادلة الجديدة . ان التطور التكنولوجي الذي نسعى اليه او الذي يسعى الينا لابد ان تواكبه مفاهيم جديدة وتركيب اجتماعي جديد .

وعناصر التغيير المؤدية الى هذه المعادلة الجديدة تتعرض لضغوط كثيرة من كل جانب ، ولكن التغيير يحدث حتما وبرغم كل ذلك . ان مسئولية التغيير تقع على عاتق المثقفين ، وفي كل مجتمع يتحمل المثقفون والصفوة مسئوليتهم التي تحتاج قدرا كبيرا من الشجاعة الادبية ... ولكن المواجهة مع قوى المجتمع المحافظة تخلق مصاعب لا يرتضيها اي انسان واذا اردنا التغيير حقا ودون هزة او معارضة معوقة فلابد ان تكون حذرين الى ابعد غاية

وتقول المذيعة التلفزيونية :

ـ بعض الازواج يمنحون حرية كاملة لزوجاتهم بمجرد ان يبرهنوا انهم عصريون وانا لا احب ذلك . لا اريد للمرأة ان تكون لها الحرية المطلقة او ان تشجع للتخلي عن عاداتها وتقاليدها . بعض الناس لا يعرفون معنى الحرية . ان الحرية المطلقة بلا حدود ضارة بنا . انني اريد التطور والتغيير بالطبع ، ولكنني أريد ان يتم ذلك بحكمة بالغة ودون أن يجرح شعور جيل ابائنا او يسبب لهم الما . فالتغيير امر حساس ولا اريد له أن يتم بصورة سريعة مباغتة ، اريد للتغيير ان يحدث في اطار تقاليدنا وعاداتنا الموروثة .

التعليم والتغيير

وهنالك ايمان مطلق بان التعليم ومزيد من التعليم هو وحده القادر على احداث هذا التغيير ، واشهد انني بقدر ما قرأت لم أجد مثل هذا الايمان المطلق بقدرة التعليم على حل كل المشاكل ... وهي الكلمة التي ظلت تتردد على السنة كل المتكلمين :

في مجال عدم الاقتناع ببعض العادات البدوية يقول بدوي متعلم :

ـ انني متعلم ولهذا فانني افكر لنفسي .

وفي مجال المسئولية الزوجية تقول زوجة متعلمة :

ـ الرجل المتعلم اكثر تحملا للمسئولية العائلية .

وفي مجال التثقيف الذاتي تقول فتاة موظفة :

ـ عندما اتعلم شيئا جديدا احس بانني اطور نفسي وهذا يجعلني سعيدة .

وفي مجال المشاكل العائلية تقول ام متعلمة :

ـ عندما يكون الزوج متعلما يعمل على خلق التفاهم بين والدته وزوجته .

ويقول المسئول الكبير :

ـ ان اهم تغيير احدثه تدفق النفط في هذه البلاد هو التعليم كلما انتشر التعليم وكلما كثر عدد المتعلمين قلت المشاكل . انهم يصبحون اكثر انضباطا واكثر تعاونا واكثر الفة مع بعضهم البعض .

وعن دور العلم والتعليم في احداث التغيير المنشود يقول مسئول التعليم في منطقة الشمال :

ـ انني اعتقد ان التعليم اصبح بالنسبة لكل فرد هنا كالماء والهواء تماما . وعن طريق التعليم يحدث التغيير في المجتمع ... وانا اريد التغيير واعمل له .. اومن بان الامهات يجب ان يكن متعلمات وان يكون الشباب والرجال متعلمين لا انصاف متعلمين .. أريد أن أرى أبناء وطني أطباء ومهندسين وهذا هو الذي يغير المجتمع نحو الافضل . انني اومن بمجتمع متعلم يحقق التطور في اطار دينه وتقاليده وقيمه .

ويحدثنا بدوي مثقف عن اثر التعليم في تربيته يقول :

ـ كانت اسرتي تريدني ان اتعلم لاصبح موظفا ، ولكنني ادرك الآن انني تعلمت لاعرف مشاكل وطني واسهم في حلها .... التعليم هو الذي جعلني اعرف كيف اتعامل مع الآخرين

القدوة العظيمة التي تدين لها كل فتاة وامرأة في البلاد

وكيف احيا حياة هادئة ذات قيمة ... احس انني اكثر تحررا الآن .. كنت في الماضي أقضي كل وقتي مع العشيرة استقبل الضيوف ليلا ونهارا ولكني الآن استغل وقتي لنفسي وطني من طريق الدرس والتعليم والنشاط المتنوع .

وعن الذي خدم التعليم ووضع دعائمه وشق الاحساس به في البلاد المغفور له المرحوم الشيخ قاسم بن حمد . يقول الطبيب المواطن :

ـ عندما تولى مسئولية التعليم ، كان هنالك معارضون كثيرون للتعليم بعضهم كان يبني معارضته ـ خطأ وزورا ـ عن الدين . ولكنه قاوم بضراوة وبسببه بدأ التعليم عندنا في الخمسينات بدلا من الستينات . وكان يساند تعليم المرأة بوجه خاص في وجه معارضة صلبة .. وكل فتاة وامرأة في هذا البلد يجب أن تدرك كم هي مدينة للشيخ قاسم بن حمد .

على خطى هذه القدوة العظيمة لم يكن غريبا ان يقف بعد فترة من الزمن قاض شرعي ليناصر تعليم الزوجة في مواجهة اعتراض زوج رفض ان يسمح لها بمواصلة دراستها ...

هكذا تقص علينا حكايتها موظفة تعمل كاتبة باحدى الشركات :

ـ قال القاضي لزوجي السابق : انني لا استطيع أن امنعها من المدرسة لان تلك يتعارض ومصلحة البلاد ، ولو ايدتك في مسلك هذا ، لتبعك الآخرون وأغلقت المدارس من الطالبات ، وخلت البلاد من المواطنات المتعلمات الصالحات .

النفط والمستقبل

وطالما يعد نضوب النفط هذه الحقيقة القائمة التي ظلت تقبع في باطن عقل الجميع فتثير الطمع وعدم الاحساس بالاستقرار عند البعض وتثير الاشفاق عند البعض وتحفز قوى التفكير والابداع عند البعض الآخر .

بالنسبة للبدوي المتعلم ... الحل في منتهى البساطة :

ـ عندما ينضب النفط يمكن لاطفالي ان يعودوا الى حياة البداوة لانني سأترك لهم الجمال والاغنام والجياد . وقد دربتهم على ركوب الجياد والجمال ، وربيتهم على اكل البلح واللبن . ولست وحدي في ذلك فاغلب البدو الذين استقروا في المدن يربون ابناءهم على هذا النوع من المعيشة .

لكنه حل غير عملي وغير واقعي ... الحل العلمي الذي ظل يتردد على السنة الكثيرين والذي عبر عنه احمد تاجر المجوهرات هو التصنيع .

ـ ان منطقتنا تسير بخطى حثيثة نحو التصنيع ـ نحو التقدم حتى نلحق بركب الدول الصناعية المتقدمة وهذا هو منطق المستقبل .. سيكون حالنا احسن من الماضي .

الحل الامثل

ولكن يبقى الحل الامثل والواقعي هو الذي اشار اليه كبير موظفي الزراعة من موقع الالتزام الوطني المثقف :

الصفوة المثقفة هي الثراء الحقيقي في كل زمان ومكان

– سيأتي يوم ينضب فيه النفط ، ولكن يجب ان ننظر الى المنطقة العربية ككل .... هنالك بدائل اخرى للنفط مثل الطاقة الشمسية والطاقة النووية .. وهنالك مشروعات مشتركة يمكن ان يفكر فيها العرب منذ الآن • لدينا انهار يمكن الاستفادة القصوى منها • هنالك نهرا دجلة والفرات ، على دول المنطقة ان تفكر في استغلالهما بدلا من تضييع مياههما في البحر ، يمكن لهذه الانهار ان تتحول لري أراض في أمس الحاجة اليها ... سيكلفنا ذلك كثيرا • ولكن الاموال متوفرة حاليا ، واذا لم نشرع الآن سيكون من الصعب الشروع في المستقبل •

يجب ان نسعى منذ الآن للنتيج على الاقل الطعام الذي نستهلكه • ويمكن ايضا ان نبني الخزانات لحفظ مياه الامطار في بلاد كالسودان واليمن وغيرها من المناطق

في هذا الامر لا افكر في قطر او منطقة الخليج كجزيرة معزولة عن المنطقة العربية .. التي اخذ في الحسبان انه سوف يأتي يوم يتوحد فيه الوطن العربي • ربما في عام او عشر اعوام او مائة عام او حتى بعد الف عام ، لا احد يدري • ولكنه امل العرب ... وعلى هذا فان ما تملكه السعودية هو ملك العرب كلهم وما تملكه مصر في خدمة كل العرب ، وكذلك السودان بامكاناته الشاسعة ... هناك ثراء عظيم في السودان يعتبر ذخرا للعرب • والسودانيون لا يقولون ابدا ان الارض وخيراتها لهم وحدهم من دون العرب • ان العرب كلهم اخوة من المشرق والمغرب ... وليس هنالك خوف من المستقبل ما وضعوا امكاناتهم في خدمة الكل •

لا خوف

والشيء الذي يبرز واضحا بعد كل هذه الاقوال ، ان الحديث عن النفط ونضوبه لم يعد يلغي بال قطر والخليج والعرب انما يكمن في وجود هذه الصفوة المختارة وهي بعد الثراء الحقيقي في كل بلد وفي كل زمان ومكان •

د• محمد ابراهيم الشوش





العودة إلى الأصل

عرفت شعوب المغرب العربي بعمق انتمائها للعروبة رغم ما عانته من محن وكوارث على مدى مئات السنين من قبل الاستعمار الايطالي والفرنسي والبرتغالي ... وكانت عمق احاسيسها العربية هي التي حفظت لها وجهها العربي وصانت هويتها العربية ، كما استطاعت من خلال هذا الانتماء ، ان تذكي النزعة القومية والوطنية لدى شعوبها بالدفق والحماس اللازمين لخوض معارك التحرير التي شنتها ضد المحتلين ...

لقد استطاع الاستعمار ان يعثر (خدوشا) عميقا في اللهجات المحلية لدول المغرب بات من الصعب معه على شعوب دول المشرق ان تفهمها معكية ولكنه لم يستطع رغم ذلك ان يؤثر بنفس القدر في اللغة العربية الفصحى .. فقد احتفظت الفصحى بنقائها ورونقها في مجال التعامل الذي اعاد وشائج القربى بين شعوب المشرق وشعوب المغرب بعد ان تخلصت الاخيرة من ربقة الاستعمار الذي عانت منه طويلا ...

لقد حاول الاستعمار بكل وسيلة مواتية ، المشروع منها وغير المشروع ، ان يسلخ شعوب المغرب من هويتها العربية وكانت اداته في ذلك هو اعلان الحرب على اللغة العربية التي تحولت تحت ضغط الادارة الاجنبية في المؤسسات الرسمية وفي المدارس طوال الامد الاستعماري الى لغة غير قابلة للتعامل اليومي على صعيد الشارع .. ولكنها ظلت مع ذلك نابضة بالحياة في ضمير الشعب .. وذلك هو السر في ان شعوب المغرب استطاعت ان تتجاوز واقعها وان تقيم بينها وبين شعوب المشرق هذا الرباط السحري من الود رغم حواجز القهر التي اقامها الاستعمار بينها وبين الاشقاء على الطرف الآخر من الوطن العربي الكبيـــر ...

ولكن لدول المغرب حكاية اخرى مع اللغة العربية .. هي حكاية الارقام ...

والذين تعرفوا على دول المغرب تواجدا بالكيان او من خلال كتبه وصحفه ودورياته لابد وانهم لاحظــوا ان هذه الدول تستخدم الارقام التي درجنا على تسميتها في دول المشرق بالارقام اللاتينية او الافرنجية بدلا من الارقام التي نستعملها نحن والتي نصفها ـ زورا ـ بانهـا عربيـة ...

لقد دابت دول المغرب ـ ولحقتها اخيـرا بعض مؤسسات النشر في العراق ـ ان تستخدم في تعاملها الرسمي ما اصطلحنا على تسميته بالارقام الافرنجية انطلاقا من معرفتها بان هذه الارقام اكثر وضوحا واقل قابلية للتغيير من الارقام التي تستخدمها دول المشرق العربي بالاضافة الى انها ـ الارقام الافرنجية ـ هي ارقام عربية في الاصل ... وان الارقام التي نستخدمها حاليا هي ارقام جاءت الينا من الهند ... ذلك على الاقل ما يقوله المهتمون بتاريخ الارقام ...

للتوضيح اكثر ..

ان الرقم (١) مثلا عند دول المشرق يمكن تحويله ـ بمنتهى السهولة ـ الى اكثر من رقم دون الاخلال بتركيبه الهيكلي .. فبتحوير بسيط يمكن تحويله الى (٢) او (٣) او (٦) او (٧) او (٨) او (٩) ...

ورقم الصفر (٠) هو الآخر يمكن تحويله الى كل الارقام ابتداء بالرقم واحد وحتى الرقم عشرة دون ان يكون هذا التحويل ملفتا للنظر ...

لذلك فقد كان المغاربة اذكى منا ـ نحن المشارقة ـ في جنوحهم الى استخدام الارقام الافرنجية تفاديا للتحوير والتزوير اللذين يمكن ان يلحقهمـا أي مبتـدىء في التزوير بما اصطلحنا على تسميتها بالارقام العربية ...

ان ما يعنينا هنا ليس هو توضيح الفارق بين ارقام المشرق وارقام المغرب بقدر ما يعنينا ان تتحول دول المشرق العربي الى الارقام الافرنجية تاسيا بدول المغرب العربي .. ان لم يكن من باب تفادي التزوير والتحوير فيها فمن باب العودة الى الاصل ...

علي سيار



شهريات

د. يوسف ادريس

البين بين

مضى عام وأقبل عام . كم هي مضحكة تلك التطورات التي تحدث للكائن منا . أنا لا أحس أنه عامل السن ، أو (النضج) كما يقولون . لا . أحس أنه شيء موضوعي يتعلق بالاشياء في حد ذاتها . الاشياء في حد ذاتها تتغير وتتغير مذاقها وممتاعها فعلا . حتى بالنسبة للاطفال والصبية لا أعتقد أن احساسهم بذهاب عام وقدوم عام آخر يحمل نفس الكم من الفرحة والرهبة والشعور العميق بالتغير وبالانتقال الذي كنا نحسه كلنا ، كنا جميعا نحسه منذ سنوات قليلة مضت ، في السبعينات والخمسينات مثلا . أذكر ليالي كنت من فرحتي بذهاب عام وقدوم آخر لا أنامها أبدا ، منفعلا ، كأنما خلعت نفس قديمة وهو فرحان بخلعها ، ويأمل في نفس جديدة تماما وهو متأكد أنه سينالها ، وأن العام القادم لابد يحمل ، ورغما عنه يحمل ، كثيرا من الأمل والمفاجآت السارة كما يقولون .

لست أدري ، ربما يكون هو النضج كما يقولون ، أو هو ادراك الامور على حقيقتها . لبث لي بعد كثرة ضيق بما مضى وترقب لما هو آت ، أن لا الذي مضى كان سيئا جدا كما نتصور ، ولا القادم سيحمل شيئا جديدا رائعا ، جنة أحلام أو أماني ، كما نتوقع .

لقد اخترع الانسان ساعة الظل ثم ساعة الرمال ثم الساعة الالكترونية وحساب السنين والأيام ، لست أدري بالضبط لماذا اخترعها ، ولكني أتصور أنه أحب أن يضع أسوارا وأرقاما لحبل طويل من مادة أحداث لا أول لها ولا آخر . والكارثة أنه أصبح أسير اختراعه هذا ، وبدلا من علامات كان يضعها ليحدد بها معالم ما فات من طريق وما هو آت ، أصبحت هذه العلامات نفسها قيودا رهيبة (تضبط) خطوه . أي بمعنى أدق تقيد خطوه وتسرع به أو تبطيء وفق مشيئتها هي لا وفق مشيئته .

قضيت رأس السنة ـ ككبار الرياء العالم الانجليزي الغابر ـ في أسوان ، أجمل موقع جغرافي بل حضاري في مصر . فالمصريون في أسوان سواء أكانوا نوبيين أو صعايدة أناس أرقى بكثير من أهل الشمال ، لم يهزمهم الغزاة فيما غزوا ولا اختلطوا بعد بهذا الخليط الرهيب من الاخلاق والعادات والطبائع ، وهكذا احتفظوا بطبيعتهم البشرية نقية ، بيضاء ، رغم سواد بشرتهم ، من غير سوء . كنت ذاهبا لقضاء أسبوع يقع رأس السنة في

صوت دقات الساعة البشرية فينا وكأنها دقات موسيقى جنائزية !

الهي : يا من اعبده في صمت.. إجعلني أحيا عامك القادم كما أردت لي ان اريد

وسطه ، للنقاهة بعد عملية جراحية صغيرة ، واول ما اذهلني هناك هو شمس غريبة ، شمس الشتاء المستأنسة الكيفة كونيا لتعطيك تلك الاحساس العظيم بالدفء الداخلي والخارجي معا . انها ليست كشمس الصيف او حتى شمس الشواطيء في الاسكندرية ومرسى مطروح المعتدلة . لا . هذه شمس أخرى شمس تغسل وتبخر (عن الهادي) أوجاع وصداعات وازمات خريف وربيع وصيف مضت وكنت داخلك يصدأ معظمها .

استرخيت وسلمت رأسي لشمس اسوان ، فهم ما ثارت من اشعاعاتها فوق البنفسجية وتحت الحمراء وكل الوان الطيف ، يدفأ جسدي ، وتغوص الصقيع الاصق بمفاصلي ، ويعيد القلب تقليب صفحاته شيئا وتجاعيده وشيئا فشيئا يزحف الدفء الى الرأس ، في دبيب مخدر ممتع منعش ، تكاد من فرط التذاذك به تحس بقشعريرة الحياة وكأنما تبدأ تنبثق داخلك من جديد وفي اللحظة والللحظة . (تراس) فندق كاتاركت المشهور . ذلك الفندق القديم الذي بناه الانجليز ليكون منتجعا لقيادة جيشهم التي فتحت السودان . ويا له من منتجع . اني لتأكد أن عشرات من الضباط والجنرالات ، كما استعذبوا فكرة الامبراطورية التي أتاحت لهم هذا ، استنكروا تماما فكرة تحقيقها بالغزو والحرب والقتال فاروع احساس كان يتملكني وانا ممدد على كرسي البلاج الشتوي . ارقب الشمس ترسم بالوانها معالم الصباح المبكر الذهبي والضحى البرتقالي والظهر الابيض والعصر عائدا للذهبية تتحب حتى تستحيل الى صفار مضمخ بالحمرة عند الغروب ، ممزوج بالرمادية باقتراب العشاء ، فضي في لون الفجر عند العاشرة ، اروع احساس كان يتملكني ، هو احساسي بالسلام . السلام مع نفسي ومع الدنيا ومع الآخرين . السلام الذي يجعلك تحس ان العمل نفسه حرب لا معنى لها ، وانه لابد سيأتي على البشرية يوم ينبذ الناس فيه العمل المنضبط كما ينبذون الحرب والعنف .

ويخيل لي أن المرحوم اغاخان كان اذكى رجل - بعد قدماء المصريين - حين اختار لمدفنه تلك الربوة العالية في الجانب الغربي للنيل ، وامام فندق كاتاركت بالذات ليحظى بالخلودين ، خلود عظامه كخلود عظام القدماء هنا ، وخلود ذكره فهو ، وزوجته البيجوم هما الحديث المفضل لمفترى الشمس من سياح جاءوا من جميع ارجاء العالم ليغسلوا اجسادهم في نهر (الون) المقدس .

● ●

حسن .. مضى عام وجاء عام . وركام من الاحداث الشخصية والقومية والعالمية اضعه على يميني وركام من علامات الاستفهام الموجهة الى القادم الجديد اضعها على يساري . ترى هل ، وهل ، وهل ، والاهم ، هل الكبرى ، هل يكون العام الجديد ليس اكثر او اقل او اجل او اتعس احداثا ولكن على الاقل هل يكون اقل ضررا . تواضعت الاحلام في المستقبل والله ولم يعد لنا من امل الا ان يكون القادم فقط اقل اضرارا من السابق .

● ●

اكتئاب ما يجتاحني دائما ولابد انه يجتاح الكثيرين في يومين بعينهما كل عام ، ليلة رأس السنة العامة وليلة رأس السنة الخاصة بي ، يوم مولدي . اكتئاب ليس سببه الاحساس ان الزمن مضى ويمضي ، وانه يطوي اعمارنا كما تطوى الابسطة . اكتئاب احترت طويلا في تفسيره ، ولم اصل لاجابة شافية ابدا . كل ما وصلت اليه تشبيه ادبي وكأنه التشخيص المرضي ، انه ليس شعورا ولكنه صوت ، صوت دقات الساعة البشرية فينا ، وهو ليس كدقات الساعات ضاجا مرحا صاحيا كزعقات ديوك الفجر ، لا ، انها دقات كأنها موسيقى جنائزية ، تتصاعد من داخلك ، ومن خلال ذاتك تنتشر دوائرها لتشمل الكون كله من حولك . موسيقى كترانيم (باخ) الاخيرة تقول : ماذا فعلت يا انت في عام طويل مضى ، وهل تستطع ان تفعل شيئا في عام اطول قادم ؟

يا الهي ... تأتي الاجابة دائما وكأنها رجع الصدى القادم من اطراف الكون زاحفا الى ان يتجمع حولك وينفذ الى ذاتك وقدس الاقداس داخلك ويقول لك .. هباء ذهب عام ... وهباء من هو قادم ...

● ●

الهي ... يا من أعبده في صمت ودون ضجيج .. ودون تجارة بدينك الاسلامي الحنيف تكسب من ورائه كتبها الالاف .. الهي يا من أحييتني اعواما .. اجعلني أحيا عامك القادم كما اردت لي ان أريد .. كما اهوى الذي تهواه .. كنفسي مثلما شئتها خاصة جدا لتكون نفسي ، وعامة جدا لتكون ملكك ...

د. يوسف ادريس



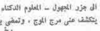
الابحار فى الذاك

صلاح عبد الصبور

التعب للميعاد ـ الرحلة فى اخر كل مساء
اتقرى اوراقى ، اتزيا شاراتى ،
فى اهداب الغيم ، انشر اشرعتى
القى فى صفحتها نذر الريح ـ نبوءات الانواء

★ ★ ★

البحارة يصطخبون
الملاحون ـ الفتران ـ التذكارات ـ المحبوسون
فى اوردة المركب يضطربون
واخوض رماد الافاق ،



الى جزر المجهول ـ المعلوم الذكناء
يتكشف على مرج الموج ، وتمضى بى الريح
رخـــــاء

* * *

فى آخر أعقاب الليل
تاتينى نـــذر الريح ،
تنقر فى شاراتى الامواج ـ العقبان
يتقاذف مرساتى صخب القيعان
يصعقنى من خلف الدجن
صوت يتردد جياش الاصداء

* * *

« قدّم قربانك للبحر الغضبان »
« قدّم قربانك للبحر الغضبان »
قدّم قربان ٠٠٠٠ !!

* * *

وحـــدى امضى ٠٠٠
يطوى تحتى حقل الموج ، وقد القيت الى البحر
قربان البحارة والفئران

* * *

لا تبحر فى ذاكرتك قط !
لا تبحر فى ذاكرتك قط !

عبد الكريم غلاب

اللغة العربية
تطور وتحديث وانماء

الدفاع عن اللغة العربية لا يعني الوقوف في وجه التقدم العلمي و الفكري

الفنا نحن العرب الذين نغار على لغتنا ان نمتدحها ونعلي من شانها ، متخذين من ماضيها المشرق حجة على اننا محقون حينما نعتبرها من اغنى اللغات في التعبير ومن اجملها في السماع ومن اكثرها دقة في قواعدها واصولها ومنطقية التعبير بالجملة فيها ، ومن اغناها واكثرها ثراء في مفرداتها ، ومن اعمقها في اصالتها والمحافظة على اصولها الاولى التي ما تزال تتردد على الاسماع ـ دون انقطاع ـ منذ ما قبل الاسلام بقرن او يزيد ـ حسب ما وصلنا من شعرها المروى كاملا في تعبيره واصوله اللغوية والموسيقية والفنية .

والفنا نحن العرب الذين نغار على لغتنا ان ندافع عنها كلما حاول اجنبي او عربي ان يشككنا في قيمة من هذه القيم التي نعتز بها ، او كلما حاول متعنت ان يصرفنا عن بعض اصولها ابتداء من الحرف واللفظ حتى النحو والصرف وتركيب الجملة .

ولكن الافتخار باللغة ومحاولة الدفاع عنها لا يمنع من مواجهة الحقيقة ، وهي اننا نواجه تحدي عالم متطور علميا واقتصاديا واجتماعيا . وهو يتطور بسرعة لا تحدها السنون ، بل ولا الساعات والايام ، ففي كل لحظة اختراع علمي وفكرة فلسفية والة تقنية . وفي كل دقيقة تنتج اللغات الحية عشرات المصطلحات والالفاظ اللغوية لتواجه التقدم العلمي والتقني والفكري ، وفي كل لحظة تصدر ابحاث وكتب بلغة علمية ثرية سرعان ما تنتقل مترجمة او مقتبسة الى اللغات الاخرى مع تنقل الفكرة العلمية والتجربة التقنية .

وبذلك لا تقف اللغة في وجه التقدم العلمي والتقني والفكري ولا تعوق التعبير عنه وانتشاره في العالم المتحضر . ولا يظل التقدم والاختراع دون مصطلح علمي ولغة علمية تفي بالتعبير عنه .

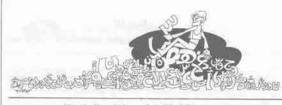
ويظهر التحدي ايضا في الاصلاحات اللغوية التي تقوم بها الهيئات العلمية واللغوية في البلاد التي تحرص على تطوير لغتها لتطور العلم والبحث والانتشار في الافاق ، وبذلك اصبحت اللغة الانجليزية او الفرنسية او الروسية مثلا في النصف الثاني من القرن العشرين تختلف اختلافا جذريا عنها في القرن التاسع عشر ، سواء من حيث الاداء والتطور ، او من حيث القدرة على التعبير وسعة الافق لكل ما هو جديد .

هذه المجهودات في تطوير اللغات الحية واثرائها لا تتحمل اعباءها المجامع اللغوية او الاكاديميات فحسب ، ولكن يشارك فيها بفاعلية جميع العلماء والهيئات العلمية وجميع المثقفين والكتاب والصحفيين ، وجميع المخترعين والعاملين في ميدان الاختراع . وبذلك يتحمل الشعب كله مسؤولية تطوير لغته واثرائها ووضعها في مستوى التقدم العلمي والتقني والفكري .

لغتنا العربية تواجه هذا التحدي

وهي مواجهة خطيرة اذا لم نقدر اهميتها ستزداد لغتنا تخلفا كلما ازداد العالم تقدما . بل سيزداد عالمنا العربي تخلفا في الميدان العلمي والتقني اذا لم يجد اللغة التي يتعلم بها ويعبر بها عن هذا التقدم . وبذلك سيظل عالمنا العربي في تبعية مطلقة . فهو مضطر ان يتعلم بلغة اجنبية ويعبر بها ، ويدرس بها العلوم والتقنيات كما يفعل اليوم في كثير من الجامعات العربية وكما يصر على ذلك بعض مديري الجامعات العربية وعمداء واساتذة كلياتها .

واللغة الاجنبية لا يمكن ان تقوم مقام اللغة الوطنية مهما بذل المتعلمون بها من جهد . لان العلم عن طريقها



مستقبل اللغة العربية في عالم لا تقف فيه اللغات عاجزة عن مواجهة التحدي !

سيظل ملك النخبة ، الا اذا حاول الوطن العربي ان يتخذ من اللغات الاجنبية لغة وطنية للتعليم والتثقيف والتعبير العلمي .

ما هو وضع لغتنا العربية امام هذا التحدي ؟

ما من شك في ان العربية تطورت تطورا محسوسا منذ بداية هذا القرن ، وطوعت للتعبير عن كثير من النظريات والافكار والمخترعات العلمية والتقنية . وما من شك في انها تخلصت من المحسنات الاسلوبية التي كانت تعوقها عن التطور والتقدم ، وتحصر اهتمامها في الجماليات اللفظية ، التي لم يعد لها من جمال بعد ان تكررت وجمدت وبليت جدتها . ونمت اللغة بالمفردات التي عادت اليها بعد ان ظلت زائدة في المعاجم القديمة ، وببعض المفردات التي اقترحتها المجامع اللغوية ، وببعض المفردات الفصيحة التي كانت تستعمل في اللهجات الدارجة في بعض البلاد العربية دون البعض ، حتى اذا انتقلت للغة الكتابة اصبحت شائعة ذائعة في اللغة العربية جميعها ، ونمت كذلك بالمفردات والاصطلاحات التي جرت على اقلام الكتاب باجتهاد فردي عن طريق الترجمة او الابتداع .

وهكذا نجد لغة السبعينات ــ مثلا ــ تختلف عن لغة الثلاثينات ، سواء من حيث نمو المفردات او تطور التعبير والاداء .

ولكن : هل يكفي هذا التطور لمواجهة التحدي الذي يضعه امامنا التطور العلمي والتقني والفكري في العالم المتطور ؟ وهل التطور في المفردات كاف لمواجهة التحدي ؟

هذا هو السؤال الذي ينبغي ان نبحث الاجابة عنه بكامل الموضوعية حتى نعالج موضوع مستقبل اللغة العربية في عالم يسوده العلم والتقنية والفكر ، وفي عالم يتطور تطورا صاروخيا ، وفي عالم لا تقف فيه اللغات عاجزة عن التعبير او قاصرة عن مواجهة التحدي .

في المرحلة العاشرة من حيث الانتشار

يقول الاحصائيات الرسمية ان اللغة العربية تأتي في المرحلة العاشرة من حيث الانتشار بين اللغات الحية . بعد الصينية ، والانجليزية ، والروسية ، والهندية ، والاسبانية ، والالمانية ، والبنغالية ، والبرتغالية ، واليابانية ، ولكنها قبل الفرنسية والايطالية ويتحدث بها ازيد من ١٣٠ مليونا . وقد اصبحت لغة رسمية في المنظمات الدولية من الجمعية العامة للامم المتحدة حتى منظمة اليونيسكو ومنظمة التغذية والزراعة .

مركزها الدولي هذا سواء من حيث الانتشار او من حيث الاستعمال في المنظمات الدولية يعتبر تكليفا لا تشريفا . فليس من الممكن ان تظل اللغة محدودة التطور ــ تطور العصر ــ في الوقت الذي يطلب الى العلماء في المنظمات العلمية والتقنية التعبير بها والتفاهم مع الاخرين عن طريق استعمالها .

ولهذا يجب ان تكون في مستوى هذه المنظمات ، وفي مستوى الموضوعات التي تدرسها المنظمات التقنية . ولذلك يجب ان تتطور اللغة العربية وتغنى بالمصطلحات العلمية والتقنية والفكرية .

مسؤولية ضخمة .. على عاتق من تقع ؟

المدرسة أولا . المدرسة العربية ما تزال متخلفة حتى في مبلغ ما تلقنه لتلاميذها من مفردات . ويكفي ان نعرف مثلا ان الطفل الاوربي كان يلقن في المرحلة المدرسية الاولى سنة ١٩٦٠ حوالي ١٥٠٠ مفرد واصبح





اللغة العربية تطور وتحديث دائما.

يتلقى فى سنة ١٩٧٠ حوالى ٢٧٠٠ مفرد متعلقة بالحيوان والنبات وجسم الانسان والمحسوسات والاوصاف والافعال فى الوقت الذى لا يتلقى فيه التلميذ العربى اكثر من ٨٠٠ مفرد . وتختلف هذه المفردات بعضها عن بعض حسب اختلاف البلاد العربية واختلاف مناهج التعليم والكتب المدرسية فيها . وتقل فيها المفردات العلمية والمفردات الحضارية والمتعلقة بالحيوان والنبات وجسم الانســــان .

ثم ان الكتاب العربى تطبعه لغة السرد والتكـــرار والجمل المطاطة التى تضيع وسطها المعلومات والمفردات الدقيقة فى التعبير عن المدلول المدقق .

ونستخلص من ذلك ان المدرسة لا يمكن ان تقـــوم بواجبها فى تطوير اللغة العربية الا وفق مفـــاهيم محدودة ووفق التطور الذى يحدث فى اللغة خـــارج المدرســــة .

المسئولية على المجامع اللغوية العربية

تبقى اذن المسئولية على المجامع اللغوية العربية . لا نستطيع فى هذا المجال ان نحاسب المجـــامع او نحاكمها . فهى تقـــوم بمجهوداتها فى صمت وتنشر دراساتها والمصطلحات والمفردات التى تقتـــرحها فى مجلاتها وفى الكتب والمعاجم التى تصدر عنها . ويجانبها مؤسسات عربية اخرى تقوم بمجهود جبار نذكر منهـــا « مكتب تنسيق التعريب فى العالم العربى » « ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب » . ومقرهما معا الرباط (عاصمة المغرب) والاول منهما الحق بمنظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية . ويقوم المركز بمجهود كبير لاثراء اللغة العربية يتمثل بخاصة فى المعاجم التى يصدرها . وبعضها معاجم مقـــارنة بالعربية والفرنسية والانجليزية . وبعضها معـــاجم موضوعة وجميعها تهتم بالمصطلحات العلمية والتقنيـــة والحضارية . ومصطلحات الاستعمالات اليوميـــة . ويبذل الامين العام لهذه المؤسسة الاستاذ عبد العزيز عبد الله مجهودا علميا كبيرا فى تحضير هذه المعـــاجم ونشرها . وتصدر عن المكتب مجلة « اللسان العربى » التى تعتبر من اهم المجلات المتخصصة فى الدراســات اللغوية والابحاث المتصلة باثراء اللغة العربية .

ولكن هذه المجهودات رغم ضخامتها تظل محصـــورة فى الكتب والنشرات والمجـــلات لا يطلع عليهـــا الا المتخصصون . ولا يستعمل ما تتضمنه من مفـــردات الا القلة من الذين يطلعون .

انماء العربية فى حاجة الى مجهودات

ما هو الحاجز بين اللغة التى تقترحها المجـــامع والمؤسسات اللغوية الموازية لها . وبين الكتاب المدرسى الذى هو وسيلة تلقين اللغة للمتعلمين ؟ ثم ما هـــو الحاجز بين هذه المجهودات المبذولة وبين لغة الســـوق العربية أى لغة الكتاب والمحاضرين والصحفيين والاداريين ورجال المؤتمرات الاقليمية والعربية والدولية ؟

يظهر اننا فى حاجة الى هيئة اخرى للتنسيق بـــين « منتجى » اللغة « ومستهلكى » هذه اللغة ... وربما فى حاجة الى هيئة ثالثة لاقناع المسئولين عن التعليم والثقافة فى البلاد العربية ان هناك مجامع لغوية ــ ثلاثة على الاقل ــ فى القاهرة وبغداد ودمشق . ومكتبـــا لتنسيق التعريب ومعهدا للدراسات والابحاث للتعريب فى الرباط حتى تستفيد المؤسسات التعليمية والثقافية من مجهودات هذه المجامع والمؤسسات .

ورغم كل ذلك فانى اعتقد ان انماء اللغة العربية فى حاجة الى مجهودات اخرى . ذلك لان رجال المجامع غير متفرغين وانتاجهم بطىء . وعملهم المعجمى قد يفيد

فى حفظ اللغة او فى اقتراح مصطلح او مفرد لاداة علمية او تقنية او حضارية . ولكنه لا ينقل اللغة الى معترك الحياة . قد يكون ذلك ليس دور المجامع ولكن اللغـــة تتطلب عملية اثراء يشارك فيها الكتاب والصحفيون والمحاضرون كما تشارك فيها المدرسة . وعملية نقل هذه

رجال المجامع اللغوية غير متفرغين ولا ينقلون اللغة إلى معترك الحياة !

الثروة الى الشارع القارىء الكاتب المثقف . وهذا ما لم يتوفر حتى الآن .

ثم ان اللغة التي تقترحها المجامع اللغوية قد يكون لها ارتباط بالماضي اكثر مما ترتبط بالحاضر او المستقبل . وتستثنى المجهودات التي يقوم بها مكتب تنسيق التعريب فهي تتصل بعناصر العلم والتقنية الى حد كبير . ولكنها تصطدم بروتينات الادارة . مجمع اللغة العربية بالقاهرة مثلا لا يعترف بالمفردات التي يقترحها مكتب التنسيق الا على أساس انها مقترحات ، ولذلك لا يقرها ، والمدرسة لا تستعملها ومن ثمة فهي لا تدخل للكتب المدرسية العربية ، وهذا ما يتركها حبيسة المعاجم على رفوف المكتبات .

الطباعة العربية من اخطر المشاكل

ويأتي بعد هذا موضوع اخر له صلة وثيقة بتنمية اللغة العربية وانتشارها وتمكين القراء منها . فنتناول موضوع الطباعة العربية .

قد يبدو هذا الموضوع متجاوزا . ولكنه من اخطر المشاكل التي تعانيها اللغة العربية . ويكفي للتعبير عن ذلك أن نردد مع الذين عالجوا مشاكل اللغة العربية كالدكتور طه حسين ، وعلي الجارم ، والكرملي الذين كانوا يقولون ما معناه : أن القارىء في كل اللغات يقرأ ليفهم ، ولكن القارىء العربي يجب أن يفهم ليقرأ .

واضح ان القارىء العربي لا يستطيع أن يقيم اود جملة قراءة وكتابة اذا لم يتعلم النحو والصرف وقواعد الاملاء وحفظا وافرا من معاني المفردات اللغوية ، والا اشتبهت عليه معاني الالفاظ ، بل اشتبه عليه الاسم بالفعل والحرف وهذا هو السر في أن كثيرا من المثقفين من أصحاب الشهادات العليا لا يستطيعون أن يقرأوا نصا كاملا باستقامة ، ولا يستطيعون أن يحاضروا بلغة عربية سليمة ، ولذلك يلجأون في كثير من الاحيان الى العامية ، وان قرأوا بعيونهم لا بلسانهم ، وهذا ما لا يمكن أن تجده عند تلميذ في مدرسة ثانوية في بلاد أخرى تقرأ بلغة اوروبية مثلا .

المشكلة تتمثل في أن اللغة العربية غير مشكولة ، او هي على الاصح تطبع وتكتب بدون شكل ، اعتمادا على أن القارىء يستطيع التمييز بين الافعال والاسماء التي تكتب بشكل واحد ولكنها تنطق باشكال مختلفة تؤدي معاني مختلفة . للشكل في اللغات الاوروبية حروف لا علامات ـ في الاغلب ـ وتكتب وتطبع بجوار الحروف الاصلية ، الا القليل منها فهي نقط او علامات ولذلك فمن السهل قراءة الكلمة دون خطأ على المبتدئين .

هذه المشكلة تؤدي الى صعوبة تعلم اللغة العربية على الاطفال العرب اولا ، وتؤدي الى صعوبة انتشارها كلغة دولية . ثانيا ، والى صعوبة التعاون معها عن طريق الافادة والاستفادة ثالثا .

لماذا اذن لا تشكل الحروف العربية في الطباعة ليتعود الناشئ القراءة السهلة المفهومة ، وليجتاز المرحلة بسلام بين رياض الاطفال والصفوف الابتدائية الاولى حيث تقدم النصوص مشكولة وبين المرحلة التالية حينما يختفي الشكل من النص العربي ؟

بالاضافة الى ذلك فالطباعة العربية ـ كما يقول الاستاذ احمد الاخضر ... ما زالت تعاني صعوبة الطبع وتعقد الآلات وبطء الانتاج وغلاء النفقة وعسر القراءة المهملة واستنزال القراء وقلة المطالعين ونفور المثقفين » .

لماذا اذن تشكل الحروف العربية في المطبعة ؟

يظهر أن ذلك مستحيل عمليا اذا لم تقم بثورة في تشكيلة الحروف العربية .

لهذا كله قام بعض المختصين في الدراسات اللغوية بابحاث تستهدف اصلاح الطباعة العربية بتغيير بعض الزوائد والشكليات في الحرف العربي كما رسمته المطابع منذ القرن الماضي واضافة علامات الشكل . وفي مقدمة الذين قاموا بمجهود مشكور في هذا الموضوع الاستاذ احمد الاخضر غزال مدير معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط والاستاذ البشير بن سلامة مدير مجلة « الفكر » بتونس وسجل اقتراحاته في كتابه « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » .

والطريقتان اللتان يقترحهما كل من الاستاذ ابن سلامة والاستاذ الاخضر تستهدفان هدفا واحدا هو الطباعة المشكولة مع اختصار ملامس الات الطبع .

وقد قام الاستاذ الاخضر بدراسات مهمة تقنية وعلمية للوصول الى هذا الهدف . وتعتبر الطريقة التي انتهى اليها اهم ثورة في طريقة الكتابة العربية المطبوعة . واذا كان لا يسعنا هنا أن نستعرض الجوانب الفنية



اللغة العربية
تطور وتحديث ونماء

والتقنية والوسائل التي اتبعها الاستاذ الاخضر للوصول الى مقترحاته فيمكن ان نجمل بعض النتائج فيما يلي :

● يؤخذ على الكتابة العربية انها مختزلة لا تسجل الا قسما من العلامات الضرورية للقراءة • وبذلك يضطر القارىء الى ان يستعين بمعلوماته حتى يقرأ قـراءة تامة سليمة • وهذا يتطلب ان يكون عالما بأصـول القراءة ، الشيء الذي يصل بنا الى الملاحظة الاساسية وهي ان القارىء يجب ان يعرف كثيرا من علوم اللغة قبل ان يتعلم القراءة • والا ظل يتخبط ويخطىء في القراءة ، ولو كان عالما كبيرا •

● الشكل غير مندمج في صلب الكلمة العربية كما هو الامر في الكلمة اللاتينية مثلا •

● الطباعة بالحروف اللاتينية مثلا تتطلب من ٩٠ الى ١٢٠ حرفا (وضمنها حروف التاج الكبيرة التي يبدأ بها الكلمة احيانا والحروف العادية والاعداد وعلامات الوقف (٠٠ الخ) اما طباعة تعوض ... تتطلب ١١٧ حرفا كحد ادنى عدا علامات الشـكل والاعداد والوقف • وبدون الحروف الكبيرة التي لا توجد في العربية) اما اذا حاولنا طباعة النص العربي بالشكل التام فيتطلب ما يزيد على ٤٧٥ حرفا • وهذا يعني زيادة بطء الكتابة العربية وزيادة التكاليف المادية وزيادة الاخطاء المطبعية التي تكثر في المطبوعات العربية بشكل لا مثيل له في اللغات الاجنبية •

وقد درس الاستاذ الاخضر هذا الموضوع دراسة علمية مقارنة ، واهتدى الى طريقة مختصرة تتطلب ٨٤ علامة للحروف (بما فيها الشكل والارقام وعـلامات الوقف) • منها ٣٣ علامة للحروف العادية ٦ علامات للحروف المهموزة ، ٣ علامات للتعريفات المشتركة التي تنتهي بها بعض الحروف في اخر الكلمة كالصاد والضاد والعين والميم الخ وعلامة واحدة كخط للوصل و ٢٢ علامة للشكل و ١٠ علامات للارقام و ٩ علامات للوقف • ويمكن رفع هذه العلامات الى ١٠٧ بدلا من ٨٤ باضافة حروف التجميل والحروف الخاصة غير الموجودة في العربيـة للدلالة على الباء المشددة (ب ا) والفاء اللاتينية (V) والجيم (كما ينطقها القاهريون) والقاف المعقـدة كما ينطقها التونسيون ومعظم المغاربة وكثير من المواطنين العرب في الجزيرة وفي غيرها ق او (ك) والجيم المعطشة (ج) كما تنطق في السودان واليمن •

لهذه الطريقة ميزتها الكبرى في تسهيل الطباعة العربية والوصول الى هدف اسمى وهو جعل القـراءة السليمة في متناول الجميع وليست قاصرة على النخبة • وبذلك تتحرر العربية من عقدة خطيرة تزيد في المضايقات التي تقف في وجهها •

وقد استقل الاستاذ الاخضر في مشروعه الزيـد من عشرين سنة وقدمه الى الهيئات اللغوية والعلمية عربية واجنبية فشجعته ووافقت عليه معظم هذه الهيئات ، ومن بينها منظمة اليونيسكو ومجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة ـ وصادقت عليه عشرون دولة عربية واسلامية •









مطلوب ثورة في تبسيط القواعد والإملاء .. ومطلوب أيضا تشكيل الحروف العربية في الطباعة !

عراقيل في طريق المشروع !

ورغم ان الشركات التي تنتج الات الطباعة وافقت على انتاج الالات العربية • بملامس جديدة وفق مشروع الاستاذ الاخضر ، فان عدم استعمال الطريقة المشكولة في الصحافة والكتاب العربي جعلت الشركات تحجم عن تنفيذ المشروع على نطاق واسع الا اذا توفر لهـا الطلب الضروري •

ثم ان بعض الهيئات اللغوية العربية ما تزال تضـع عراقيل في طريق هذا المشروع الثوري لاسباب نحجم عن ان نكشف عنها •

انها ثورة ضرورية لاصلاح الكتابة العربية وتمكين القراء ـ عرب وغير عرب ـ من القراءة السهلة الميسورة وانتزاع عقدة الخوف من الكلمة العربية من النفوس الاطفال الذين يقفون مثلا امام كلمة (علم) ـ وهي من اوليات الكلمات التي يقرأها الطفل ـ وقفة الحائر لا يدرون هل هي اسم او فعل ماض ومبني للمعلـــوم او مبني للمجهول •

ثورة لابد من القيام بها اذا اردنا للغتنا ان تقـــرا ويتعلمها الناس •

ثورة التبسيط في القواعد والاملاء

والثورة الثالثة ـ بعد ثورة الانماء والتحديث وثورة اصلاح الكتابة ـ هي ثورة التبسيط في القـــواعد والاملاء ، فما من شك في ان النحو العربي يمتاز بالاصالة والعمق في اسرار اللغة العربية ، كما يمتاز بمنطقيــة التفكير في الجملة • وما من شك في انه غني جـــدا بالدراسات والابحاث التي كتبت منذ عهد ابي الاســـود الدؤلي الى المحدثين من امثال ابراهيم مصطفى •

ولكن النحو والصرف اصبحا علمين حافلين بالدراسات والنظريات كما يصبح كل علم يتجــه الى المختصـين والدارسين • وتبقى مسؤوليتنا امام الاطفال الـــذين لا يهمهم من النحو الا ان يتعلموا كيف يقيمـــون اود الجملة قراءة وكتابة ، دون ان يلحنوا ، ودون ان يزيغ بهم اللحن عن الفهم الصحيح للنص العربي •

لهذا اصبح من الضروري تبسيط قواعد النحـــو والصرف وربط القاعدة بالجملة حتى يتعلم الطفــــل طريقة التعبير وهو يتعلم القاعدة النحوية •

ثم يجب تبسيط قواعد الاملاء • واقترح ان تحذف كثير من الحروف الزائدة التي لا تنطق في الوقت الذي يجب ان تستعمل كثير من الحروف الصائتة التي تنطــق ولا تستعمل • فالالف بعد واو الجمع وواو عمرو وواو الهمزة المضمومة وياء الهمزة المكسورة كلها حروف يجب الاستغناء عنها ، كما يجب اضافة كل حرف تنطقه كالالف بعد الطاء والهاء في كلمة « طه » حتى لا يضل التلميذ وهو يقرأ هذه الجملة : « يؤمن طه بعمرو مائـــة في ثلاثة » •

معظم هذه الحروف الزائدة تخلفت في العربية نتيجة لعدم شكل الكلمات ، فكان الاملاء يلتجيء الى الحـــرف ليعبر به عن الحركة او ليفرق بين كلمتين تتفقان في الشكل وتختلفان في المدلول • فاذا قمنا بثورة شكل الكلمات سهل التخلص من هذه الحروف ، واصبح من السهل كتابة الكلمات بطريقة واحــــدة مهما كانت حركاتها •

هذا هو واجبنا نحو تطور اللغة العربية وتحديثها وانمائها وهو واجب لا يمكن ان نلقيه على المجـــامع البطيئة ولا على المختصين في الدراسات اللغوية والنحوية • هو واجب الامة العربية جميعها • والامة لا تملك التنفيذ بغير سلطة • ولهذا وجب ان تقوم الحكومات العربيـــة بواجبها في دراسة تحديث العربية وانمائها وتطــوير كتابتها واملائها ، ثم تصدر قرارات تنفذ بالقانون • والا ظللنا نحلم بالاصلاح ونجتر الابحاث وتجتمـــع المجامع « كل سنة مرة » لتلقى فيها المحاضرات ولينصرف اعضاؤها الى مشاغلهم اليومية ، وتبقى العربيـــة في مفرداتها كما سجلها الفيروزبادي في القاموس ، وفي نحوها كما كتب سيبويه ، وفي املائها كما نقل الينا من عهد الكوفة والبصرة ، وفي طباعتها كما كتبهـــا الخطاطون في القرن الاول للهجرة منقوطة لا مشكولة •

اننا نتغنى بالثورة الاقتصادية والثورة السياسية ، والثورة العلمية • ولكن لنقوم بثورة علمية يجب ان نقوم بثورة لغوية حتى نكون لانفسنا لغة تسع العلم وتمهد لتدارســـه •

هي ثلاث ثورات نرجو ان نكون قد لمحنا الى خطوطها الاساسية في هذا الحديث •



رجاء النقاش

الفنان في صورته الانسانية

لأن المجتمع الغربي لا يحرق المعترفين بخطاياهم، ازدهر أدب الاعترافات!

ظاهرة واضحة من ظواهر التناقض في مجتمعنا العربي ، تلك التي تتصل بموقفنا من الحياة الخاصة ، فنحن في الحياة العملية الواقعية نبدو من أكثر شعوب الارض فضولا وثرثرة وحبا لمعرفة الاخبار الشخصية للآخرين والحديث عنها ، وهذا الأمر يعتبر من العيوب الحضارية والاجتماعية التي نعاني منها جميعا والتي تؤثر في قدرتنا على الانتاج والعلاقات الانسانية ، ورغم هذا العيب الغريب الذي ينتشر في حياتنا الواقعية فاننا نعاني — على العكس — من تحفظ شديد وحرص بالغ في الحديث عن حياة الادباء والتعرف على أسرار هذه الحياة ...

والفضول في الحياة الواقعية اليومية ليس له نتيجة سوى تحريك الغرائز الفردية من غرور وحسد ورغبة في المنافسة والتغلب على الآخرين ، بينما يفيد الفضول في الحياة الادبية ويثمر كثيرا من النتائج الايجابية ، ذلك لانه يساعدنا على فهم انتاج الادباء والمفكرين ويساعدنا على المعرفة الصحيحة لحياة هؤلاء الذين يلعبون دور القيادة في حياتنا العامة ...

شريط الآثام

وكما نتعلم من فكر الكاتب وادبه ، فنحن نتعلم من حياته أيضا ،وليس معنى ذلك أن كل حياة الادباء والمفكرين هي حياة مثالية واخلاقية لطيفة ، بل على العكس ، فان هناك من يعيشون حياة مليئة بالخطأ والانحراف ، ونحن نذكر مثلا حياة الفنان الانجليزي « اوسكار وايلد » ، لقد مرت هذه الحياة بمرحلة من الانحراف الاخلاقي ، ادت بصاحبها الى السجن ، وقد سجل الكاتب نفسه هذه « التجربة » في كتابه المشهور « من الاعماق » ، ونحن عندما نقرأ هذا الكتاب ، نستعرض شريط الآثام التي ارتكبها اوسكار وايلد ، نخرج منه بتأثر وجداني ومقت عميق ضد هذا النوع من الانحراف ، وكأن « اوسكار وايلد » كان يعري نفسه أمام المجتمع الانساني ، لكي يعرف هذا المجتمع آثار الانحراف والسلوك الشاذ ، ولكي يتجنب الناس هذا النوع من السلوك ، وهذا النوع من المصير ، بل ان اوسكار وايلد نفسه يسجل في كتابه لونا حادا من الوان « الاعتراض الذاتي » على سلوكه الخاطيء الذي انغمس فيه ، ويشرح آثار هذا السلوك الشاذ على نفسه وجسمه ، ويكشف أمامنا ذلك الدمار الذي تعرضت له روحه وشخصيته بصراحة وامانة ...

أدب الاعترافات

فالمعرفة الدقيقة بحياة الادباء وغيرهم من الرجال البارزين تعتبر اضافة صادقة الى تراث الانسانية في التجربة والبحث ، وتعتبر ثروة تضاف الى العقل البشري، يستفيد منها كل الفائدة ، ويعقد من خلالها افضل صورة للحياة كما ينبغي ان يعيشها الانسان ...

ومن هنا فنحن نجد ان ادب الاعترافات قد ازدهر في الغرب ، ذلك لان المجتمع الغربي لا يحرق الذين يعترفون بخطاياهم ، بل يدرسهم ويحاول ان يستفيد منهم ومن النتائج التي انتهوا اليها في حياتهم وتجاربهم، وهذا هو ما نجده في « اعترافات روسو » و « اعترافات اندريه جيد » و « اعترافات تولستوي » وغيرهم من


تولستوي


جان جاك روسو


همنجواي


طه حسين

الكتاب الاوروبيين اللامعين الذين انتبوا عن حياتهم بصدق وامانة وبلا خجل او خوف ، ولم يخشوا ابدا من كشف خطاياهم وتحليلها في تلك الاعترافات الفريدة الصادقة ...

اصدقاء الادباء

وهناك لون آخر من الادب ازدهر في الغرب ، ذلك هو ان يكتب الذين كانوا قريبين من الادباء والمفكرين بحكم القرابة والصداقة تجاربهم وذكرياتهم ، وهناك الوان متعددة من هذه الكتابات ، تبدأ بالكتابة عن الحياة اليومية الشخصية للفنان او المفكر ، وقد ظهر في لندن اخيرا كتاب عن الشاعر الانجليزي الكبير « بيرون » واسم الكتاب هو تصفية حسابات بيرون للكاتبة الانجليزية « دوريس مور » وفي هذا الكتاب حديث عن « الفواتير » التي كان يستخدمها « بيرون » في الصرف على طعامه وملبسه وشرابه وسائر شئون حياته اليومية ، وهي تكشف لنا بوضوح كيف كان هذا الفنان يعيش حياته ، وكيف كان يتصرف ، واين كان موضع اسرافه ، ولماذا كان يستدين ، وهذه « الفواتير » تعطينا ايضا صورة عن العصر الذي كان يعيش فيه « بيرون » ، وهي صورة دقيقة وممتعة ...

الاحاديث الشفوية

وهناك اسلوب آخر في الكتابة عن عظماء الادباء ، وهو تسجيل مناقشات معهم او محاورات جرت دون ان يتعمد الكاتب تسجيلها او نقلها على الورق ، ففي بعض هذه الاحاديث والخواطر ما يستحق التسجيل والتأمل والدراسة ، بل ان في بعض هذه الاحاديث ما يكشف لنا ابعادا جديدة في شخصية الكاتب او المفكر او الفنان، والنموذج المعروف اللامع في هذا المجال هو « احاديث جيته » ، وهي « الاحاديث الشفوية » التي كانت تجري مع الاديب الالماني العالمي الكبير « جيته » ، وقد سجلها بعناية ودقة تلميذه وسكرتيره « اكرمان » ، وكانت هذه الاحاديث الهامة الجميلة ، سببا في شهرة « اكرمان » نفسه في الاوساط الادبية والثقافية ، لقد اصبح كتاب « اكرمان » عن احاديث « جيته » ، اضافة ثمينة للادب العالمي ، كما ان هذا الكتاب اصبح مرجعا هاما من المراجع التي يلجأ اليها الباحثون والدارسون لادب « جيته » وفكره وحياته ...

بابا همنجواي

وهناك اسلوب ثالث في تسجيل حياة كبار الادباء وهو الاسلوب الذي اختاره احد الصحفيين الامريكيين عندما كتب عن « همنجواي » في كتاب مشهور اسمه « بابا همنجواي » ... وقد بدأ هذا الكاتب علاقته بهمنجواي عندما اراد ان يجري معه حديثا لاحدى الصحف الامريكية ، وكان همنجواي شخصية صعبة ، وكان لا يعقد الصداقة سريعا مع الناس ، وكان ايامها يعيش في بيته القائم على شاطيء « كوبا » ، ولكن الصحفي ظل يلح ويلح حتى تمكن من لقاء همنجواي ، واعجب الكاتب الكبير منذ ذلك اللقاء ، فاتخذ منه صديقا ، واصبح من جماعته او من « شلته » ، وظل مصاحبا له عشر سنوات استمرت حتى نهاية حياة همنجواي ، عندما انتحر سنة ١٩٦١ ، وبعد انتحاره بفترة اصدر الكاتب الامريكي كتابه المذكور وهو « بابا همنجواي » ، وفي هذا الكتاب يكشف لنا الصحفي الامريكي كل ما عرفه من اسرار « همنجواي » الشخصية، معتمدا على صداقته الحميمة ومعاشرته الطويلة للكاتب الكبير ، ومن خلال هذا الكتاب نخرج بصورة انسانية بالغة الدقة والعمق عن حياة همنجواي وشخصيته الانسانية ، وقد كان هذا الكتاب « صدمة عنيفة » « لماري همنجواي » زوجة الكاتب الكبير ، وذلك بسبب ما كشفه الكتاب من الاسرار الخاصة لهمنجواي واسرته ، ولان مؤلف الكتاب قد اكد ان « همنجواي » قد انتحر ، وليس كما ردد البعض حول موت همنجواي حيث قالوا ان همنجواي قد اصيب خطأ من رصاص بندقيته ، وقد رفعت زوجة همنجواي قضية ضد مؤلف كتاب « بابا همنجواي » وطالبت بمصادرة الكتاب واعتبرته اساءة بالغة لها ولزوجها ، ولكن زوجة همنجواي خسرت القضية وبقى الكتاب ...

الفنان في صورته الانسانية



أحمد شوقي

من علامات الطريق

هذه الوان من الصراحة التي يعالج بها الكتاب الغربيون حياة ادبائهم وفنانيهم ومفكريهم الكبار ، انهم لا يتحفظون في الكشف عن الاسرار والاوراق الخاصة ، ولا يعتبرون في ذلك تقليلا من شأن الكاتب او من قيمته ، بل انهم ينظرون الى الامر نظرة اخرى ، هي نظرة الاحترام والتقدير ، ويعتبرونها وسيلة صحيحة لفهم هؤلاء الادباء وفهم عصرهم ومجتمعهم ، ومعرفة الظروف التي ادت بهم الى الخطأ او الى الصواب ، حتى يكتسبون في ذلك علامة من علامات الطريق امام الجيل الجديد فيتجنب الخطأ او يلتزم بالصواب ...

وعندنا .. يتحفظون

اما في الادب العربي ، فنحن نتحفظ الى ابعد مدى ، ونخفي ما نعلمه ، ونحاول ان نصمت تماما احتراما لذكرى الراحلين ، ومنذ سنوات طويلة ونحن نسمع ان « فريد شحاتة » سكرتير طه حسين ، والرجل الذي صحب طه حسين في اهم سنوات عمره ، واخصب تجارب حياته وفكره ... هذا الرجل ـ بما يعرف من حقائق وأسرار ـ تنشر الصحف بين الحين والحين انه سوف يكتب مذكراته مع طه حسين ، ولكنه لم يفعل ذلك حتى الآن ، وقيل انه ينوي العدول عن هذه المذكرات حتى لا يظهر فيها ما قد يسيء الى طه حسين والذين كتبوا من الادباء العرب الكبار ، وكانوا قريبين منهم ، كانت كتاباتهم كلها متحفظة حذرة ، تحاول ان تقدم صورة مثالية كاملة لهؤلاء الادباء ، وكان المقصود من هذه الكتابات ان تكون تكريما لذكرى هؤلاء الادباء ، مع ان التكريم الصحيح هو الذي يعتمد على تقديم الصورة الحقيقية الصادقة لهؤلاء الادباء ، ولن ينقص قدر هؤلاء الادباء الكبار اذا اكتشفنا ان الواحد منهم قد كانت له اخطاء في حياته وسلوكه بل ان ذلك يجعله اقرب الى ضميرنا الانساني ، من تلك الصورة الملائكية الزائفة ، التي يريد اصدقاء الادباء وتلاميذهم فرضها على الناس ، والتي لا يمكن الاقتناع بها على الاطلاق ..

أمير الشعراء

وقد احتفلت مصر منذ شهور بذكرى احمد شوقي الذي اصطلح الرأي العام الادبي على تسميته باسم « امير الشعراء » ، وقد قال حافظ ابراهيم في حفلة التكريم المشهورة التي اقيمت لشوقي سنة ١٩٢٧ ، وهي الحفلة التي اشترك فيها مندوبون من الادباء والشعراء من معظم البلاد العربية ... في هذه الحفلة قال حافظ عن شوقي :

امير القوافي قد اتيت مبايعا
وهذي وفود الشعر قد بايعت معي

وقيل ان لقب « امير الشعراء » ، قد اطلق على شوقي لسبب آخر هو انه كان شاعرا مقربا الى ابعد الحدود من « الخديوي عباس حلمي الثاني » ، وربما اطلق عليه اللقب لسبب غير هذا وذاك ...

... المهم ان شوقي اشتهر بهذا اللقب لسبب او لآخر ، وبقي مشهورا به الى الآن رغم الحملة النقدية الكبيرة التي شنها عليه العقاد والمازني وطه حسين ، وكانت هذه الحملة تهدف الى انزاله من فوق عرشه الادبي ، الذي ما زال يتربع عليه رغم كل المحاولات التي قامت للقضاء على لقب امير الشعراء ، وعلى شوقي نفسه : صاحب اللقب ...

وخلال فترة الاحتفال بذكرى شوقي منذ شهور عثرت على كتاب كنت قد قرأت عنه دون ان اراه ، وهذا الكتاب هو « اثنى عشر عاما في صحبة امير الشعراء » بقلم « احمد عبد الوهاب ابو العز » الذي كان سكرتيرا لشوقي منذ سنة ١٩٢٠ حتى وفاته في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ - وفي عنوان الكتاب خطأ نحوي واضح ، فالمفروض ان يكون عنوان الكتاب « اثنا عشر عاما مع امير الشعراء » وليس « اثنى عشر عاما » الا اذا وجدنا تخريجا « نحويا » يقول ان المقصود هو « قضيت اثنى عشر عاما مع امير الشعراء » - المهم ان هذا الخطأ النحوي يدل على ان الكاتب لم يكن اديبا متمكنا ، وانما هو

عندما حاولوا إنزال شوقي من فوق عرشه الأدبي!

كثيرا ما كان شوقي ينسى الشعر وهو سائر على قدميه!

انسان معجب لشوقي ، عمل سكرتيرا له لمدة اثنى عشر عاما ، وسجل ملاحظاته في هذه الفترة ...

وقد اقبلت على قراءة الكتاب بشغف شديد ، علني اجد فيه ما اتمنى ان يولد في الادب العربي من مذكرات واعترافات صريحة ، وقد وجدت الكتاب بسيطا ولكنه صادق ، وهو لا يتعرض لشخصية شوقي او لادبه بالتحليل او بالدراسة ، وانما يكتب ذكريات متفرقة وقعت للمؤلف مع شوقي ويسجلها بامانة ، وهو يكتب هذه الذكريات من موقع الاعجاب العميق بشوقي وعبقريته ، ومن موقع الوفاء لشوقي وللفترة التي قضاها في خدمته ولقي منه معاملة انسانية كريمة . ومن هنا جاء الكتاب ممتازا في ميدانه ، فهو بسيط صادق يرسم صورة انسانية لا تعقيد فيها لشوقي في حياته الشخصية وحياته الفنية ، كل ذلك دون ان يتضمن حديثا واضحا لشوقي او يكشف سرا هاما لا يعرفه الناس عن الشاعر الكبير ...

ومع ذلك فهذه الصورة الانسانية نادرة في ادبنا العربي المعاصر ، وفي اعتقادي ان هذا الكتاب يعطينا من المعلومات عن شوقي اكثر مما تعطينا بعض الدراسات المعقدة المتحذلقة التي تدرس « شوقي » في مئات الصفحات ...

وقد اعتمد المؤلف على ان يقدم لمحات سريعة متتابعة عن الجوانب المختلفة من حياة شوقي كما عاشها معه ، وذلك دون ان يقف امام هذه اللمحات بالتحليل او بالدراسة ، فهو يروي ما عرفه وراه ، ويسجل بعد ذلك مشاعر الاعجاب الخاصة بشوقي ولا يزيد على ذلك شيئا ، وكان المؤلف يتحدث عن شوقي فيقول « مولاي » .. مما يدل على عمق الاجلال الذي كان يحمله الكاتب لشوقي ...

العادات الصغيرة

ونتوقف ـ مع هذا الكتاب ـ في البداية امام العادات الصغيرة لشوقي كما يرويها سكرتيره ، فان هذه العادات لها دلالتها الخاصة على شخصية شوقي ... من ذلك انه كان لا يحب ان ينفرد بنفسه ابدا ، فكان لا يرتاح خمس دقائق بدون انيس ، ... وقد يكون هذا الامر غريبا على فنان مبدع يحتاج دائما الى الانفراد بنفسه ، ولكننا نعلم من هذا الكتاب ان الكثير من قصائد شوقي كان يمليها على سكرتيره ، ومع ذلك فقد كان شوقي يحتمل الوحدة اذا ما كان يعمل في بعض مسرحياته ، ذلك لان هذه المسرحيات كانت تفرض عليه في اغلب الاحيان ان يكتبها بنفسه ، لانها تحتاج الى مرحلة من التفكير والتخطيط قبل مرحلة الصياغة الشعرية ، وهذا امر يختلف عن كتابة القصائد التي تعبر عن خواطر مباشرة يستطيع ان يمليها على الغير ...

ومن عادات شوقي ايضا انه كان يدخل السينما كل ليلة بعد العشاء ، ولم ينقطع عن هذه العادة الا في الشهور الاخيرة من حياته وهي شهور المرض التي مات على اثرها سنة ١٩٣٢ . وكان شوقي يحب السعوط و « يتعاطاه » كل يوم لم ينقطع منه سنة ١٩٢٨ ، اي قبل وفاته باربع سنوات ، وكان اذا اراد ان يكتب قصيدة « عاجلة » لسبب من الاسباب ، كأن تكون هذه القصيدة مطلوبة منه لالقائها في احد الاحتفالات او للاسباب العاجلة ، فقد كان شوقي ـ في هذه الحالة ـ يتناول « مقدار ثلاث بيضات يشربها نيئة ثم يبدأ في النظم فلا تمضي ساعة حتى تكتمل القصيدة » ...

ويرسم سكرتير شوقي صورة له وهو « يلد » احدى قصائده فيقول « تركنا في مكتبة واملى على قصيدته ... بيتا من قصيدته ؛ فقلت يا اخي يوضع خبرينا ، ثم قال لا تنجح حتى اذا جاءني شيء امليته عليك ، وخرج يمشي حول العمارة ، فكان كل بضع دقائق يعود فيملي على خمسة او ستة ابيات » ، ويقدم لنا الكاتب صورة اخرى فيقول ان شوقي « زار قبر صلاح الدين بدمشق وعاد الى الفندق فاخذ ينظم وكان معه الاستاذ محمد عبد الوهاب والاستاذ نجيب الريس ، فلم تمض اكثر من ساعة حتى انتهت القصيدة التي مطلعها « قم ناج جلق » فتكلموا معه في سرعته في نظم هذه القصيدة مع مكانتها من الجودة فقال : هي روح صلاح الدين » ...

وصورة ثالثة يرسمها الكاتب لشوقي وهو يكتب قصيدته المشهورة عن النيل والتي مطلعها :

من أي عهد في القرى تتدفق

وباي كف في المدائن تغدق

... يقول سكرتير شوقي « ... كان شوقي يجلس في بوفيه « دي لا بروميتات » على كوبري قصر النيل ، وهو ينظم هذه القصيدة ، وكان كل نصف ساعة يركب مركبة خيل « اي حنطور » ويسير في الجزيرة ، حول النيل ، بضع دقائق ثم يعود الى المنضدة التي كان يجلس اليها فيكتب حوالي عشرة ابيات ، وهكذا حتى انتهت القصيدة في ليلة الا بيتا استعصى ولم يتمكن منه الا بعد يومين » ...



الفنان في صورته الانسانية

وكان شوقي كثيراً ما يمل الشعر وهو سائر على قدميه يتنزه في القاهرة أو في الاسكندرية . ويحدثنا سكرتيره عن معرفة شوقي الدقيقة باللغة العربية فيقول « وكانت قوة ذاكرته عجيبة جداً في حفظ الالفاظ القاموسية ومصادرها . فقد كان يحدث أن يأمرني بمراجعة كلمة فأتناول أول قاموس تقع عليه يدي ويصادف أني لا أجد هذه الكلمة فأراجعه في ذلك ، فيسألني في أي قاموس بحثت ، فأقول « المنجد » مثلاً ، فيقول لا أنها غير موجودة فيه ، ولكنها موجودة في « اقرب الموارد » ، وأنها تقع في مادة كذا ، وينطلق سارداً على مسمعي كل ما قيل في هذه الكلمة عن أصلها واشتقاقها وكل ما يتعلق بها ، وافتح « اقرب الموارد » فأجد كل ما سرده علي موجوداً بالنص ، وكثيراً ما كان يتكرر ذلك حتى حسبته يحفظ قواميس اللغة عن ظهر قلب » ...

الوسوسة .. والتسامح

ونعود الى الصورة الانسانية لنتوقف معها لنستوضح بعض الملامح . فقد كان شوقي يخاف خوفاً حاداً من المرض . ولذلك كان يعرف الكثير جداً من أمراض الجسم البشري وما يتعرض له من أمراض ، وكان شديد « الوسوسة » يخشى ان يأتيه المرض من سبيل ما ، فكان يغسل يديه « بالكولونيا » كلما أحس انه سلم على عدد كبير من الناس ، خوفاً من أن يكون بين هؤلاء الناس من ينقل العدوى اليه ، وكان يعرف أنواع الطعام وآثارها على الجسم ، وكان يتناول كثيراً من الادوية عن دراسة ومعرفة ...

اما من ناحية اخلاقه الشخصية فقد كان انساناً متسامحاً لا يحب الغضب ، أو كما كان يقول لسكرتيره « انني ارغب دائماً ان لا اغضب وان لا احمل نفسي من التكلف ما يعرق في ككلم من الناس ، وكنت اذا غضبت امتنع عن ابداء حكم او رأي وقت الغضب ، واوصيك بهذا لان الغضب لا يأتي بشيء الا مصحوبة بالندم » ...

« وقال له صديق عزيز مرة ان من المستحسن يا شوقي بك ان تمنع ابنك « عليا » من التدخين امامك ، فقال له لا يرضيني ذلك لانني ان فعلت كان قربه قضيراً وانا أحوج ما اكون لجعل قربه مني طويلاً » وكان كثيراً ما يقول في أخريات أيامه « ان أكثر ما يخيفني من الموت انزعاج اولادي » ...

ويقول سكرتير شوقي عنه ايضاً « انه كان يعجب بالجمال في الخطوط فكان اذا ورد اليه كتاب ينظر فيه فاذا كان خطه رديئاً قال لي اقرأه انت وابقه عندك وذكرني به بعد ، ولو كان هذا الكتاب من عند صديق ، أما اذا كان الخط حسناً فانه عندئذ كان يقرؤه بنفسه ويثني على كاتبه ، وربما حمل هذا الخطاب أكثر من يومين في جيبه ، وربما عاد النظر اليه أكثر من مرة ولو كان من سائل » ...

وكان شوقي يقول لسكرتيره : « خمسة اشياء تعجبني في الفرنجة جعلتني اقدرها لهم ، وانظر اليهم بالاكبار عندما دخلت بلادهم لاول مرة : تقديرهم للنوابغ ، وتفانيهم ، وحبهم النظام ، ورفقهم بالحيوان ، وقلة الغيبة في مجالسهم ، ولا فرق بين أغنيائهم وفقرائهم في احترام هذه الاشياء » ...

ومن اللقطات المؤثرة في هذا الكتاب ما رواه شوقي لسكرتيره من انه وجد بعد وفاة والده « بين اوراقه كثيراً من مشتت منظومي ومنثوري ، ما نشر منه وما لم ينشر وقد كتب بعضه بالحبر والبعض الآخر بالرصاص ، والكل بخط يد المرحوم وقد لفه في ورقة كتبت عليها هذه العبارة : هذا ما تيسر لي جمعه من اقوال ولدي احمد وهو يطلب العلم في اوروبا ، فكنت كأني اراه ، وأني أرى ان يعممه ثم ينشره لانه لا يجد بعدي من يعتني بشؤونه ، وربما لم يوجد بعده من يعتني بالشعر والادب » ...

وكان شوقي يحب الفنان محمد عبد الوهاب ، ويحرص على رؤيته يومياً مرتين : في الصباح والمساء ، وعندما أحس باقتراب الموت قال لخادمه « ... لا فائدة ، انقطع الامل ، سلم لي على الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وسلم على احمد افندي « سكرتير شوقي » وقل له أنا متشكر وان يبلغ سلامي لجميع اصدقائي وهو يعرفهم » ...

جانب من الصورة

هذه لمحات انسانية من حياة « شوقي » ، رسمها سكرتيره احمد عبد الوهاب ابو العز في بساطة ، وهي على بساطتها تلك مليئة بالصدق والمحبة ، كما انها تجسد أمامنا صورة « شوقي » وهو انسان يسعى في الارض ويتعامل مع الناس والحياة لا مجرد صورة خيالية لفنان كبير اختلف النقاد حول شعره ، وان كان هناك اتفاق على قيمته واهميته . وهذه الصورة التي يرسمها سكرتير شوقي للشاعر الكبير هي ـ على صدقها وجمالها وبساطتها ـ صورة غير كاملة ، ولا تكشف لنا أعمق أسرار حياته . ولكنها مع ذلك تعطينا صورة لجانب حي وغير معروف في شخصية شوقي ، وليتنا نجد الكثير من هذه الصور لادبائنا الكبار ... يكتبها الذين اقتربوا منهم وعرفوهم في حياتهم الخاصة معرفة دقيقة ...

وجاء النقاش

زاوية الرؤية



التحضر بدون الكتاب .. مستحيل

الاقبال الذي كان مفاجئا للجميع على اقتناء الكتب – من قبل الرجال والسيدات والفتيان والفتيات – في معرض الكتاب العربي بالدوحة لا ينحصر في نطـــاق المعرض ونجاحه .

هذا الاقبال يعني اشياء كثيرة يجب ان نتبينهـــا ونسترشد بها في نشاطنا الثقافي خاصة .

كنت أتصور ان مجالات الترفيه في مجتمعاتنا قـــد قضت على اهتمام الانسان بالكتاب وبالقراءة وبالثقافة الجادة وقيمها وقضاياها ومعاناتها . كنت أتصور ان التلفزيون قد انتصر على الكتاب والقى به بعيدا عن أيدي الناس الى زوايا الاهمال والنسيان . وكنت اخشى ان انساننا وقد أصبح قادرا من الناحية المادية على كل انواع الترفيه من سياحة وسفر وتسلية لم يعد مهتما بالكتاب وما يتطلبه من مكابدة وتركيز واهتمـــام وهمـــوم .

ولكني اكتشفت شيئا فشيئا عندما تحدثت الى اصحاب دور النشر في المعرض ومفاجآتهم بالاقبال فوق المتوقع ، ثم شاهدت الزحام حول الكتب ، انني كنت متشائما في تقديراتي وان الكتاب ما يزال شيئا مطلوبا من الناس ، يأتون اليه رغم بعد المكان ، ويشترونه بالمال ويتحملون في سبيله البحث والمشقة .

ان اهتمامي بمسالة مكانة الكتاب في مجتمعـــاتنا مرجعه الى ايماني بان الكتاب هو اساس التحضر الاصيل، وان ما نشهده من مخترعات ومصانع ووسائل مادية هي نتائج مباشرة للجهد العلمي النظري النابع من الكتاب اصلا . فكل الاختراعات بدأت افكـــارا في الكتب ثم انتقلت من عقل الى عقل حتى انتقلت الى حيز التنفيذ . وكل الرجال العمليين اليوم في التكنولوجيا او السياسة او الاقتصـــاد لا يستغنون عن الكتاب فهناك منطلقهم حيث الاسس والمبادىء والنظريات لاختصاصاتهم .

ونحن اليوم نستطيع شراء كل منتجات الحضـــارة المادية ، ولكن يجب ان ندرك امرا هاما وهو اننـــا لن نتحضر الا اذا استوعبنا جذر الحضارة ونبعها ، اي القدرة على معايشة الكتاب ومكابدته والابداع من خلاله . هذا ما لا نستطيع ان نشتريه من الغرب بكل ما لدينا من مال . يجب ان نتعلمه ونتعوده ونحبه ونكابد في سبيله حتى يصبح جزءا منا .

وعندما اسقط الغزو المغولي الاف الكتب العربيـــة في نهر دجلة لتعبر عليها خيوله كان ذلك ايذانا بانتصار البربرية على الحضارة العربيـــة التي لم تهتم بشيء اهتمامها بالكتاب . فحضارتنا قامت على اساس الكتاب فكان كتابها الاول « كتاب الله » الذي بدأت اياتـــه بكلمة « اقرأ » . والاسلام تسامح مع اصحـــاب الديانات الاخرى لانهم من « اهل الكتاب » وكان الاسلام قد جاء اساسا ليعطي « الاميين » رسالة مكتوبة يتعلمونها ويعلمونها للانسانية جمعاء .

ومن حسن الحظ – كما تبين من الاقبال العفـــوي الرائع على الكتاب هنا في الدوحة – ان انساننا رغم كل المغريات المادية ما يزال يبحث عما يفتقده من حاجات معنوية وروحية بين ثنايا الكتب ، وان نهضتنا الحاضرة بخير وهذا خبر ســـار .

يبقى على المسؤولين والمرشدين الثقافيين في كـافة المجالات ان يستغلوا هذه الرغبة الخيرة استغلالا خيرا فيوفروا ويوسعوا من فرص القراءة والاطلاع ، وعرض الكتب وتقييمها ونقدها والتحدث عنها على أوســـع نطـــاق .

ونحن مهما بحثنا عن رمز جامع يحمل معاني التحضر والرغبة فيه والبحث عن الحقيقة والشغف بها فلن نجد غير الكتاب ، رغم انطلاق صواريخ الحضارة المعاصرة الى القمر . بل ان هذا الانطلاق لابد أن تسبقه القدرة على الانطلاق بحيوية بين طيات كتاب مبدع ...

محمد جابر الانصاري



التيار الأساسي الذي يوحد المجتمع الحديث

مازن البندك

الراي العام جسم هلامي لا يمكن تحديده او تعريفه فهو حصيلة لعدد من الحقائق والاوهام والمشاعر والآراء التي تعبر عن نفسها بشكل من اشكال التعبير المسالم او العنيف بحسب القنوات المتاحة وقدرة استيعابها لتحركات الراي العام .

ويميل البعض الى الاستهانة بالراي العام لان الشعب « عقله في اذنيه » . فشكسبير يسخر من الراي العام في روما القديمة سخرية شديدة في مسرحية « يوليوس قيصر » حين يعرض بروتس وهو ينافح عن قتل قيصر فيؤيده الجمهور ثم يعرض بعد قليل مارك انطوني ومن بين قتلة قيصر فيفتتن به الجمهور . ويبلغ احتقار شكسبير للراي العام بان ابتدع كلمة مهينة لوصف عامة الناس ، في هذه الرواية ، هي « تاغ — راغ » وهي توازي في اللغة العربية الرعاع او الصعاليك .

فهل اختلف الراي العام في ايامنا عن الراي العام في روما القديمة ؟!

نوعان من الراي العام

الاجابة هي ان الراي العام في بلد يختلف عن الراي العام في بلد آخر ، في احكامه والمؤثرات المكونة له ومقاييسه ، بدرجة اختلاف مستوى التحديث والحضارة بين البلدين . فالراي العام في المجتمعات الغربية الصناعية الكاملة النمو يختلف عن الراي العام في مجتمعات العالم الثالث النامية والتي لم يكتمل نموها بعد . ففي المجتمعات الجديدة في العالم الثالث يتعرض الراي العام لذبذبات هائلة وتتعدد فيها الاتجاهات التي تهدد المجتمع بالانقسام احيانا . ولكن تطور وسائط الاعلام واحتكار الحكومة لهذه الوسائط في مجتمعات العالم الثالث اتاح فرصة لايجاد راي عام متآلف ومنسجم مع المنظور الحكومي ، باستثناء الحالات المتعددة التي تقصر فيها كل عبقريات الاعلام عن طمس بعض القطاعات المعادية التي يحياها الناس ، سواء كانت هذه القطاعات نتيجة للظلم او القهر او التمييز العنصري او العرقي او الاحتلال الاجنبي .

اذن ، يمكن القول ان هنالك نوعين من الراي العام : الراي العام في مجتمع صناعي حديث قد اكتمل نموه والراي العام في مجتمع جديد في طور التكوين .

العمود الفقري للامة

ويتميز الراي العام في المجتمع الكامل النمو والمستقر بوجود « تيار اساسي » هو العمود الفقري لوجود الامة مهما اختلفت الآراء وتنوعت المدارس السياسية . ويمكن تمييز هذا « التيار الاساسي » في المجتمعات المتقدمة سواء الراسمالية او الاشتراكية .

التيار الاساسي

ففي الاتحاد السوفييتي ، مثلا هنالك « تيار اساسي » يسود المجتمع وينبع من النظرية السائدة فيه والتي يقوم المجتمع عليها والتي تم وضع اسسها منذ سنة ١٩١٧ ، ولو ان هذا « التيار الاساسي » قد تكون نتيجة للانفراد بالسلطة .

ويقول بعض المراقبين للمجتمع السوفييتي ان حركات الاحتجاج والاعتراض التي يحمل لواءها عدد من الكتاب والمثقفين لا تجد صدى في الراي العام السوفييتي وانها مجرد صرخات في البرية تنتهي باصحابها الى الهجرة للخارج . هذا اذا اهملنا القول بان جزءا من هذه الحركات هو نتيجة للعنصر اليهودي الرافض للانصهار في المجتمع او التآلف معه . ويضيف مراقب سياسي غربي بان حركة المنشقين السوفييت التي لا تلقى اي دعم من الراي العام يمكن ان تنتهي باصحابها الى الضرب والركل حتى الموت على الارصفة لو تركت السلطات امرهم الى افراد المجتمع ، ذلك ان « التيار الاساسي » داخل المجتمع يلفظ هذه الحركة الخارجة عليه .

الماغنا كارتا ومجلس العموم

وفي الجهة المقابلة ، في المجتمعات الغربية نجد ان هنالك « تيارا اساسيا » هائلا هو اساس هذه المجتمعات القائمة على الديمقراطية والحرية والتنوع السياسي .

الرحلة البريطانية على طريق الديمقراطية

الاستقطاب التاريخي في المجتمع الفرنسي



نابليون

ولكن الملاحظة الاساسية هي ان رحلة طويلة ومضنية وقاسية ومليئة بالتضحيات أدت الى قيام هذا « التيار الاساسي » .

ففي بريطانيا ، مثلا يمكن اعتبار « الماغنا كارتا » ، وهي الوثيقة التي سلمت بحقوق للشعب ، في بداية القرن الثالث عشر ، هي علامة مميزة في الطريق البريطاني الذي اوصل بريطانيا الى النظام البرلماني الحالي والذي يمكن اعتباره ايضا مساهمة بريطانية في التراث الغربي المعاصر . ولكن الرحلة ما بين الماغنا كارتا والنظام البرلماني القائم على الانتخاب الحرية وقسية المعارضة لم تكن سهلة ، فقد اعترضتها احداث خطيرة ودموية . وعبر مئات السنين من مسيرة المجتمع كانت تتعزز باستمرار الفكرة الديموقراطية . فالانتخاب المباشر ومبدأ الصوت الانتخابي لكل مواطن وخلو الحياة السياسية من الرشوة لم يتحقق كله الا مع بداية القرن الحالي . فرئيس الوزراء البريطاني « والبول » في القرن الماضي كان يحكم بواسطة الرشوة وشراء اصوات اعضاء مجلس النواب . واعطاء كل المواطنين حق الانتخاب لم يتحقق الا في المئة سنة الاخيرة . والاعتراف بالحقوق السياسية للمرأة لم يأت الا في العقدين الاولين من القرن العشرين .

الاستقطاب التاريخي

وفي فرنسا، كانت الرحلة اشد قسوة واكثر دموية فقد تزلزلت في عام ١٧٨٩ أسس المجتمع الفرنسي وضربت الطبقات الارستقراطية فيه وللكنها لم تقض عليها . فبعد الغاء الملكية في ذلك التاريخ وحتى سنة ١٨٧٠ تعرضت فرنسا لسلسلة من الهزات المتصلة العنيفة، فمن الثورة، الى حكم الارهاب، الى حكم الامبراطور نابليون، الى الملك لويس فيلب ، في منتصف القرن الماضي ، الى سقوطه، الى قيام الجمهورية ، الى قيام الامبراطورية الجديدة في شخص نابليون الثالث ، فالى سقوطه فالى قيام الجمهورية من جديد والتي اتصلت حتى اليوم . وخلال ذلك كله تميزت الحياة السياسية في فرنسا بالاستقطاب العنيف بين اليسار واليمين، حتى اذا وجدت الجمهورية الثالثة على انقاض كوميون باريس بانهيار نابليون الثالث في حرب السبعين في القرن الماضي ، تعمقت حدة الانقسام في المجتمع الفرنسي . لكن المسيرة الديموقراطية القائمة على فكرة الصوت الانتخابي لكل مواطن وحرية المعارضة والاحتكام الدوري الى الناخبين اوجد « التيار الاساسي » الذي يجمع المواطنين جميعا من اليسار الى اليمين والذي يضم الاشتات السياسية في جسم سياسي صلب هو النظام الديموقراطي .

وفي رأيي ان الحركة الجديدة التي يطلقون عليها الشيوعية الاوروبية هي انتصار « التيار الاساسي » في اوروبا الغربية على الماركسية القديمة . فالماركسية التقليدية كما طبقت في روسيا على أساس دكتاتورية حزب واحد يتولى السلطة الى الابد بهدف الغاء الفروق الطبقية وصنع مجتمع جديد ، هذه الماركسية استهوت جزءا لا يستهان به من المواطنين الفرنسيين بعد الحرب . ولكن غلبة الفكرة الديموقراطية والتعدد الحزبي وقسية المعارضة اوجد الشك العميق لدى الذين ينتمون في اعماقهم « للتيار الاساسي » في الحياة السياسية . عندئذ اكتشف قادة الحزب ان هذه الشكوك هي حائل دائم سوف يمنعهم دائما وباستمرار عن القيام بالدور الذي يتوقعونه لانفسهم فكان الاعلان عن التحول الكبير باسقاط فكرة دكتاتورية البروليتاريا وقبول الديمقراطية والاستعداد للاحتكام الدوري الى الناخبين .

وخلاصة القول ، ان المجتمعات المتطورة الحديثة تقوم على « تيار اساسي » يوحد الرؤيا مهما تنوعت الآراء واختلفت الاتجاهات والمصالح . وهذا التيار قد وجد نتيجة نمو دائم حتى اصبح الحقيقة الاساسية في المجتمع .

فاذا انتقلنا الى المجتمع العربي ، هل هناك « تيار اساسي » في الحياة العربية ؟ وهل هناك رؤيا موحدة في ارجاء وطننا العربي ؟

محمد جابر الأنصاري

أول نقد ذاتي للمجتمع المعاصر في الجزيرة والخليج

يوجهه مسؤول

من واقع تجربة التنمية

كنا في اعداد سابقة وضمن هذا الباب قد طرحنا مرارا ضرورة الربط بين ثقافتنا ومعركة التنمية التي تشهدها هذه المنطقة أملا في ان يتكون لدينا وعي ثقافي جديد يستوعب ابعاد التنمية وتحدياتها ويحمل أسس المسلكيات والاخلاقيات اللازمة لها ، وذلك كي تجسد ثقافتنا رسالة قومية عملية مثمرة تؤديها بشكل يتجاوز انتقائية المجرد والمشاعر الذاتية .

وقد سعدت هذا الشهر بالاطلاع على نص محاضرة للدكتور غازي القصيبي وزير الصناعة والكهرباء في المملكة العربية السعودية بعنوان « خواطر في التنمية » القاها في نادي الطائف الادبي بتاريخ ٢٥/٨/١٣٩٨ هـ ولا أبالغ اذا قلت انها من أدق وأجرأ ما قيل في هذا الموضوع منذ أن بدأت منطقة الجزيرة العربية والخليج تهتم بمسالة التنمية ومشكلاتها ، خاصة وان قائلها رجل مسؤول وثيق الصلة في عمله الرسمي بحقل الصناعة والبناء الاقتصادي . لذلك ومن منطلق اهتمامنا بايجاد وعي المالي ثقافي سليم وواقعي سنقوم بتقديم خلاصة فكرية لهذه المحاضرة الهامة مؤكدين لصديقنا الشاعر الدكتور غازي القصيبي اننا وان اختلفنا معه في ميدان الشعر والنقد بسبب معارضتنا الواقعية للرومانسية كما اتضح من دراستنا لشعره في اعداد سابقة من مجلة الدوحة ، فاننا في مجال التنمية نتفق معه الى حد كبير ونؤيده ونهنئه على ما طرحه من افكار وتحليل ونقد لانه ينطلق من الواقعية القومية الحضارية التي نؤمن بها ويعبر عن معاناة ونظرة مماثلة لمعاناتنا ونظرتنا تجاه قضية التنمية وارتباطها العضوي بالتحدي الحضاري في الصميم .

منهج للمعالجة جديد

واهم ما يميز معالجة الدكتور غازي لموضوع التنمية انه يخرج فورا عن التقليد الصحفي والاعلامي السطحي المتبع عادة بهذا الشأن من بذل وعود الازدهار والرخاء والتحدث عن مستقبل مفروش بالورد والرياحين كما يفعل بعض « كبار » الصحفيين العرب الذين يفدون الى عواصم هذه المنطقة ليكتبوا عن معركة التنمية من غرف الفنادق الانيقة التي يسترخون بها مقابل ما يأملون ويطمعون في الحصول عليه من اموال من الممكن استثمارها في مشاريع انمائية اجدى على المنطقة من كل ما يكتبون من موضوعات انشائية ، نقول ان الدكتور القصيبي ينقض في معالجته هذه الطريقة العقيمة في عرض قضية التنمية ويدخل مباشرة في صميم المشكلات الواقعية للتنمية ليكون على بينة من التحدي الذي تجابهه وللمهام التاريخية الملقاة على عاتق ابناء هذه المنطقة لعلهم يرتفعون الى مستواها ومستوى ما تفرضه من معاناة وصدق وتضحية ووعي .

ليس بالمال وحده

وفي طليعة الاخطاء الشائعة التي يتصدى لتصحيحها المفهوم الذي شاع في هذه المنطقة مع تراكم فوائض النفط والقائل بان المال يشتري كل شيء ، حتى النهضة وحتى الحضارة ، وانه ما دام المال متوفرا بين ايدينا فاننا نستطيع حل كل مشكلة مهما عظمت . هذا المفهوم الفاسد والمضلل ينقضه الوزير المعاصر على النحو التالي : « .. وحقيقة الامر ان ضخامة مواردنا المالية لا تعني بصفة تلقائية وسريعة انتهاء جميع مظاهر التخلف . باستطاعة الواحد منا ان يشتري تذكرة طائرة الى باريس ، ولكن لا توجد تذكرة مهما كان ثمنها تنقل الينا مرافق باريس وخدماتها . لقد كنا نتصور ذات يوم ان توفر المال الكافي سيؤدي بطريقة سحرية الى تحقيق التنمية . ولقد اثبتت تجربتنا وتجارب الدول المحيطة بنا خلال السنوات الثلاث الماضية اننا كنا واهمين في هذا التصور . اننا لا نستطيع القضاء على كل مشكلة بالقرار معونة او بالانفاق السخي على حلول عاجلة . ان المعونات رغم اهميتها الاجتماعية تشكل من الناحية الاقتصادية الصرف انفاقا غير ذي مردود . ان هدفنا الاساسي وهو تنويع مصادر الدخل يتطلب منا ان توجه معظم

لا توجد تذكرة تنقل إلينا الحضارة الحديثة بالطائرة

أثبتت التجربة أن المال ليس وسيلة سحرية للنهضة

وارداتنا الى استثمارات بعيدة الاجل في الصناعة والزراعة والتجهيزات الاساسية . ومن الواضح ان تخصيص الجزء الاكبر من دخلنا للمعونات يعرقل هذا الهدف . كما ان التجارب علمتنا انه لا توجد حلول عاجلة لبعض المشاكل . بوسعنا ان نشترى احدث المستشفيات في اسابيع ، ولكن تدريب الطبيب الواحد . مهما كانت ثروتنا ومهما كانت عجلتنا ، يحتاج الى سبع سنوات . بوسعنا ان نبني جامعة خلال اشهر ولكن تكوين هيئة تدريس عملية تحتاج الى سنين طويلة . ان الاعتقاد ان كل شيء يمكن ان يشترى بالمال ، وكل مشكلة يمكن ان تحل بالمال ـ وهو للاسف اعتقاد لا يزال يساور عدد كبير من المواطنين ـ لابد وان يقود في النهاية الى خيبة الامل . بل ان الامر لا يقف عند هذا الحد ، فالاسراف في الانفاق اذا لم تكن لدى الاقتصاد قدرة على استيعاب ما ينفق ، يحول المال من نعمة الى نقمة ويوجد سلسلة من الضائقات والازمات » .



عدو بألف قناع

الآن يجب أن نعيد للمال في تفكيرنا حجمه الحقيقي الذي لا يتعداه ، وأن ندرك بعد ذلك أن التنمية ليست مجرد استثمار للاموال ، فهي سواء في الغرب أو الشرق كما يشير المحاضر : « لم تتحقق بيسر وسهولة بل كانت مشوبة بالعناء والعرق والدموع » ... « التنمية حرب منيعة ضروس ضد عدو ماكر شرس هو التخلف . عدو يلبس الف وجه ، ويختفي تحت الف قناع ، ويحاربنا في الف ميدان من داخل انفسنا وخارجها . التنمية معركة ضارية تتطلب منا كل ما نملكه من شجاعة وايمان » . هذه المعركة المصيرية هل ادرك المواطن في المنطقة ابعادها وحقيقتها ؟ لا يرى المحاضر ان ذلك قد تحقق بالشكل الامثل . فما زالت في مسلكياتنا تجاه التنمية سلبيات كثيرة : « انني اتألم اشد الالم عندما اجد مواطنا يفقد كل اهتمام بمشروع من مشاريع التنمية لمجرد ان تنفيذه يستغرق اربع او خمس سنوات . اتألم عندما اجد احدا يسأل ماذا اعطتني التنمية .. دون ان يسأل ماذا اعطيت للتنمية ؟.. ان واجبنا نحو اطفالنا يحتم علينا ان نتحمل نصيبنا من التضحية ، كما تحمل آباؤنا نصيبهم » .

ارسلوهم الى الجندية

وينتقد المحاضر بنقده الاجتماعي الى امور اكثر تحديدا تلتصق بأحوال مجتمعات المنطقة وخاصة اجيالها الجديدة : « ان اخشى ما اخشاه هو ان تكون خلال عبورنا من عصر القلة الى عصر الوفرة اضعنا بعض الصفات التي تحلى بها جيل الآباء العظيم : العنفوان والقوة والصبر والاصرار . انني اشعر بكثير من القلق وانا اشاهد بعض ابناء الجيل الجديد يتسكعون بسياراتهم صباح مساء . متربصين ترين النساء لا يكادون يحسنون شيئا سوى العبث باجهزة التسجيل والفيديو ، وارجو ان يأتي قريبا اليوم الذي يفرض فيه على كل شاب في المملكة ان يخدم وطنه في معسكرات الجندية يتعلم منها الرجولة والانضباط والخشونة ، وهي امنية نرجو ان تتحقق على صعيد المنطقة كلها ، ليشعر المواطن بواجب المواطنية ومسؤولياتها قبل ان يحق له المطالبة بنصيبه من الثروة والرخاء والاستمتاع . فالمواطنية الحقة تبدأ بالقيام بالواجب ، ولا يجب أن تنحصر بأي حال من الاحوال في مجرد الحصول على الامتيازات العديدة باسم الانتماء الى الوطن . لان الانتماء يفقد معناه اذا لم تؤكده التضحية في سبيل الواجب الوطني في مختلف الميادين » .

تضحيات صغيرة .. ولكن

وينقد اكثر صراحة لمسلكية المواطن تجاه التنمية

التخلف هو العدو الأكبر الذي يحاربنا في ألف ميدان

شباب المنطقة بحاجة الى انضباط الجندية

في حياته اليومية وتمط معيشته وتهبو ممنه يقـول الوزير : « ان التضحية المطلوبة منا ليست تضحية بالنفس او المال ، فنحن بحمد الله لا نمر بأزمات طاحنة تدعو المواطن الى التضحية بنفسه أو بماله • التضحية المطلوبة هي ان نعمل ساعات اطول مما يعمل غيرنا • ان نتقن ما نعمل ، أن نتحمل بين حين وآخر شيئا من الصعوبة أن ندرك ان الحفريات شر لابد منه لايصال الخدمات العامة ، أن نتحول الى المعلبات اذا ارتفعت أسعار الخضروات الطازجة ، أن نلجأ الى اللحوم المبردة المثلجة اذا كان سعر اللحوم الطازجة ليس في متناول أيدينا ، أن يؤجل الواحد منا بناء بيته المتواضع الى ما بعد اذا وجد نقصا في الاسمنت أن يحاول الواحد منا أن يستثمر بمدخراته أسهما في شركة صناعية او تجارية بدلا من شراء سيارة لابنه المراهق •• » .

الاتكالية •• الى متى ؟

هذه السلكيات السلبية تراكمت لتجعل المواطن مجرد متفرج على التنمية يضع العبء كله على الحكومة ويقف هو بعيدا دون اسهام ايجابي •

ويبلغ هذا التحليل النقدي غايته عندما يعلن الوزير المعاصر : « ان حديثنا عن التضحية في حقيقة الامـر ليس الا حديثا عن دور المواطن في التنمية ان البعض يتصور مع الاسف ان التنمية مسرحية لبقة تعرض امـام المواطن وما عليه الا أن يعلن استهجانه او استحسانه • ان روحا من الاتكالية بدأت تدب بين صفوفنا وتدفعنا بالقاء العبء كاملا على الحكومة • ان التنمية لا يمكن أن تنجح مهما قدمت الدولة من خدمات واقامت من مشاريع، ما لم يقم المواطن بدوره الكامل ، ولكل مواطن ، اينمـا كان ، دور يؤديه في التنمية : بامكان كل منا ان يستعرض عشرات الامثلة من حياته اليومية : المواطن الذي يلقي بالقاذورات في الشارع مقصر في حق التنمية • المواطن الذي يشغل الاجهزة الحكومية بمطالبات غير واقعيـة او بشكاوى كيدية مقصر في حق التنمية ••• المواطن الذي يطلب مكافأة خارجية ويتحدث لمدة نصف ساعة مقصر في حق التنمية ، وهلم جرا •••• » .

أهمية الاعداد للغـد

واذا كان قسم لا يستهان به من المواطنين لم يرتفع بعد الى مستوى متطلبات التنمية ، فان الامر قد انسحب أيضا على طريقة تربيته لابنائه ، فاصبحت تربيتنا المنزلية بعيدة عن الرؤية الانمائية ومتطلباتها • وبالاسلوب الصريح المباشر ذاته يعرض الدكتور القصيبي هـذه المسألة : « ••• لا أعتقد انني اتجنى على الحقيقة اذا قلت ان كثيرا من عائلاتنا تربي الاطفال على نحـو يجعلهم عاجزين في المستقبل عن تحمل دورهم في التنمية • أعرف بيوتا كثيرة تسمح لابن السابعة او الثامنة بالسهر الى ما بعد منتصف الليل ثم ينهض الطفل في الصباح مرهقا متعبا بعد معركة مع أمه وابيه ، ويقضي نهاره في الفصل شبه نائم ، ثم يعود الى المنزل لينام الى ما بعد العصر وهكذا ـ ولسنا بحاجة الى كثير من الذكاء لنتبين ان هذا النمط من الحياة اذ يهـدر وقت الراحة في العبث ، ويهدر وقت العمل في الراحة ، ليس النمط الأمثل لمواجهة متطلبات التنمية • واعرف بيوتا كثيرة تعتقد ان معنى الحب هو ان تترك الطفـل يفعل ما يشاء ، وان نحقق كل اهوائه ونزواته وتعالج بالتفتيش والرضاعة ، ومثل هذه التربية لا يمكن ان تنتج الا انماطا شاذة متكاملة من خبراء الاناقة والتسكع وتحطيم الناس •• » .

وتنال المدرسة ايضا نصيبها من النقد : « هـدف المدرس يجب أن يكون تدريب الطالب وليس تلقينه • وهناك فرق شاسع بين طالب مدرب ، وطـالب ملقن وبامكاننا ان نطلب من انسان ما ان يقرأ كل الكتب التي تبحث عن السباحة ، ولكننا نحكم عليه بالغرق اذا لم تدربه قبل القائه في الماء •• » .

وعلى الصعيد الاداري

واذا كان المواطن مسؤولا عن نصيبه من التقصير ، فان الجهاز الاداري ايضا تقع عليه مسؤولية اكبر : « ان كل مواطن مسؤول عن التنمية ، ولكن مسؤولية موظفي الدولة ، كبارا كانوا ام صغارا ، اثقل واعظم باعتبارهم مؤتمنين على تنفيذ الجزء الاكبر من مشاريع التنمية • على كل موظف ان يذكر نفسه ، مرة في اليوم والف مرة اذا لزم الامر انه خادم للجمهور • ان التنمية تتعثر بازدحام الموانىء ، ولكنهـا تتعثر ايضـا اذا اصطدمت بعبارات مثل : معاملتك ضاعت ، او راجعنا بعد شهر ، أو المدير غير موجود ، ان معاثق التنميـة لا تقتصر على ضعف التجهيزات الاساسية بل ان هنـاك معاثق ادارية لا تقل خطورة كتعقيد الاجراءات وتأجيل القرارات ، او الجبن عند اتخاذها ، ورفع كل صغيرة وكبيرة الى الرؤساء ، والعجز عن التفكير والابتكار » .

مواطننا تنتظره مسيرة طويلة من العمل والتضحية

نريد مدنا جديدة تتغلب فيها المحبة على الاسمنت

ومسألة اخرى خطيرة قد يتعرض لها الاداريون وهي الاغراء المالي حيث : « الاموال الضخمة التي تحت تصرف موظفي الدولة - تجعل من هؤلاء الموظفين عرضة لاغراء رهيب لم يعرف له تاريخ الخدمة المدنية في اي دولة من الدول مثيلا - الطلبات المتزايدة على كل سلعة وعلى كل خدمة تجعل بامكان مقدمي هذه السلع والخدمات ان يحصلوا على اي مبلغ يطلبونه مهما كان فاحشا » .

نزعة الاستهلاك

لم تتلخص هذه السلبيات وتتركز في تضخم النزعة الاستهلاكية على حساب كل القيم الايجابية لان « الثراء يحمل معه خطر الاخلاد الى الراحة والترف والمتع - لقد بدأنا جميعا نشهد تسلل النزعة الاســـتهلاكية التي لا تقلها الى قلوبنا وبيوتنا حتى اصبحت متطلباتنا المادية لا تكــاد تنتهي : الســـيارة ، فالتلفزيون ، فالتلفزيون الملون ، فالفيديو ، فسيارة اخرى للاولاد ، فتلفزيون ثالث وهكذا ..... » .

ان هذا التشخيص الناقد الى قلب المشكلة ...... ما يميز اليوم بالفعل المجتمعات الخليجية ، وكل علاج يجب ان ينطلق من كبح جماح هذه النزعة التي يمكن ان تبتلع كل تنمية وكل انجاز دون ان تشبع ؟

ثم يلتفت المعاصر اخيرا الى الناحية المعنوية البحتة

خواطر في التنمية

ضرورة ان يكون لدينا ايمان بقيم ومثل عليا نسعى اليها لانه ليس بالمال وحده يحيا الانسان : « ان الحصانة الروحية ضرورية في كل زمان ومكان ولكنها تصبح اشد ضرورة في حالات النمو السريع حيث يجد المـــرء نفسه مبهورا بما امامه من تطورات ، مبهورا بمغريات الحضارة المادية ومبهورا بما يتفق امامه من اموال ، مبهورا بفرص الثراء المشروع وغير المشروع » .

المحبة مع الاسمنت

ويتركنا المعاصر في النهاية مع هذا التحذير الحضاري الذي لا يسعك الا ان تتأمل فيه مليا وتحمله على الحمل ...... ان التنمية بدون محبة وتراحم وتضامن [illegible] يؤدي الى مدينة من الاسمنت والحديد يسكنها اناس لا قلوب لهم - ان علينا ونحن نشمر عن سواعدنا ونخوض خضم التنمية ، ان نحذر الوقوع في المصـــير المرعب الذي لاقى حضارات قبلنا سقطت تحت اغراء المادة فلتب الصدأ الى روحها ، واصبحت رغم ما حققته من منجزات اهانة للكرامة البشرية ومقبرة لســـعادة الانســـان » .

وبلا شك فانه من بين الركام الهائل الذي كتبـــه الكتاب والصحفيون العرب عن التنمية في الجـــزيرة والخليج باسلوب التهويل والتضخيم المشهور ، تبرز هذه المحاضرة المكثفة والقيمة على الجانب الآخر من المشهد صوتا صادقا ومخلصا وجريئا لا يدغدغ مشاعرنا بالثناء العاطر ولكنه يوقظ عقولنا وضمائرنا بالتحليل الناقد والتشخيص المباشر للعلل والادواء - وان صدورها من مسؤول كبير في حكومة اكبر بلد عربي في المنطقـــة يعتبر علامة صحية على ان قادة الرأي في هذا الجزء من الوطن العربي اخذوا يدركون الوقائع العميقة للحياة ويمضون على هديها - على اننا نرجو الا يبقى هذا الصوت كالصوت الوحيد الصارخ في البرية ، بل ان تتحـــول ثقافتنا وصحافتنا ووسائل اعلامنا الخليجية والعربيـــة الى هذا النهج التحليلي الانتقادي الصريح لقضايانا ، لانه النهج الوحيد الصالح للمجتمعات الناضجة ، القادرة على مسايرة العصر .. بعيدا عن روح التهويل والمبالغة .

محمد جابر الانصاري

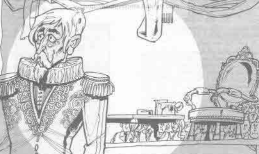
نعمان عاشور

دراسة تحليلية

دور الجمهور فى المسرح

يختلف المسرح عن بقية الفنون المكتوبة كالقصة او الرواية او الشعر فى انه فن يستحيل ان يكتمل تحقيقه بين دفتى الكتاب المطبوع وانما يتحتم لكى يكون له وجود ان يجرى تمثيله واداؤه وعرضه على جمهور حى من المشاهدين .. وبالمثل فان المسرح يختلف عن بقية الفنون التعبيرية الاخرى كالسينما والاذاعة والتليفزيون فى انه فن يستحيل ان يكتمل له وجود ايضا .. ما لم يجر تقديمه مجسما حيا امام جمهور حى من المشاهدين ...

الجمهور فى المسرح اذن عنصر اساسى وشرط جوهرى لتحقيق وجوده لان المسرح كفن يقوم اساسا على التجاوب المباشر بينه وبين الجمهور .. ومن هنا جاءت النظرة الى المسرح على انه الفن الوحيد الذى يدخل فى تكوينه الجمهور كعنصر حتمى جوهرى من عناصر خلقه ...



- جمهور المسرح ليس مجرد مجموعة من المتفرجين في الصالة !
- التجاوب المباشر شرط أساسي لمشاهدة العرض المسرحي
- الالتزام الذي يجب أن يقوم بين المسرح وجمهوره

فالجمهور في المسرح ليس مجرد مجموعة من المتفرجين وإنما هو جزء لا يتجزأ من العرض المقدم سواء كان ذلك العرض مؤلفا كنص مكتوب أصلا .. أو مرتجلا كفرجة بواسطة الممثلين . فأنت تستطيع أن تقرأ الكتاب وأنت جالس وحدك .. وتستطيع أن تشاهد فيلما سينمائيا أو برنامجا تليفزيونيا بدون شريك في داخل البيت اذا أردت وأنت جالس وحدك ولكنك لا تستطيع أن تشهد عرضا مسرحيا بمفردك لأن العرض المسرحي يستلزم بداية وقبل كل شيء .. أي .. التجاوب المباشر بين مجموع البشر الذين يقدمون العرض ومجموعة البشر الآخرين الذين لابد من وجودهم لمشاهدتهم .. وما لم يتحقق هذا التواجد بين العرض المقدم والجمهور المتفرج فلا يمكن أن يكون هناك مسرح ...

لذلك كان ارتباط الجمهور بالمسرح دائما ارتباطا عضويا لاصقا يفقد المسرح معه جوهر طبيعته وكل كيانه وشرط وجوده ، ما لم يشترك الجمهور في مشاهدته .

الجمهور كعنصر من عناصر المسرح

الحقيقة الجوهرية الازلية في المسرح اذن انه فن تجاوب حي مباشر لاصق بالجمهور الذي يشاهده . لكن الجمهور في المسرح ليس مجرد عنصر مشاهد .. فطالما هو طرف في التجاوب اليومي المباشر الحي مع العرض الذي يشاهده .. فانه يصبح بالضرورة عنصرا خلاقا يدخل في صميم العرض الدرامي أصلا وأساسا .. ونحن لكي نحدد طبيعة هذا العنصر يلزمنا بداية أن نحدد علاقته بالعناصر الاخرى .. فما هي هذه العناصر ؟

العنصر الاول هو المسرحية ذاتها .. هو النص المكتوب او المرتجل الذي يقوم على خشبة المسرح .. والعنصر الثاني هو عنصر الممثلين الذين يقومون بأداء النص وتجسيده تجسيدا حيا . والعنصر الثالث هم من يساهمون في اعداد العرض وتهيئته ليكون قابلا لمشاهدة الجمهور له - والعنصر الرابع هو المخرج الذي يقوم بتفسير العرض ونقل رؤية النص نقلا فنيا على خشبة المسرح . أما العنصر الخامس .. فهو الجمهور الذي يتلقى ما تقدمه هذه العناصر مجتمعة ...

وهذه الحلقات الخمس من العناصر كلها مترابطة وهي التي تجعل من المسرح فنا جماعيا صرفا .. وما لم تتواجد هذه العناصر تواجدا تاما مع بعضها ينتفي وجود المسرح وجودا متكاملا حقيقيا .. وقد يمكن ترجيح العناصر الاربع الاولى بعضها على بعض اذ ربما طغى عنصر التأليف - أي النص - على عنصر الاخراج وربما طغى عنصر الاخراج على عنصر التمثيل وهكذا ... ولكن .. كافة هذه العناصر مهما طغت فانها على اي من هذه العلاقات جميعا تنتهي عند الانصباب او الانكباب على العنصر الخامس وهو الجمهور لانها من الاصل عناصر تعمل على امتاعه واقناعه وارضائه وتسليته وامتاعه وافادته ...

الالتزام بين المسرح وجمهوره

ثم اننا قبل ان نحاول الكشف عن العلاقة بين الجمهور كعنصر من العناصر الجوهرية للمسرح وكل عنصر من العناصر الاخرى التي تكون العملية المسرحية في مجموعها .. يلزمنا أولا أن نحدد نوعية الالتزام الذي يجب أن يقوم بين المسرح وجمهوره ...

المسرح فن يتوجه بنفسه مباشرة الى جموع الشاهدين ولا يمكن ان تقتصر مشاهدته على فرد واحد . وهذه الحقيقة تستبعد امكان قيام مسرح من اي نوع كان يمكن أن يوجه الى ما يسمونه الفن للفن .. مثل هذه الغاية ترفضها طبيعة المسرح ذاته .. فالمسرح فن يشترك فيه جمهور بأسره من الشاهدين .. وهو لا يمكن أن يوجد الا اذا خاطب هذا الحشد من المشاهدين من جموع الناس - ولهذا يستحيل ان يقدم المسرح لذاته وبمعنى آخر أن يقوم بعض الفنانين بتقديم المسرح الى لا جمهور وان جاز تقديمه لعدد قليل من الشاهدين ، على سبيل

دور الجمهور في المسرح

الجمهور السهل يبحث دائما عن غرائز الحس والضحك الرخيص!

التجربة الفنية البحتة ٠٠ وهو ما نسميه عادة بالمسرح التجريبي ٠٠ لان المسرح مؤسسة قوامها جموع المشاهدين قبل أن يكون مدرسة أو معملا للتجارب الفنية ٠٠٠

ما الذي يريده الجمهور من المسرح عادة ؟! أو ما هو الالتزام الذي يتطلبه الجمهور منه ؟!

هناك في الواقع عدة متطلبات ينشدها الجمهور من المسرح قد يكفي أن نركز على ثلاثة منها !!

اولا ـ التسلية البحتة : وهي تلك التي يتطلبها من المسرح جمهور المشاهدين الذين ينشدون مجبرة نسيان مستوليات ومشاكل ومتاعب وصعاب حياتهم اليومية ٠٠ وهؤلاء لا يبتغون من المسرح ما هو أبعد من التسلية عن النفس ولا يطيقون الا مشاهدة المسرحيات الفكاهية الخفيفة او المسرحيات الموسيقية المسلية ، وهذا ما يسمى في العرض الدرامي بالجمهور السهل ٠٠ ومن جموعهم تتكون الغالبية التي ترتاد المسرح مع الله مجبرة تسلية خالصة ٠٠ وهم يمثلون عادة الرصيد الاساسي للمسرح التجاري القائم على اثارة غرائز الحس والضحك الرخيص ودائما ما يكونون من بين الطوائف الاجتماعية المترفة وان كان العديد من اصحاب العقول الكبيرة بين المثقفين الجادين من يحلو لهم مشاهدة مثل هذا اللون من الوان المسرح ٠٠٠

وثاني المتطلبات التي تنشدها فئات اخرى من الجمهور ما يراه البعض من ان المسرح اساسا يجب أن يقدم لهم درسا أو عظة أو عبرة فيصور لهم الحياة التي تروقهم وترضيهم ٠ وهؤلاء يستجدون دائما ما يخرج عن هذا النطاق ويصرون على تقديم المسرحية النظيفة أي الخالية من كل خروج عن الاخلاقيات التي يتمسكون بها ولكنهم يشكلون عقبة امام المخرج الجاد نفسه لانهم لا يطيقون ان يروا في المسرح اي بادرة أو ملمح للشر وينفرون من المسرح الذي يقدم لهم صورة حقيقية عن الحياة بشرورها ومفاسدها ٠٠ ومثل هذه الفئة تسمى عادة بجمهور الاخلاقيين ٠٠ وهم قلة بالقياس الى جمهور التسلية والضحك ٠٠٠

ويقف في الطرف الثالث البعيد فئة الجمهور الذي يصر على ان المسرح فن خالص أو فن اوجه الفن لا يجب ان يحمل اي افكار او مبادىء او رسالة من اي نوع كان ٠٠ وهؤلاء لا ينظرون بعين الاهتمام الى ما يسمى بحل الشباك ٠٠ وهم ينكرون ان المسرح مؤسسة جماهيرية ويعتبرونه فنا نادرا خلق للصفوة من الممتازين وحدهم ٠

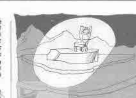
هكذا يلتزم المسرح بارضاء عديد من الحشود فنيا واخلاقيا او عن طريق التسلية والمتعة وليس هناك قطعا أي حدود فاصلة في النوعيات المتعددة لجماهير المثقفين الذين يدخلون المسرح ٠٠ ولكن هناك متطلبات متباينة ٠ « فنية واخلاقية و « متعية » ان صحت الكلمة ٠٠ وهذه المتطلبات التي يتحتم أن يلتزم بها المسرح قبل جمهوره ٠٠ تدخل الجمهور هي وغيرها من المتطلبات الاخرى في العملية المسرحية الكلية ٠٠ ابتداء من الكلمة التي يكتبها المؤلف حتى اخر حركة من يد العامل الذي يقوم بانزال الستار ٠٠٠

لكن ٠٠ كيف يدخل الجمهور كعنصر حتمي من عناصر الخلق الدرامي في العملية المسرحية الكلية بعناصرها المختلفة ؟!

الجمهور والنص المسرحي

قلنا من قبل ان النص المكتوب في حد ذاته لا يكون مسرحا ٠٠ ولكنه يبقى عملا دراميا على الورق الى ان

المقومات العاطفية والفكرية والانسانية مطلوبة في النص الجيد



يتم تمثيله وإخراجه وعرضه على جمهور المشاهدين في هذه الحالة وحدها يوجد المسرح •• ولكن النص ان يوجد ويقدم النص على المسرح •• هي العلاقة بين مؤلفه وبين الطرف الثالث الذي سيشاهده ويعني بذلك طبعا •• الجمهور •• لان انتقال النص من صفحات الكتاب الى صالة العرض •• يخلق حتما ثلاثة اطراف أو أبعاد للعملية المسرحية الكلية •• أولا المؤلف بنصه وثانيها العرض المقدم وثالثها الجمهور الذي يتحتم أن يشاهده •••

القيمة الحقيقية للنص المسرحي

ليس هناك بالقطع قواعد ثابتة يجب أن يلتزم بها صاحب النص قبل الجمهور الذي يتوجه اليه بنص وهو يكتبه •• ولكن هناك ولاشك اعتبارات عديدة تفرض على المؤلف أن يكتب نصه وفي ذهنه الجمهور الذي سيشاهده •• فلابد من وجود مثل هذا التلاحم بين الطرفين عن طريق ما يقدمه النص •• سواء كان تسلية بحتة أو فكرة مثيرة أو حتى مجرد تجربة فنية خالصة •• فالمؤلف عادة يخاطب بنصه جمهورا معينا من المشاهدين ويتوقف نجاح نصه على مدى تجاوب هذا الجمهور معه •• انه لا يكتب النص وحده اذن وانما يكتب النص من خلال أو عبر العملية المسرحية الكلية التي يتوقف ثبوتها ويرتهن تحقيقها على وجود جمهور المشاهدين •• انه يقدم للجمهور نظرته للحياة ورؤياه عنها — وهي نظرة أو رؤية مأخوذة من الحياة ولكنها ليست الحياة •• وهي صورة تكون في الحياة الواقعية للمشاهد تجربة من أبرز تجاربه وأكثرها اثارة لانها تجربة عاطفية وفكرية وخيالية قد يراها المشاهد أو يعيشها كما يعيش بقية أحداث حياته اليومية الواقعية •• ولكنه يعيشها داخل المسرح ناطقة حية بما في نص المؤلف وبالتالي يعيشها كتجربة كاشفة لحياته الاصلية •• تجربة تضاف الى بقية تجاربه اليومية العابرة ولكنها تجربة أكثر غنى لانها تضاعف من وعيه وتضيف الى متعته وتزيد من فهمه وقدرته على مقارعة الحياة وبالتالي مواجهة التجارب الفعلية الواقعية فيها •• وهو أكثر تفتحا وأكثر فهما وادراكا وقدرة على مواجهتها •••

قيمة النص المسرحي المكتوب كعنصر من عناصر العملية المسرحية الكلية اذن •• تتوقف على مدى تأثيره في جمهور المشاهدين •• وهذا لا يتأتى الا اذا كان النص يحوي من المقومات العاطفية والفكرية والانسانية والجمالية وكافة المكونات الاخرى •• ما يجعله كتجربة حية يشترك الجمهور في خوضها في حالة عرضها عليه •• متلاحمة مع المكونات الجوهرية للحياة الانسانية ••• ومن أجل ذلك يتحتم على المؤلف المسرحي أن يغوص الى أبعد الاعماق والجذور التي تربطه •• لا بجمهور مشاهديه المعاصرين له فقط •• ولكن بجمهور المشاهدين من البشر على وجه الاطلاق •• وربما على مدار العصور •• وهذا هو السر الذي يجعل مسرحيات سوفوكليس وشكسبير وموليير وتشيكوف أكثر عصرية من مئات المسرحيات الحديثة ؟!

تغيير مفهوم الدراما

على اننا اذا حاولنا تلمس الصلة بين النص المكتوب والجمهور المشاهد كعنصر من عناصر العملية المسرحية الكلية في مجالات التلاحم الموقوت المباشر بينهما ••• اعني في مدى الارتباط أو التقيد الذي يمكن أن يفرضه الجمهور على النص وصاحبه •• فهناك العديد من الاعتبارات التي يمكن حصرها بالنسبة للصلة بين النص والجمهور فصاحب النص المسرحي كما قلنا •• يكتب نصه وفي ذهنه دائما الجمهور الذي سيشاهده وبالتالي مقومات الحياة الواقعية •• حياة العصر الذي يعيشه جمهوره •• ومن أجل هذا تتغير مضامين الدراما وتتبدل بحيث تتفق •• لا فقط مع أذواق العصر •• والعصا أيضا مع ما يتبنته من قيم ومثل وتطلعات •• فهناك فرق كبير بين مأساة هاملت التي كتبها شكسبير في القرن السادس عشر ومأساة آرثر ملر التي كتبت في القرن العشرين في « وفاة بائع جوال » •• وهو فرق قد



الممثل جزء من الجمهور مثلما هو جزء من النص!

لا يكون واضحا في الاولويات اي العواطف والمشاعر الانسانية الثابتة ·· ولكنه واضح كل الوضوح فيما يحيط كلا النصين من افكار وقيم ومثل وتطلعات مختلفة ·· يؤثر بدورها على ما يمكن ان ينقله كل من شكسبير وميللر الى جمهوره من خلال نصه ··· فالنص في هذه الحالة لا يخضع فقط لتغير العصر ·· بل يخضع ايضا وحتما ·· لتغير الجمهور الذي يقدم له العرض ··

الممثل والجمهور

يأتي الممثل كعنصر من عناصر العرض في المقدمة لانه الوسيلة الرئيسية لنقل النص المكتوب الى الجمهور الشاهد ·· انه على ذلك وبالمثل عنصر الحيوية الذي ينتفي وجود المسرح بدونه وهو الربط والصق العناصر بالجمهور ·· ولهذا كان تأثره بالجمهور وتأثر الجمهور به هو الاصل والاساس في وجود ومداومة العرض ·· فقد يمكن تجاوز الاستغناء عن النص ويمكن ايضا الاستغناء عن الاخراج ويمكن ايضا الاستغناء عن المناظر والاضاءة وغيرها ·· ولكن يستحيل الاستغناء عن الممثل ·· فالمسرح قوامه عند البعض ممثل وجمهور فقط وعند البعض الآخر كلمة وجمهور وممثل ···

فما هو مدى الارتباط بين الممثل والجمهور اذن ؟؟ ان هذا الارتباط بالفعل جوهر العملية المسرحية ومحورها وهو الذي يميز المسرح عن كافة الفنون الاخرى ·· ففي السينما والتليفزيون ممثل ·· ولكن صلته بالجمهور تقف جامدة في داخل صورة ميتة ·· بينما تقوم الصلة بين الممثل والجمهور في المسرح على اساس المباشرة الحية المتجددة يوميا وفي كل عرض ·· وهي صلة لا تقف عند حد التجاوب المؤقت ولكنها تنصرف الى تجاوب خلاق دائب يكتسب فيه الممثل قدرته وحيويته ومهارته من الجمهور نفسه ·· فعلى قدر ما يستطيع الممثل النفاذ بادائه الى جمهور المشاهدين على قدر ما يتأثر هذا الجمهور به ويؤثر فيه ···

لكن عملية التمثيل امام الجمهور ليست عملية تمثيل بالفعل ولانها عملية اعادة او عرض تجربة حية يشترك فيها الممثل مع الجمهور ويشركه فيها معه في استعادة متصلة مكثفة لتجارب حياته او لصورة من صور الحياة التي يعيشها معه وهو خارج العرض في الحياة العادية ·· يأتي ليقدمها له داخل المسرح ليمكنه من فهمها وادراكها واستعادتها بكل ما تحمل وراءها من

شكسبير



برخت



دلالات يفوته تبينها في الحياة العادية فيعيد الممثل تقديمها له طازجة حية ولكنها مبلورة وناضجة · فالممثل والحال كذلك ليس مجرد شخصية من شخصيات نص مكتوب بقدر ما هو شخصية من شخصيات الحياة التي يعيشها الجمهور معه بالفعل في اثناء عملية التمثيل ·· وهو في هذه الحالة ليس الشخصية التي يقدمها من شخصيات المسرحية بقدر ما هو الشخصية التي تنتقشه من بين الجمهور المشاهد وهو يؤدي شخصيته المسرحية المرسومة له · انه جزء من الجمهور مثلما هو جزء من النص ومهمته ان يقنع الجمهور بانه ليس وليد النص بقدر ما هو وليد الجمهور نفسه

الجمهور واساليب العــــرض المسرحي

ننتقل بعد ذلك الى الصلة بين الجمهور كعنصر من عناصر المسرح والعنصر الثالث والذي حدداه من قبل وهم جموع الفنانين الذين يساهمون في اعداد العرض وتهيئته ليكون قابلا لمشاهدة الجمهور · ان هذا العنصر جديد على المسرح وهو عنصر لا يتوفر وجوده من قبل لان المناظر التفصيلية (الديكور) والملابس الملائمة والاضاءة الفنية والموسيقى المصاحبة وغيرها مما يهيىء العرض المتكامل ·· كلها عناصر جديدة ودخيلة على المسرح منذ الستين من قبل بدونها فلم تكن تعتبر كما هي اليوم من الضرورات التي لا غنى عنها انما كان المسرح عبارة عن النص والمحتوى المكتوب او غير المكتوب احيانا (الرتجل) ومن يؤدونه على الخشبة امام جمهور النظارة ···

اما كيف وجدت ولماذا وجدت هذه العناصر فلانها اضافات ادخلت الى المسرح كعرض لخدمة هدف واحد هو اقناع الجمهور او بالاحرى خلق التكامل الواجب لاشباع جموع المشاهدين فالمسرح كما هو معروف لا يقدم

المخرج هو القائد الذي يجعل من المسرح عرضا قابلا للمشاهدة !

الحياة كما هي .. ولا مجرد رؤية الكاتب للحياة كما يريدها أن تكون .. ولا ايضا ما يمكن ان يؤديه الممثل لتحقيق مثل هذه الرؤية .. وانما يقدم المسرح لمشاهدة التجربة المكثفة للحياة بكل ما يحيطها من مناظر واشكال والوان واصوات وليس فقط مجرد افكار النص وحركات التمثيل ...

ثم ان هذه العناصر التكميلية انما ادخلت على المسرح لتحقيق هدف واحد هو الربط بين ما في النص الذي يكتبه المؤلف وما في الاداء الذي يقوم به الممثل وما في التفسير أو الرؤية التي يقدمها المخرج .. وبين ما في حياة الجمهور وذهنه وخياله وعواطفه ومشاعره وافكاره من ايحاءات ومنطلقات يمكن ان يفكر فيها ويشعر بها او يتأملها وهو يشارك في العملية المسرحية الكلية اثناء المشاهدة ..

الجمهور والمخرج

اما العنصر الرابع من عناصر العملية المسرحية وهو المخرج : فصلته بالجمهور كعنصر من العناصر الرئيسية تعتبر من الصلات الجديدة (المستحدثة) في حياة المسرح وتاريخه وتطوره ولكنها مع ذلك صلة لاصقة وهي قد لا تكون صلة مباشرة سواء في تجسيدها الواقعي كصلة الجمهور بالنص وما يحويه من مشاعر وتوارد وافكار وتأملات ، او كصلة الجمهور بالممثل

لكن المخرج هو القائد والموجه وهو المنسق والموحد والخالق الذي يربط بين كافة العناصر التي تجعل من المسرح عرضا قابلا للمشاهدة بواسطة او معرفة الجمهور: وبهذه الصفة يدخل في صميم العملية المسرحية الكلية وبالذات بعلاقته بالجمهور لا كمفسر ولا كناقد وانما كخالق قادر على أن يقدم للجمهور المسرح الذي يشاهده : هو الذي وبالدرجة الاولى عنصر ترتبط جهوده بالعرض الذي يقدمه من النص بواسطة الممثلين ومن خلال الديكور والاضاءة والموسيقى بما يجب أن يراه الجمهور ويتجاوب معه ويتفاعل به ويؤثر فيه بقدر ما يتأثر به :

تحطيم الحائط الرابع

نستطيع ان نتبين من كل ما تقدم ان الجمهور يدخل في كيان المسرح ووجوده كعنصر جوهري من عناصر تحققه .. ومن هذه الحقيقة وبسبب ثبوتها يتطور المسرح كفن تعبيري جماهيري يتطور دائما نحو مزيد من التلاحم والارتباط بالجمهور .. ولذلك لم يعد غريبا ان نشهد في السنوات الاخيرة من حياة المسرح .. والمحاولات الدائمة المتلاحقة لدمج الجمهور في العرض المسرحي واشراكه فيه كعنصر مكمل من عناصر العرض . فلقد اصبح من الشائع المنتشر في الفترات الاخيرة من تطورات المسرح ان يكون هناك عرض لا يحاول مؤلفه او مخرجه او حتى ممثله ان يشرك الجمهور فيه سواء أكان ذلك على صورة ممثل يقوم من الصالة للاشتراك في العرض . او ممثلين يتجاهلون العرض كلية ويتوجهون بذواتهم مباشرة لمخاطبة الجمهور وهو ما درجنا على أن نسميه تحطيم الحائط الوهمي او الحائط الرابع في العرض ... وهو ذلك الحائط الذي يكونه الجمهور بتواجده في الصالة والبناوير والالـــواج وفي اعلى البلكون ...

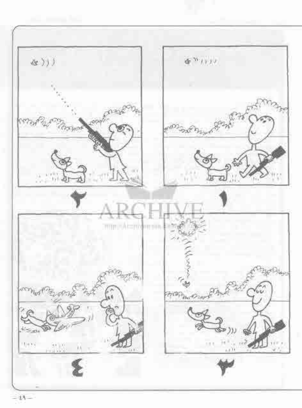
الفصل بين الجمهور والمسرح

لكن ... لعل ابرز ظاهرة قد تستلفت النظر هنا بين هذا الدمج المتصل للجمهور في المسرح من داخله كنص او من خارجه كعرض .. النظرة التي جاء بها « برخت » في مسرحه الملحمي .. وهي محاولة الفصل بين الجمهور والمسرح وتأكيد اهمية ضرورة الانفصال بين الجمهور وبين ما يشاهده من عروض مسرحية ...

والواقع ان البريختية قد تبدو في ظاهرها محاولة لابعاد الجمهور عن المسرح لكي يكون متقبلا اكثر منه عنصرا خلاقا يدخل في صميم العملية المسرحية الكلية .. « لكن الحقيقة ان مسرح « بريخت » كنص المكتوب ينتمي بكل تفاصيله الى التراث المسرحي القائم على حتمية تواجد الجمهور كعنصر جوهري خلاق فعال في تجاوبه مع بقية العناصر الاخرى المكونة للعملية المسرحية .. انما الذي يميز مسرح « بريخت » في ظاهره .. الفصل بين الجمهور كعنصر تلقي منفصل اكثر منه عنصر تجاوب فعال متلاحم .. هو طريقة اخراج بريخت لمسرحياته ذاتها .. وقد كان بريخت يسعى دائما كمخرج لمسرحياته أن يطوع المسرح لتحميله رسالته التعليمية تحميلا مباشرا اكثر منه وسيلة تعبير اجتماعي حي .. ومع كل فالجمهور في مسرح « بريخت » وباسلوبه في الاخراج الذي استحال استمرار تحقيقه بعد وفاته .. يشارك بانفصاله في عملية الخلق .. لانه انما يكون في هذه الحالة بمثابة الصدى الخلاق المتحرك للعرض المسرحي الحي الذي تشاهده ...

نعمان عاشور




١
٢
٣
٤





مع شبابنا الباحثين

● عندما يلبد الجو بغيوم الحيرة • وتنعدم القدرة على رؤية الافق ، والتمييز بين الصدق والكذب، والحقيقة والنفاق ويتشابه العقلاء والبلهاء ، والدعار والشرفاء • ويستحث السير صوب حافة اليأس من هذه التخبطيات التي تعرض على مختلف المسارح ، ويصل الامر الى اقتناع الطبيب بان في المقدور تجاوز كل قوانين العلم التي عرفها الناس خلال مئات القرون وتخليص جسم انسي او حيواني او نباتي من ميكروب مدامر او جرثومة غازية او عقار سام، باظهار النوايا الحسنة واعلان الود والرغبة في الاخاء والمهاء البناء ، يحلو السعي للتحليق في جو اضغاث الاحلام مع شبابنا الباحثين فيما يلي ...



● هناك نوع من الشعر العامي تطلق عليه اسم « الشعر النبطي » وهو شعر البادية العربية بلا استثناء بين المحيط والخليج، وينتشر على وجه الخصوص فيما بين شمال الصحراء الشرقية المصرية (غربا) وبين الساحل العربي للخليج (شرقا) وفيه من المعاني والحكم والامثال الكثير من الرقي والنضوج الفكري والوجداني ، ولكنه لا يحترم قواعد النحو والصرف مقدار ذرة ، ويتجاوز البحور التي قال بها الخليل بن احمد ، ويلتزم القافية في شطري البيت • وموطن البيت الذي ارجوه ، هو : هل تسمية هذا الشعر البدوي باسم « النبطي » منسوبة الى قبائل الانباط العربية التي سكنت المنطقة الواقعة بين الساحل الغربي للبحر الاحمر والساحل الشرقي للخليج فيما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثاني بعده – اي قبل الاسلام ، وهذا يعني ان اللهجة النبطية السائدة الآن ظلت موجودة مستمرة متصلة منذ ما قبل القرن الثالث قبل المسيحية ، ام ان « كلمة نبطي » نسبة الى « النبط » وهم « الفلاحون » من عمال الزراعة في بلاد السواد « العراق » من الذين كانوا لا يتكلمون العربية الصحيحة كما يفعل البدو اليوم ؟ لعل الجواب على هذا السؤال يتسبب في منح دكتورات وماجستيرات لبعض ابنائنا من الباحثين في هذا المضمار •

● نحن نعلم ان « زيت البترول » هو حصيلة الضغط والحرارة خلال ملايين السنين في احشاء طبقات القشرة الارض على كائنات حية « نباتية وحيوانية » اي على مواد عضوية، بلدة اوجدها الله على وجه الارض قبل ان يوجد ولو آدم وحواء ، ونحن نعلم ان زيت البترول هذا ، سائر الى الفناء ويأويل الحضارة (المدنية) المعاصرة لو نفد هذا السائل الاسود من مكامنه قبل العثور على بديل له تدبر به ما يدور الآن بالبترول، فهل في وسع جميع اساتذة الكيمياء العضوية في ارجاء الوطن العربي ، مهد البترول العتيد ، ان يوجهوا نظر البحث نحو التعرف على امكانية تحويل (الطحالب وغيرها من النباتات) التي تسد مجرى النيل في جنوب السودان على وجه الخصوص ، الى شيء يشبه البترول باستخدام الضغط والحرارة والعوامل المساعدة (الكتاليست) ويجعلوا لهذا البحث من طلبتهم الاذكياء الانكياء من يمكن ان يسدوا الى البشرية صنيعا عجيبا ؟؟؟


كمال سعد
رايات
الطيور
الملونة
ترقص وتبكى فى أوربا



رايت الغجر في اوربا يرقصون ويتشاجرون ويسرقون !

رأيتهم غارقين حتى النخاع في المآتم والأحزان !

عندما قلت ذلك ، رمقني بنظرة فاحصة وهو يقول :





أتعامل مع كل الوجهاء بلباقة ..
واجعلهم في قمة السرور وأنا ..
أنفض جيوبهم من كل أنواع البنكنوت !

وغرقنا سويا في الضحك .. لأبدأ رحلتي مع ذلك الانسان الغريب الذي ما زال يرفض البيت المستقر والمدرسة والقوانين ويتخلص دائما من خطاياه بالنزول في برميل ملىء بالبيض المطفي، حتى يصبح جسده ناصع البياض، وحتى يمحى الحقبة التي كان فيها النازيون يسحبون نساء الغجر في رحلات تبدأ بالاعتداء وتنتهي بالموت حنقا !

لغة الغجر

ومنذ البداية جذبتني ملامح الانسان الغجري الذي جاش تاريخه خارج أبواب المدينة الحديثة، وطاف حرا في مسالك العالم الوعرة متفاخرا بقوله : ان حكمة الغجري أرقى مليون مرة من كل ما يتشدق به هؤلاء الذين يعيشون في العالم المتحضر !

ولم أر ملامح الغجري محصورة فقط في لونه بشرته التي صبغتها أشعة الشمس باللون الداكن .. ولا في شعره المجعد .. ولا في الصيحات التي تصاحب انفلات مرحه ومعاناته .. ولا في ملابسه البالية المتعددة الالوان .. ولكني أدركت بأنها تنبع قبل أي شيء من حلقة القطعة التي انطلق فيها من الشرق نحو الغرب



واجتاز نهر « الاندوس » في الهند ، ليضرب خيامه في بلاد فارس ، التي مكث بها بعض الوقت واكتسب منها كل ما عرفناه عنه من مهارة في ركوب الخيل !

كانت تلك اللحظة بحق مثيرة لخيال الرواة الذين تناقلوا تفاصيل رحلة الغجر الاول بصورة أسطورية ..

لقد انطلق الغجر ليتجولوا في مناطق متفرقة من العالم بعد أن ادركوا أن حياتهم على ارض بلا حدود ستكون أمتع .. وأن نومهم تحت سقف السماء الواسعة لا يعني غير التحرر من قيف أسر الترف المطلقة .. وأن هموم الفقر اهون مئة مرة من هموم الغنى .. وأن لغة الموسيقى والرقص هي اقرب اللغات الى نبض العالم واكثرها قدرة على مخاطبة كل الشعوب !

وباختصار كانت رحلتهم الاولى هي رحلة الحرية والفن والانطلاق بلا حدود .. فهل نجحوا في اهدافهم التي خرجوا من اجلها من الهند ، ام انهم أخفقوا في التعامل مع ذلك العالم المتمدن اثناء تجوالهم طوال تلك الحقبة التاريخية ؟!

ممارسة السحر

من يتتبع رحلة الغجر الاولى سيكتشف أولا أن تاريخها غير معروف فقد طمستها اقدامهم وحرياتهم ، بحيث لم تترك للباحثين سوى حقيقة واحدة تؤكد أصلهم الهندي ، فقد اتضح أن بعض جماعاتهم ظلت الهيرة

وظلت تعيش في الهند في الفترة ما بين عام ٩٠٠ و ١٠٠٠ ميلادية !

وعندما وصل المتجولون الى بلاد فارس مكثوا بها وقتا طويلا ، ثم انقسموا اثناء مغادرتها الى موجتين : أناس اتخذوا طريقا للتجوال في شمال وغرب اوروبا .. والفريق الثاني فضل التوجه الى سورية وشمال افريقيا !

وفي مطلع القرن الرابع عشر استطاعوا النجاح في الوصول الى اوروبا ، ليتمركزوا في نهاية ذلك القرن بين سهول البلقان وفي شمال نهر الدانوب .. ويقال أن الغزوات التركية ـ من المحتمل ـ أن تكون قد عجلت بتقاسمهم في اتجاه الغرب !

اما في بداية القرن الخامس عشر ، فقد وصلوا الى المانيا فيما يشبه الكرنفال .. كانت نساؤهم تتقدم صفوف الرجال من راكبي الجياد ، وهن يرتدين الملابس المثيرة ويوزعن الابتسامات بلا حدود وينشرن المرح بين صفوف المتفرجين !

وكانت افواج الغجر القادمة الى المدن الالمانية ، تتعامل مع الاهالي بنوع من الاباء والشمم والحرص في التأسيس في مستوى الرعاية التي منحها لهم الامبراطور !

في انهم ـ وبمرور الايام ـ سرعان ما عادوا الى طبيعتهم التي لا تحب النظام او القوانين وتعشق الفوضى



بأهتى صورها .. ولهذا انطلقـــوا وسط المزارعين ليستولوا على نقودهم ببراعة عن طريق المقايضة التجارية، بينما كانت نساؤهم يبهرن نساء المزارعين بما يمتلكن من خفة ظل وقدرة على ممارسة السحر وقراءة الطالع !

وانتشرت بين صفوف الاهالي في تلك الفترة ما كانوا يرددونه عن قصة حضورهم ، وكيف انهم جاءوا من مصر متجولين ليقضوا سنوات من العقوبة تكفيرا عما فعله أجدادهم عندما رفضوا ايواء العذراء مريم وولدها عيسى اثناء وصولهما الى مصر هربا من طغيان الامبراطور الروماني « هيرود » !



اعترافات كاذبة

ومن المانيا نزحت فرق منهم الى سويسرا ، ثم ايطاليا ، ثم فرنسا وانجلترا وأسبانيا التي وصلتها افـــواج تضم رجالا يثقبون آذانهم ويضعون بها الحلقان الفضية ، ونساء حافيات لا يتعاملن مع الحياء ويرقصن بطريقة صاخبة ، وأطفال شبه عراة يتميزون بخفة يد من نوع خــارق !

وفي بداية تواجد الغجر في اوربا كانت فنونهم تبهر الانظار وتأسر قلوبهم .. فعرفهم الاهالي كمغنين ورواة بارعين ومدربي خيول وطارقي معادن وخبراء في الحاب الــ .. ولهذا منحوا مميزات خاصة مثل الحق في استخدام كلاب الصيد والحق في المحاكمة امام محاكمهم الخاصـــة !

غير انه سرعان ما طرأ على هذا الاعجاب تغير شديد في القرن السادس عشر ، وانقلبت الاوضاع ضـــدهم بعدما ان اتهموا بالاساءة الى حسن الضيافة !

وكان من نتيجة ذلك ان تعرضـــوا لسلسلة من المضايقات والازدراء والاهانات .. ووصل الامر الى حد اتهامهم بالضلال وابتداع السحر ونشر الخـــرافات والعادات السيئة في البلاد !

وتعرض الكثيرون منهم للضغط حتى يعترفوا بجرائم لم يرتكبوها .. وكان بعضهم يضطر الى الاعتراف كذبا بسرقة الاطفال وأكل لحوم البشر أمام ما سلط عليهم من تعذيب رهيب !

وفي المانيا بالذات ألقوا بالغجر الى الوحوش في القرن الثامن عشر .. أما في النمسا فقد حاولت الملكة ماريا تريز أن تحرمهم من العيش في الخيام والتجوال وانتخاب الرؤساء ولكنها فشلت تماما .. وحاول من بعدها بعض ملوك النمسا أن يشيدوا مستعمرات منظمة للغجر بها منازل ومدارس ، ولكنهم ضربوا عرض الحائط بتلك المحاولات ، ودفنوها كما دفنوا كل المحاولات السابقة !

أغنياء الغجر

الا انه في ذلك القرن ، وفي السنوات الاخيرة بالذات ، حاولت بعض البلاد الاوربية أن تجمع الغجر للاستقرار في فترة الشتاء ـ على الاقل ـ في حياة عادية ، فقالوا عندما يعطونهم بيوتا مكيفة فانهم لا يعرفون طريقة الحياة داخلها ، ويملأونها بالعرق والهملات والحيوانات !

وقد استبدل الكثيرون منهم اليوم العربات التقليدية ببيوت من الصفيح ، بينما فضل بعضهم الحياة داخل كهوف من أشهرها كهف « سكرومونت » في غرناطة بأسبانيا !

وأصبح الغجر في تجوالهم اليوم يستعملون الجرارات والعربات التي تجرها الخيول ، وان كانت الحياة العصرية قد حددت طريقة معيشتهم وحياتهم !

وما زالوا حتى تلك اللحظة يكسبون لقمة عيشهم من الاحتيال والتجارة التي تعتمد على منتجات الصناعات الحرفية التي يبيعونها أثناء انتقالهم من بلدة لاخرى ، وهذا يخلق ادخال السرور على قلوب السياح الذين يجرون وراء الفولكلور القديم !

وفي انجلترا بالذات فان مهاراتهم تبدو بصورة واضحة أثناء عمل المشروبات وصنع أوراق الزهور والسلال .. وهم لا يرتكبون أية جريمة خطيرة ، فكل جرائمهم من النوع الذي يعتمد على الفهلوة والذكاء وسرعة الخاطر !

وكل الموسوعات العلمية تؤكد بأن تعداد الغجر في العالم لا يزيد على خمسة أو ستة ملايين نسمة ، وترى بأن أفقر مجموعات الغجر هي التي تعيش في جنوب شرق أوربا وأن أغناهم هم : غجر السويد !

ولا تختلف تلك الموسوعات حول أصل الغجر ، فهي تعطي من الدلائل ما يثبت انتماء الغجر الى قبيلة « جاتس » في الهند وكيف أن بعض المؤرخين يعتقدون بأن الغجر طردوا من الهند في القرن الرابع عشر في عهد تيمورلنك !

الا أنها في نفس الوقت تطالب بأبحاث أكثر ، وخاصة أن كثيرا من العلماء ما زالوا رافضين لفكرة الاصل الهندي للغجر ، ويعتقدون أن أصولهم ما زالت حتى اليوم مجهولة !

طيور الحرية

وبعد كل فالانسان الغجري لا يهتم مطلقا بمن يلهثون وراء أصله .. فهو يعتبر نفسه دائما ابن اللحظة التي يعيشها .. وهو يؤمن بأن الارض حق للجميع .. وينظر لافراد جنسه على انهم أنقى الشعوب ، ولهذا يحثهم على عدم الاختلاط بغيرهم حتى يحافظوا على الميزات التي توارثوها عن أجدادهم ، والتي من بينها ذلك الذكاء الخارق الذي اكتسبه الانسان الغجري من تجربته العريضة أثناء تنقلاته الدائمة !

وأي انسان يتعمق في أساطير الغجر سيلاحظ أنها تركز على شيئين : الحب والحرية المطلقة .. فهم في تلك الأساطير مرة تراهم كما كانوا بالامس طيورا تحلق فوق الاشجار والمدن ، ثم هبطوا الى الارض ليتحولوا





الى أناس يزحفون بحثا عن ما يسد رمقهم ، على أمل ان يأتي اليوم الذي يعودون فيه مرة أخرى كطيور طليقة لا تقيدها أدنى حركة او قيد !

وفي أسطورة أخرى تجعلهم يهيمون في كل مكان ، لانهم لا يحبون النوم في مكان ثابت أكثر من فترة ، ويتشاءمون من عبور النهر الواحد مرتين ، ويعيبون الشرب من مياه البئر الواحد مرة واحدة !

ومن أغرب ما سمعته في أساطيرهم ، أنه في التاريخ الغابر وقعت بعض نساء الغجر في أيدي جيش الاسكندر الاكبر ، وعندما عدن أصر الرجال على أن يوقعن كشفا دقيقا على الاطفال الذين رزقت بهن هؤلاء النساء أثناء الاسر ، وكانوا عندما يكتشفون ان الطفل لا يشبه والده قتلوه في الحال ، حتى لا تتسرب لاحد يجري في عروقه الدم الغجري الخالص !

وفي أساطيرهم الاخرى يهتمون دائما بوصف حفلات الزواج وما يتخللها من مرح وبهجة وافراح لا مثيل لها .. ويصفون دائما اتفاق أهل العروس حول المهر بطريقة تهكمية .. فالنقاش الحاد يبدأ بين والدي العروسين حول المهر وكأنهم يتناقشون حول صفقة يتمسك فيها كل طرف برأيه .. وكثيرا ما ينتهي النقاش بصدام بين الوالدين ، يؤدي الى تبادل اللكمات وتدخل أفراد الجماعة لفك الاشتباك !

واذا ما تم الاتفاق حول الزواج وانتهى استخدام العنف عقب تدخل الوسطاء ، فان الاحتفالات تبدأ بالرقص والغناء والموسيقى الصاخبة لايام عديدة ، يحضرون بعدها العروسين ويشرطون معصم كل منهما بمشرط صغير ويضعونهما فوق بعضهما حتى تمتزج دماؤهما برباط العلاقة الابدية .. ثم يتعاهد العروسان بأن لا تفرق الايام بينهما الا اذا احس أي طرف بفتور حبه للآخر .. فالحب عند الغجر لابد أن يكون قويا كالريح العاتية ونقيا ومتجددا كأكواب اللبن الطازج !

أرواح الموتى

واذا كان الغجر اليوم لا يحبون الحديث عن أصلهم العرقي ويرفضون الاستقرار في مكان واحد ، فهم أيضا يكرهون الاحتفاظ بالنقود ويصرفونها ببذخ شديد بمجرد الحصول عليها ، لأن النقود في رأيهم نذير شؤم وهلاك وهي وحدها التي تخلق الصراع بين الناس على هذا الكوكب !

ورغم حبهم للمرح فهم كذلك مغرمون بالحزن ، ويحتفلون بموتاهم في مواكب لا مثيل لها ، لاعتقادهم بأن روح الميت تظل تنادي الاهل والاقارب من مكانها العلوي ، ومن عاداتهم أن يضعوا ملابس المتوفى وكل متعلقاته الشخصية داخل نعشه ، كما يذبحون حصانه





حتى لا يصادفه انسان غيره !

واغلب زيجات الغجر تتم في سن مبكرة جدا ... ويحذرون اطفالهم دائما من اكل قلوب الطيور .. ومن افضل الاكلات التي يستمتعون بمذاقها هي اكلة السمك المشوي بجوار النهر !

واجمل عناصر الغجر هم الذين يعيشون في اسبانيا .. وقد تركوا بصماتهم واضحة على الاغنية والموسيقى الاسبانية .. وفي شرق اوربا يتشردون في المقاهي والمراقص ، وكثيرا ما يقدمون لك الزهور وهم يعزفون ارق النغمات واعنفها !

وفي الماضي حاول الغجر الاهتمام بالسياسة فانقلبت عليهم .. حدث ذلك عندما كرههم الفرنسيون عندما وصل نفوذهم الى بلاط الملك شارل الثامن وكان لهم تأثير بالغ في صنع الحروب ومعاهدات السلام الفرنسية !

واضافوا الى فلسفتهم اليوم اشياء جديدة ادركوها من التجارب السابقة التي خاضوها ... وعلى راسها عدم اهتمامهم بسياسة الدول التي يعيشون فيها .. فهم يدركون مخاطر السياسة .. ويعلمون انها من الممكن ان تؤدي الى انقراضهم لو اهتموا بشؤونها ، ويكفي انه عندما انقلب عليهم اهل السويد والدنمرك في القرن السادس عشر ، اضطروا الى اللجوء الى الجبال والغابات حتى لا يتم صيدهم بنفس الطريقة التي يصيدون بها الحيوانات والطيور !

رحلة الاحلام

واخيرا فما اروع ان يكون الانسان صادقا مع نفسه .. وما امتع ان يمارس حريته بعيدا عن قناع الحضارة الزائفة .. ان يحب في تلقائية .. ان يتشوق للنظر الى نجوم السماء .. ان يبحث عن الجمال والدفء اينما كان .. ان يرقص .. ان يغني .. ان يحتضن الطبيعة ويستمتع في الوانها واوراقها الحانية .. ان يسبح كما ولدته امه على ضوء القمر في نهر لن يراه سوى مرة واحدة ويبقى في خياله طول العمر .. ان يتخلص من الام الحسد والكراهية القاتلة الشريرة .. ان يقلع افكار البشر الدامية ويستبدلها بنغمات ممتعة تشيد لنا الاحلام والمتع واللحظات السعيدة ..

انها حياة الغجر في اوربا بكل ما فيها من صراع تدور رحاه اليوم بين القديم وما يمثله في اذهانهم من طهارة وسمو وتلقائية ، والجديد بكل ما فيه من استقرار وقيود واقنعة حضارية !

كمال سعد



مشاهد من طقوس عاشق

شعر محمد فهمي سند





المشهد الأول :

خارج من ثياب المراثي ،
يجوس خلال ديار الأحبـــة
يشتهي خروج المواويل من فتحة النغمة الهاربـــة
يرشق الضوء ،
(حين تبوح الليالي بفجر جديد ،
نوضاً في اللحظة المشتهاة) ،
بنظرة حب عظيم
يسبق الشمس في عدوها صوب تلك الأماني ،
فيروي تشوق الرمال والريح والناي واللحظة الخالدة
حين صار الزمان احتفالاً وقبلة شوق فريدة
حين صار المكان احتفالاً من الأرض ،
صار معابد تجثو عليها الأحباء ،
حضرته زراعا ، ويتراوحون بيارق تخفق في النسمة المستعادة
تستدير العيون اليهم ،
(تصدق أو لا تصدق أن الهواء استعاد شذاه ،
وأن السماء استراحت على الرأس) ،
ترسل شمس الفصول ضياء جديداً ،
تمر على خوذة الجند حباً فريداً ،
يدثر حلمهم البكر أن يرجع العطر للزهر ،
أن يرجع الومض للأعين المفعمات بشوق الولادة
تحضن الكون ، يكبر ، يكبر ، حتى تصير الدروب خطوطاً صغيرة
يحوبها كطفل أثير لديه ،
ويلبسها من تعشقه حلة وقلادة
يخلع الأمسيات الكئيبة عن صدرها المتحشرج بالأغنيات ،
وبالدمع والحب ،
يتلو نشيد العبور كما يقرأ الشيخ ورد العبادة
ثم راحت أكف خطاه تلامس عشباً تمدد في الترب ،

أو حجراً مشرباً تغطيه قشرة صمت حنونة

. . . .

(كانت الخيل تعدو ،
وصوت السنابك يرتد خلف السيوف ،
يصافح صوت الدروع ،
وتسقط رأس المغول في الوحل ،
تقذفها الأرض للأرجل الشاردة)

المشهد الثاني :

داخل في ثياب الأماني ،
ليفتش أغنية عن بلاد توارت عن العين حيناً ،
وعادت ترف لفارسها المستحم بماء القلوب ،
وشوق العطاشى ، ودمع العيون ، ودفء الغمام ،
ترف على فرس الحب في موكب العائدين ...... !!
داخل في ثياب يراقصها في النهار وفي الليل ،
يعدو بداخلها فارساً طهرته الدماء الشهيدة
فاستعاد انبثاق الحياة ، وشارة أوطانه ،
والتراب الأسير ، وطعم الحياة الجديدة .. !!
داخل في صفوف المغنين بالحب والدم ،
والعرق المشتهى لمهر الزمان ،
مدائن تفرح فيها العروس الفريدة . .

. . . . .

(كانت الخيل تجري ،
وصوت السيوف يمزق لحم الصليبي في اللحظة الخالدة)

المشهد الثالث :

واقف تحت أشجار هذا الشتاء الجميل ،
يسوي بدفتر أيامه الماضيات بقايا أحاديثه الباردة

حين كانت عيون المحبين مطفأة الومض ،
كانت وجوه الجموع مرايا محطمة جامدة
حين كان الزمان احتراقاً بطيئاً ،
يدثرنا بالليالي العجاف
ثم يتركنا في النهار الطويل نجوب الشوارع خلف قناع الجفاف
حين كان المكان كسجن كبير يدحرجنا في زنازينه الخامدة
حين كان الكلام نزيفاً ، وكان السكوت انصهاراً ،
وكان الطعام سموماً ، وكان الهواء دخاناً نولول فيه ،
ونعدو ... ونشكو ... ونبكي ... ونشتم أنفسنا في الزمان الدميم
— مستبدلاً من الأمس باليوم — عاد ،
إلى وقفة تحت أشجار هذا الشتاء الجميل ،
وعزف كابوسه ، واستعاد تجوله في الدروب البعيدة

. . . .

(كانت الجند تقذف أنفسها في أتون المعارك ،
تضرب قلب اليهود فتسقط أحلامهم ،
تحت أحذية الوثبة الواحدة .. !!)

المشهد الرابع :

قاريءٌ في تواريخها عن غزاة رأيتهم ،
وراحت تعلمهم حكمة من كتاب الشهادة
(مصر نسمة حب ، ورشفة ماء ، ولقمة خبزٌ ،
وحلم جميل ، وغفوة ليل ، وظل ، وشيءٌ غريب بقلب الجموع)
كنبض الدماء يظل بأعماقنا من بداية هذا الزمان إلى منتهاه .. !!
فاتركوني أغني لأولادها الساهرين الزمان ،
على بابها الأخضر المرتوي بالدماء الفريدة ... !!

. . . .

هذه الأرض وشم بقلبي ،
أطالعه في شرايين عمري دماً وعقيدة . . !!

محمد المنسي قنديل

الفرزدق..
السائر على حد السيف

حدثني ابو الفرج الاصبهاني عنه بحماس بالغ ..

الفرزدق لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت . اسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجيه ..

رغيف خبز لم يختمر

حدثتني النساء عنه باشمئزاز واضح ..

كان يعشقنا . ونحن نعشق عشقنا . يكمل ذلك في داخلنا دورة الرضى والكبرياء . ولكن خلف نظراته الشرهة كان يكمن احتقار هائل لكل ما نمثله ..

لم نكن نخافه كما يفعل الرجال . فاشد القبائل تهتز امام لسانه . وكنا نتقاط ضعفه . ان الشره احمق دائما . قالت نسوة من البصرة . خرجنا يوما الى غدير خارج البصرة . لم يكن هناك من المخلوقات سوانا . خلعنا ثيابنا ورمينا باجسادنا العارية المتعبة . كانت المياه ناعمة . والشمس دافئة . ونحن لا نكف عن الضحك . فوجئنا بوجهه الكئيب المنتفخ يطل علينا من فوق بغلته . فزعنا .

مثل ضبع شرس

وحدثتني « النوار » عنه برعب هائل ..

ماذا اقول وهو ابن عمي ..؟ قدري الذي قدر لي . لم اكن اتعامل معه كرجل . كان اكبر مني وولي امري . والمتصرف في اموالي . يدخل داري وقت يشاء . فتتدافع امامه الجواري ويجري خلفهن مثل ضبع شرس . اقف بعيدا غير راضية . لا اجرؤ على الاعتراض. كنت انمو . وارى ذلك في عينيه . بدات اهرب من وجهه . اتعلل باي شيء حتى لا اراه . ثم وقعت في الحب . فارس من بني دارم . يمر امام بيتي كل يوم ويدق الارض بجواده . كانما يهب قلبي نبضاته . المح لحيته وطرف شاربه فاتوارى خلف خماري واحلم باليوم الذي سياتي فيه وينقذني من وجه ابن عمي الدميم .

كنت اخاف ان يصل الامر اليه بطريقة ما فيشهر بي وباحلامي . ثم سارت الرسل بيني وبين فارس النبيل . قال انه يريد ان يتزوجني . قلت انني موافقة . وبدا الامر الصعب والسخيف . هو ان ارسل للفرزدق حتى ياتي واخبره لانه ولي امري . وهو الذي سيتزوجني كما يقضي العرف . ارسلت اليه جارية سوداء وانا اعرف ضعفه امام سوادهن . جاء خلفي يتلمظ . حط علي بعينيه الشرهتين .. قلت :

ـ خطبني رجل من بني دارم .. وانت ولي امري فزوجني اياه ..

ضحك بصوت خافت . لم اعرف لحظتها ماذا تعني ضحكته ..؟

ـ لا افعل حتى تشهدين انك قد رضيت بمن زوجتك .

حسبت انه يود ان يسترد اعتباره امام القبيلة . ان ابين لهم الى اي مدى هو واص علي . كم كنت اكره هذه الوصاية ..

ـ انني راضية مادام هذا امام الناس ..

اكد انه موافق . ان الصلات متينة بين بني دارم وبني مجاشع وكلاهما من افخاذ تميم . جاء قومي وتوثق امامهم انني رضيت بمن زوجني . فقال احسنش زينة العرس وسوف اذهب للمسجد لاعلان الزواج . كنت اطير فرحا . لعلها المرة الوحيدة التي احسست فيها بانسانيته . ذهب القوم للمسجد . اوقدت الجواري الشموع المعطرة واخرجت كل اثوابي الجميلة وامتلا المسجد بالناس . صعد الفرزدق للمنبر . حمد الله واثنى عليه .. قال ..

ـ قد علمتم ان « النوار » وقد ولتني امرها واشهدكم انني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة ..

وافق بنو مجاشع في بلاهة . وحدق بنو دارم في



ذهول • وجاء العبيد بالخبر •

التف قومه حولي يهنئونني باختيار شاعرهم العظيم • أطفأت شموعي • مزقت الروابي • وبكت الجواري حولي •

جمعت مالي وثيابي • أعد العبيد في الجواري • الليل الظلام فتركت تغني في صحرائه السوداء وتجمومه الشرهة كعيون الفرزدق • أصبحت الريبة • بالمرة والليل ستار هش • قالت جارية ••

ـ يا مولاتي • خلف هذه التلال مضارب بني عدي • بينك وبينهم صلة قرابة ••

اتجهت اليهم • تسللت للمضارب • ارتميت تحت اقدام شيخهم • قصصت عليه كيف خدعت • أجارني • ظللت ثلاثة أيام • وكل صبح يحمل رعب الفرزدق • ثم دخل علي شيخ القبيلة حزينا قال :

ـ الفرزدق يهجونا اقذع هجاء • وسوف ينتشر ذلك في احياء العرب • ولسنا أكفاء للسانه ••

فزعت • على أن أرحل من جديد • شهر الفرزدق سلاحا ماضيا • وأصبحت الصحراء اكثر قسوة • وصلات الرحم بلا قيمة • لو انه جاء بسيف لحاربوه وردوه عني • لكنه شهر لسانه ما أشد رهبته • لجأت الى بني عاصم المنقري • استضافوني • وعندما ردد الرواة البيت الاول طلبوا مني الرحيل في الحال • ولم يوافق احد من بني معيط على استقبالي • وزعم بنو كلب ان خلافاتهم القبلية تمنعهم من استضافة الاغراب • وادعى بنو مزينة انهم غير موجودين لانهم ينوون الرحيل لارض جديدة •• كان طعامي الرمل وخبزي الصبار • والفيافي الموحشة تمتد في قلبي • ومياه الآبار تجري في عروقي بدلا من الدم • أود قليلا ان اكف عن اللهاث • انعم بليلة واحدة خالية من الكوابيس • ان يتوقف لسانه قليلا •• لكنه كان يتعقبني • يقول الشعر في كل من يأويني او يقدم لي شربة ماء وكسرة خبز • او حتى يلقي علي السلام •• ثم وصلت الى مكة • الى خولة بنت منظور بن زبان •• زوجة عبد الله بن الزبير • أمير المؤمنين على الحجاز والعراق • وحسبت واهمة ان لسان الفرزدق لن يقدر عليه • ثم شممت رائحته في مكة بعد أيام قلائل • ادركت انه جاء • نزل بابناء عبد الله بن الزبير يمدحهم ويسالهم ان يتشفعوا له عند الامير •• نحقق غرضه فاستجاب لهم في البداية • لكن توسلت لزوجته • استعطفت خولة الامير فعاد ثانية الى صفنا •• وهجا الفرزدق الجميع كما هي العادة ••

ثم توصلنا الى اتفاق • السمت انني لن اتزوج بعده • لن أعرف اي رجل • ساتركه له ما يريد من جواري • اترك له مالي يأخذ منه ما يشاء • لقاء مطلب واحد •• الطلاق •• سال لعابه للصفقة •• وافق •• قلت •• ليتم هذا أمام الحسن البصري ••

يتكلم بلسان ابليس

حدثني الحسن البصري عنه بعد طول تردد ••

جمعني وإياه عصر واحد • ومدينة واحدة • قالوا علينا •• خير الناس •• وشر الناس •• لم اكن خيرهم •• لكن من يعلم ماذا تخبيء الثياب •• جاء الي •• قال •• اني هجوت ابليس فاسمع •• قلت لا حاجة لنا بما تقول • قال • فلتسمعن او لاخرجن فاقول للناس ان الحسن ينهى عن هجاء ابليس •• قلت •• اسكت •• فانت تتكلم بلسانه ••

ثم حدثني الفرزدق عن نفسه ••

السائر في هذا الزمن كالسائر على حد السيف • زمني الذي أكرهه واتنفسه واطالع وجهي في مرآته كل صباح • كيف احتمله دون ان أكون وغدا لهذه الدرجة ؟••

جاء بي أبي الى علي بن ابي طالب •• قال :

ـ هذا ابن من شعراء تميم فاسمع منه ••

قال على .. علمه القرآن خير له ..

الرت في هذه الكلمات . قيدت نفسي في أوتاد الخيمة . أقسمت الا أحل قيدي حتى أحفظ القرآن كله . وعندما كتبت الشعر قالوا .. « لولا الفرزدق لضاع ثلث اللغة » .. لكنه كان مضنيا كالنحت في الصخر . وربما كان نزع ضرس أيسر على من أن أقول بيتا من الشعر . لكنه جعلني ندا للملوك وصديقا للأوباش ..

وأنا صغير كنت أرعى الغنم . جاء الذئب وأكل احدى غنماتي . عاتبتني أمي فلم آبه بالعتاب . كان الذئب جائعا وكنت راعيا فاشلا . قال لي الذئب حين قابلته بعد سنين طويلة ودعوته للطعام . كان عجوزا وحكيما . قال ان همتي لم تكن لتقف عند الرعي . سألته في أسى .. أكان لابد من الرحيل عن البادية . تركت ذئبا واحدا حكيما وجئت وسط قطيع جائع فلماذا لا أكون ذئبا مثلهم . أعوى كما يعوون وأعود الى حجرتي في المساء ملوث الأظافر بالدم .. انه يسيل بلا ثمن فما ضر أن الغ فيه قليلا ..

انا أجبن الناس . أخاف الموت والسجن والجوع . رأيت الحجاج فلم أخف منه . رأيت فيه شيئا من أمثاله السيف واستمرئهم لذة القتل . تلك الشريحة التي اخافها وان كنت في حاجة ماسة اليها . ومع الحسن البصري رأيت نفسي التي فشلت في ان أكونها . كنت اعرف انني الجزء من نفسه الذي استطاع ان يروضه ماذا أفعل وقد بدأت قبيلتي تاريخها بالاعتداء على الحرم وسلبت كل ما فيه . وبدأت حياتي بخديعة « النوار » وهجاء جرير . لم أقلت جارية ممن أتحن لي حتى امرأة استضافتني ذات ليلة باردة وقدمت لي طعاما فما ان دفئت وشبعت حتى راودتها عن نفسها . انني لست شريرا . انا لا أجلس على عرش ولا أقود جيشا . كل ما أفعله هو ان أتبع نزواتي الصغيرة بعد ان ماتت كل الأشياء النبيلة في كربلاء .

كنت ما أزال مقيدا في أوتاد خيمتي حين جاء نسوة قومي وهن يصرخن :

ـ قبرت من شاعر قوم هتك جرير عورات نسائك وأنت ساكت ..

كنت معزولا لا أعرف ماذا يحدث ؟ .. قالوا ان جريرا قد تهاجى مع شاعر من قومي يدعى « البعيث » وقد تفوق عليه وهجا القبيلة والفحش في وصف نسائها . أنا أعرف أنهن أشد فحشا مما وصف جرير . لكن العصبية شغلت العرب الكلامية بيننا اربعين سنة كاملة . أربعون عاما من الخصام والمناقضات والهجاء وتبادل كل ما في قاموس اللغة من شتائم . والأيدي تزكي النار . والناس يتناقلون الأشعار . يرفعون يده بالغلبة ويدي حينا آخر . كان نسبي شريفا وحاضري وضيعا . وكان هو شريف الحاضر مجهول النسب . ولأننا نقتات الماضي البعيد فقد علوت عليه .

وعن قبر « النوار » لم أقل بيتا واحدا . الموت هو جنب الشعر في داخل . الحسن البصري والجميع نظروا الى بحنق . النصيب الأكبر في موتها يقع على . لكنها أيضا قتلتني . خنت على بحناتها وكنت في حاجة ماسة اليه . دونا عن نساء الأرض كلها ظلت نائية . لا تمطي سوى رغبات مطفأة وحسرة تتجدد كل ليلة . كل النساء بعدها كن سلوى وكنت أبحث عن حياة ما خلف جلودهن وناحت النوائح على قبرها بأبيات من شعر جرير .. وقتلني هذا من جديد ..

عينان بلا جوع

حدثني ابنه « لبطة » عنه بلا مبالاة ..

قالوا أبوك حي وشك الموت . لم أصدق . لعلها حيلة يسعى بها للزواج من جديد . مللت وجوده على قيد الحياة . كرهت سعيه الى كل صباح ليتهمني بالعقوق . يسعل ويسير محني الظهر فاذا رأى طرف جارية أفاق من السعال . هرم وشاخ ولم تنطفيء شهوته الباطلة . عمر أكثر من مائة عام . شاهد سبعة خلفاء أمويين وعددا لا يحصى من الفتن والحروب ..

آخر من تزوج كانت « ظبية بنت حالم » كانت أصغر مني سنا . تركها في البيت سنة كاملة . وفي النهاية فرت من وجهه كما فعلت النوار من قبل . لكنه هله



المرة لم يجرؤ على تتبعها ·· وسار يدب فى شوارع البصرة يبحث عن زوجة اخرى ··

قالوا ·· لابد ان تراه ·· فليس اسوا من مجافاة المحتضرين ··

ذهبت فاذا ابى حقا طريح الفراش · واذا السنون المائة تجاعيد غائرة ونفس متحشرج · قال الطبيب انه يعانى من ذات الجنب وليس هنـــاك امل الا فى الكى وشرب النفط الابيض · شعرت بالحزن من اجله · كان ضعيفا كما لم اره من قبل · احضرت الجوارى اكواب النفط قلت له اشرب يا ابى · نظر الى كانما يتساءل من سر حنانى · تجرع اول كوب بسرعة ثم اخذ يسعل ويرتجف ··

– يا بنى عجلت لابيك شراب اهل النار ··

القى بالدواء وطلب خمرا صافية وشواء طازجا ·· وظل يحدق فى بعينيه الجائعتين · ثم هتف ·· وصيتى ·· اخذ يعدد لى انواع الجوارى والمتاع · لم تخنه ذاكرته فى اى شىء ·· قال :

– سوف اعتق كل الجوارى والعبيد وادفع لهم بعض المـــال ··

لقد تذكر اخيرا انه ما زال انسانـــا تحمقت حوله الاماء وقد شحن بحزن طاغ · كانوا يعرفون ان موته يحمل لهم العتق والحرية لكن شرارة الحـــزن تولدت وطغت · اعطيته رقا من الجلد ليكتب عليه ما يريـــد هز راسه وهو يقول :

– اروني من يقوم الى مقامى ··

اذا ما الامر جل عن الخطاب ··

قالت جارية بحزن ·· الى الله يا سيدى ··

فوجئنا به يقوى فى عنف · صمم ان يبيعها ويقبض الثمن لساعته · قلت يا ابت قل لا اله الا الله · صرخ فى ان اذهب لآتى بالنخاس · قلت انها لم تخطىء · سوف تذهب يا ابت ولا يبقى لنا الا الله ·· ظل ثائرا حتى جاء النخاس · وباع الجارية · وحين كان يسقط الدراهم الفضية فى حجره قلت ·· خذ دراهمك ·· لم يرد على ·· ولم تطرف عيناه بنظرة الجـــوع المعتادة حين كان يرى مالا ·· او جارية ··

قالوا : مات الفرزدق

حدثنى جرير عنه بحزن حقيقى ··

جاء الركب من البصرة فسالت عن اخر الانباء · قالوا مات الفرزدق · قلت :



– رأيت الفرزدق عاش قليلا ··

لم اتمالك نفسى فدمعت عيناى · قال الذين حولى :

– يا سبحان الله ·· اتبكى على الفرزدق ··

قلت : والله ما ابكى الا على نفسى · ان بقائى بعده لقليل وما تقارب رجلان مثلنا على خير او شر فمات احدهما الا اوشك صاحبه ان يتبعه ··

كانت روحانا مرتبطتين بشعرة رفيعة نتنازع حولها ولا نقطعها · قالوا اننا معا كنا اشعر اهل زماننـــا اتينا بما لم يات به الاوائل · كنا جوادين فى حلبـــة رهان كلانا خاسر · نلهث ونعرق تخرج اشعارنا زبدا اجوف · تجرى فى اطار لعبة لم نفهمها ابدا · هجانى بابى فهجوته بامه · هجانى بتاريخى ونسبى وهجوته بحاضره وفعاله · واحتار الناس بيننا طويلا وكل منا لا يكف عن فتح جراح الآخر الشخصية · كم تغدو الحياة كريهة وانت تتألم وفى فمك دم الآخرين · قالوا انه كان لعنة قومه وكنت انا شهابا من نار · وقلت اننا فى قيد واحد · وضع على رداء لعنته واحترقت انا بداخلــه وما بقى منا سوى قطعة من الاحجار يسمونها شاهد قبر ·· قالوا مات الفرزدق ·· قلت ··

– فلا ولدت بعد الفرزدق حامل ··

واتخيله فى قبره يشد لحيته ويضحك بصوته الاجش قائلا ·· ابن المراغة يرثينى ·· فتضحك الملائكة ·· وتضحك الزبانية ··

محمد المنسى قنديل



قصة بقلم مجيد طوبيا

النظرة فالابتسامة والعمر القصير



ـ مصري

ـ نعم

ازاحت شعرها الذهبي ، فاتصة في عيني :

ـ يعجبني لون عينيك ، اهو بلدي ؟!

ـ اظن ذلك

اربكتني زرقة عينيها ، مالت نحوي مبتسمة :

ـ انت من بلد الاهرامات وابو الهول اهو جدك ؟؟

ـ من ؟؟

ـ ابو الهول

ـ ابو الهول اسد له وجه انسان !!

ـ وهل هناك جد أروع من هذا ؟!

ـ وهل هناك شفاه أبدع من هذه ؟!

سحرتني حيويتها ·· قلت :

ـ كان زعمهم الاكبر انهم من نسل الملوك الحكماء

ـ من هم ؟؟

ـ جدودي القدماء

●★●

نضارة بلا مساحيق ، وصفاء مريح، وطيبة ·· سألتني :

ـ لماذا تلتفت نحوي ؟؟

ـ رأيتك تنظرين لي اكثر من مرة فتشجعت وخاطبتك

ـ وهل محادثة الاخرين تحتاج الى شجاعة ؟!

ـ لا بد انني مخيفة ؟!

ـ بل لانك جميلة ورقيقة

بسمة راضية ·· وعيناها لا تفارقاني فهربت بنظراتي الى عاملة المقهى والزبائن واكواب الشاي وزجاجات البيرة، وسمعتها تقول :

ـ امتلأ المكان بدخان السجائر ، فهل نخرج للتمشي ؟؟

●★●

النور الاخضر ، وعبرنا الحديقة الفسيحة ، حيث الزهور والنافورات، والاطفال في ركتهم الضاحكة بالمراجيح والزلاقات · قالت :

ـ تعجبني ابتسامتك ، لماذا لا تبتسم دوما ؟؟

ـ تعجبني عيناك ، لماذا لا تنظرين لي دوما ؟؟

واجهتني بنظرة ثابتة ، متراجعة امامي بنفس مشيتي ، والى ان لامست المقعد الخشبي فجلست ، وجاورتها ، واستدارت ، فعدت اهرب من زرقة عينيها ·· قالت في مرح :

ـ لا تدع امرأة تنفرد بعينيك طويلا، الم يحذروك من هذا ؟!

ـ من ؟؟

ـ جدودك الملوك الحكماء !!

ـ اظنهم قالوه في جلسة خاصة

تشاغلت عني باحد الاطفال ، راحت تداعبه وتلاعبه وتقبله وتلاغيه ، ثم سلمته الى امه وجاءتني متوردة ، تقترح زيارة اثر قريب ·· قالت تغريني :

ـ شيده جدودي البسطاء منذ مائتي عام

لم اتحمس ، قالت :

الان جدودي لم يكونوا ملوكا او حكماء ؟!

ـ بل لان دارنا في الصعيد لها نفس العمر تقريبا

ـ هكذا انت ·· تسبت الله من مصر!

عيناها .. قالت :

– قبل ان تجالسني كنت تكتب بطاقة لشخص ما ، اكانت لزوجتك ؟؟

– ليست لي زوجة

– حبيبة اذن ؟؟

– صديقة

امسكت معصمي لتنظر الى الساعة :

– يمكنك الآن اكمالها ، علي ان اعود الى عملي فورا

– وبعد العمل ؟؟

– ان كنت تعني ان نلتقي بعد ذلك فانا غير مرتبطة

مضت ... وتسكعت وقتا دون هدف .. والناس من حولي مسرعون عدا ثنائيات المحبين وبالنضارة والصفاء .. وشابة عند الناصية حائرة النظرة بين ساعة المعصم والترقب اتجاه معين ، لاح منه صديقها اليافع ، فاندفعت نحوه .. لاحظت انني الوحيد الذي يراقبهما ، شعرت بالخجل والبلاهة ، واستدرت منصرفا .. ورحت اتمشى بالحسن والتناغم والتلاؤم بين الناس والاشياء .. جبت على ذهني شوارع القاهرة فابعدتها على الفور

●★●

مع اقتراب الموعد توجهت الى مكان اللقاء ، جلست انظر الى ساعتي مشتاقا .. وعندما مددت يدي الى جيبي وجدت البطاقة الناقصة ، فقلت املا الوقت باكمالها قرأت المكتوب :

خطيبتي العزيزة .. اكتب لك بمجرد وصولي ، كما وعدتك ... امسكت القلم افكر .. وتذكرت لقاء الوداع وكفي خطيبتي في صدري، تصدان رغبتي في تقبيلها ! .. والخيبة في وجهها وانا احدثها عن شقتي، قالت : « عرفان فقط !! هذا امر جديد على اسرتنا !! » .. ثم صدت رغبتي السابقة بكفيها !!

تاكدت من هروب الكلمات ، وكنت القلم والبطاقة .. ووجدتني افكر فيمن انتظرها ، والتي لم اعرف اسمها بعد ، شاعرا بشوق عجيب اليها وحنين !

احمر وجهي مع بسمة مجيئها .. ولمحت هي البطاقة فتحت فيها محتارة :

– تكتبون من اليمين الى اليسار ؟

– نعم

– يبدو كالرسم .. هل تقرئين عليها

– في موعدك تماما

تأملت النقطة :

– يبدو انك لم تكمل بطاقة صديقتك !؟

– خطيبتي

– انك انها صديقتك ؟؟

– كتبت

– واين الدبلة ، الا تستعملونها ؟؟

– مع المفاتيح في السلسلة

– ولماذا الكذب ؟؟

اطرقت خجلا .. قالت في سماحة :

– هل خشيت الا اقابلك الآن ؟؟

– اظن ذلك

– لم تكذب اذن ، كنت تحرص علي، وهذه رقة منك

احسست بتجاعيدي النقيقة تتلاشى

●★●

شاهدت رموشها رمشا رمشا .. وضعت امامي علبة صغيرة :

– كولونيا لبعد الحلاقة

– لي ؟؟

– لن تكون لي !!

ابتسمت ماخوذا .. قالت :

– كم تعجبني ابتسامتك !!

– اشكرك على هذه الهدية الرقيقة

– رقيقة وماكرة ، كي تتذكرني بعد حلاقة كل صباح

تامت شفتيها ، فلثمت خدي :

– وقد تداوم على استعمال هذا النوع

سالتها :

- لماذا لم تتزوجي حتى الآن ؟؟
- كدت افعلها مرتين ، لكني فشلت
- امر مؤسف
- لماذا ؟؟ ان نكتشف عدم التوافق قبل الزواج افضل من ان نفيع به بعده ·· اليس كذلك ؟؟
- ··· ··· !!
- الا توافقني ان اكتشاف عدم التوافق قبل الزواج افضل واصدق؟!

- طبعا طبعا ··
اشاحت بيدها مقذكرة :
- اوه ·· نسيت انكم تهتمون كثيرا بالعشاء !!

●★●

بعد العشاء ، بدات الموسيقى بالرقصات الهادئة ، البطيئة ·· ومعظم الراقصين من كبار السن وعدد قليل من الصغار ، الكبار منضبطون تماما مع الايقاع ، خطوة وخطوتان حسب القواعد والاصول، اما رقص الصغار فاربعة اياد تحتوي جسدين متلاقين ··

دعتني الى الرقص ·· واحتوتني ناعمة ، النظرة في النظرة شمتني وشممتها وتساوت حرارة جسدينا · الخطوات بطيئة والاحاسيس نشطة ، حلوة متلاحمة ··

التهب الايقاع وجن ، فتبا ارعنا ، فاشتعلت ،وانفلت نقراتها ،وخلت الساحة تماما للشباب ، متقاربين ناجيا ومزاجا ، كانهم راقص واحد وراقصة ·· شرد ذهني الى جلسات المقاهي والشيشة والطاولة ، لكنها اعادتني مانقة :

- ابتسم
ابتسمت فلثمت خدي ··

وجاءت الاستراحة وجلسنا الى المائدة ، والى احاديث التعارف ، عن حياتها وعن حياتي ·· وانطلقت السيرة ، من رقص عادي رزين ، الى لهث مشحون ، الى جلسات ناعمة هنية ·· واختلسنا الوقت صدقا وتلقائية ··

جاءتني من الحمام كالطيف، وديعة حانية ·· مشتاقة كانتي حبيب عمرها ، تؤكد النظرة بلمسة الانامل · وفي نفس الاشراقة كان التدفق ، منها ومني ··

لحظات وامضة وزالت ربكتي ·· وطافت بي الى احاسيس عذبة نقية ، خالية من التصنع ، فاشعرتني كانني حبيبها في لقاء اول ، زوجها في شهر العسل ، كانني رفيق سنواتها الحلوة والمرة ··

●★●

في الصباح الباكر راقبتها ترتدي، وتتزين في بساطة وخفة ·· التفت لي قبلة عبر المرآة ، سالتها :
- متى نلتقي ؟؟
- في نفس موعد الغداء
تناولت حقيبتها :
- هذا ان شعرت بحنين لي ورغبة ·
- وانا بدوري سانتظرك ان شعرت بلهفة اليك وشوق ·
عند الباب قالت :
- اذا لم يجد احدنا الاخر فلا داعي لان يجهد نفسه في البحث عن الاخر ·

انصرفت ·· وراقبتها من النافذة تعبر الحديقة ، وتغيب ·· ثم رايت اما تؤرجح طفلتها فوق الارجوحة ، ثم الطفلة بدورها تؤرجح دميتها ، لتمضي بعد ذلك في اعقاب امها ·· ووجدت نفسي اهتف في أسى : اين انت يا شوقي بك ؟؟ باشاعر النظرة فالابتسامة فالموعد فاللقاء ؟! ·· ها انذا قد عشت تجربة شهورك المديدة في يوم واحد ، دون افتعال ، دون وقت ضائع ، دون عند كفين ·

بعد الحلاقة تذكرت هدية الكولونيا وعلى مائدة الافطار اكتشفت ان البطاقة ما زالت في جيبي ناقصة ، وانني لم ادون التاريخ في بدايتها !! سجلته ، ثم رحت افكر ان كان هناك كلام يمكن ان اضيفه ، فلم اجد سوى ثلاث كلمات : « الناس هنا يعيشون ······ »

مجيد طوبيا



المقهى

وحدة انسانية وسياسية واجتماعية

جمال الغيطاني

• ... مقاهي القاهرة ، عالم فريد ، متشابك العناصر ، يحوى الملامح الانسانية العامة ، وله ايضا سماته الخاصة جدا • في مقاهي القاهرة يجلس الناس حول المناضد متواجهين ، يتبادلون النجوى ، والاحاديث ، وكم حوت تلك الاحاديث ، الاشواق الانسانية ، والمصالح المادية ، وقضاء الحاجات ، وعقد الصفقات ، وكم من تلك الوحدة ، يجلس محملقا في الفراغ ، وقد يحاول فض وحدته بحديثه الى جار لا يعرفه ، وربما بدأت بينهما صداقة قوية قد تستمر عمرا ، وربما لم تمش اكثر من حدود اللقـــاء ... •

الى اى عمق تاريخي يناى عمر المقهى القاهرى ، لا يوجد مرجع تاريخي يحدد هذا ، ولم تخصص دراسة لرصد تضاريس هذا العالم المتكامل ، ولكن الذى لا شك فيه ان المقهى كان جزءا من الحياة القاهرية ، منذ ان انشئت القاهرة ولم تعد الحياة قاصرة فيها على الخلفاء الفاطميين وحاشيتهم ، ولا شك ان المقهى كان موجودا بشكل يختلف عما نعرفه الآن ، فالقهوة التي تستمد منها المكان اسمه لم تدخل مصر الا في القرن السادس عشر الميلادى ، قيل ان اول من اهتدى اليها هو ابو بكر بن عبد الله المعروف بالعيدروس ، كان يمر في سياحته



● لماذا اختلف الناس حول شرب القهوة فى القرن العاشر الهجرى؟

● هكذا وصف المستشرق الانجليزى المقاهى فى القرن التاسع عشر!

بشجر البن فاقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته ، فوجد فيه تجفيفا للدماغ واجتلابا للسهر ، وتنشيطا للعبادة ، فاتخذه طعاما ، وشرابا ، وأرشد أتباعه اليه ، ثم وصل أبو بكر الى مصر سنة ٩٠٥ هـ ، وهكذا أدخل الصوفية شراب القهوة الى مصر ، واختلف الناس حول هذا المشروب الجديد ، هل هو حرام أم حلال .

حرم البعض القهوة لما رأوه فيها من الضرر ، وخالفهم آخرون ومنهم المتصوفة ، وفى سنة ١٠٣٢ هـ زار القاهرة الرحالة المغربى أبو بكر العياشى ووصف مجالس شرب القهوة فى البيوت ، وفى المكان المخصصة لها .

فى مطلع القرن العاشر الهجرى حسمت مشكلة تحريم القهوة أو تحليلها ، وانتشرت فى القاهرة الأماكن التى تقدمها ، وأطلق عليها اسم المقاهى ، ويتم لنا أن هذه الاماكن كانت موجودة من قبل ذلك بمئات السنين ، ولكن لم يطلق عليها اسم المقاهى لان القهوة نفسها لم تكن دخلت الى مصر ، كانت هذه الاماكن معدة لتناول المشروبات الاخرى كالحلبة ، والكركديه ، والقرفة ، والزنجبيل .

ولم يكن الدخان معروفا أيضا حتى القرن العاشر عشر الهجرى ، ويحدد الاسحاقى المؤرخ المعاصر ظهور الدخان فى سنة ١٠١٢ هـ ، غير أن مشكلة الدخان كانت أكثر تعقيدا . لقد تمسك كثير من فقهاء المسلمين بتحريمه ، وكثيرا ما كان يطارد مدخنوه تماما كما يطارد مدخنو الحشيش فى أيامنا هذه ويذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١١٥٦ هـ ، أن الوالى العثمانى أصدر أوامره بمنع تعاطى الدخان فى الشوارع وعلى الدكاكين ، وأبواب البيوت ، ونزل ومعه الأغا ، ونادى بذلك ، وشدد بالانكار والنكال بمن يفعل ذلك ، وكان كلما رأى شخصا بيده آلة الدخان يعاقبه ، وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بما فيه من نار .

القرن التاسع عشر

ربما كان أدق وصف وصل الينا عن المقاهى المصرية ، ما كتبه المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين ، فى كتابه « المصريون المحدثون » ، يقول « لين » الذى زار القاهرة وعاش بها فى مطلع القرن التاسع عشر « ان القاهرة بها أكثر من الف مقهى ، والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود ، ويقوم على طول الواجهة ، ماعدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثة وعرضها كذلك تقريبا ، وفى داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة ، ويرتاد المقاهى أفراد الطبقة السفلى والتجار وتزدحم بهم عصرا ومساء وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ، ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغه ، ويقدم « القهوجى » القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد ، أو عشر فضة لتبكرج الصغير الذى يسع ثلاثة فناجين أو أربعة ، ويحتفظ القهوجى أيضا بعدد من آلات التدخين من نرجيلة وشيشة وجوزة ، وتستعمل هذه الاخيرة فى تدخين التمباك والحشيش الذى يباع فى بعض المقاهى ، ويتردد الموسيقيون ، والمحدثون على بعض المقاهى ، فى الاعياد الدينية خاصة ... »

ويبدو من وصف المقاهى هنا أنها تشبه الى حد كبير بعض المقاهى الصغيرة التى لا تزال قائمة فى قرى الصعيد الجنوبى ، لم يكن نظام الجلوس الى مناضد وفوق كراسى متبعا ، ويبدو أن هذا النظام لم ينتشر الا بعد انشاء البارات المخصصة لتقديم الخمور ، ولكن لم ينتقل نظام الجلوس من المصطبة الى استخدام المقاعد والمناضد مباشرة ، انما مر بفترة كانت تستخدم فيها الدكك الخشبية العريضة ، ولا يزال مقهى الفيشاوى القديم وبعض مقاهى القاهرة الفاطمية تحتفظ بدكك خشبيه عريضة لتسع الواحدة منها لجلوس خمسة أو ستة أشخاص متجاورين ، ولا تزال احدى الدكك الخشبية فى مقهى الفيشاوى تحمل تاريخ صناعتها فى سنة ١٩١٠ أى فى بداية هذا القرن ، ويكاد المقهى القاهرى يشبه فى ذلك الحين ، المقهى البغدادى الآن ، والذى يستخدم للجلوس فيها الدكك الخشبية ، غير أن الادوات التى كانت مستخدمة فى مقاهى القاهرة عند بداية القرن التاسع عشر ، لم تتغير كثيرا حتى الآن .

أدوات المقهى

فى أى مقهى قاهرى يطالعنا رف عريض فوق « النصبة » أى المكان الذى يتم فيه اعداد المشروبات ، هذا الرف يحمل عددا من النرجيلات ، وهى آلة التدخين ، وشكل النرجيلة لم يتغير كثيرا عما كان عليه منذ مائتى عام ، فى بداية القرن التاسع عشر ، كانت النرجيلة تتكون من عدة أجزاء ، أولها الجوزة الهندية (وقد حل مكانها الآن البرطمان الزجاجى) ويوضع فيها الماء ، ثم القلب النحاس الذى يحمل الحجر المصنوع

من الفخار ، ويوضع فوقه الدخان ، وفوقه جمرات الفحم ، وتتصل انبوبة التدخين بقلب النرجيلة (الآن يسمى الانبوب « اللي ») ويوضع في مقدمته فم من الكهرمان ، لقد كانت صناعة النرجيلة في بداية القرن التاسع عشر دقيقة ، ويوجد نماذج عديدة في دكاكين التحف القديمة بخان الخليلي الآن ، كل منها كالتحفة الفنية ، بعضها صنع من الفضة ، والنحاس ، والزجاج الثمين ، ويوجد حاليا قسم باكمله من شارع المعز لدين الله في القاهرة يضم عددا من المتاجر تختص بادوات المقاهي ، ولوازمها •

وفي بداية القرن التاسع عشر كانت القهوة تقوم في « بكرج » موضوع على جمر في وعاء من الفضة او النحاس يسمى « عازقي » ، ويعلق هذا الوعاء في ثلاث سلاسل ، ويقدم الخادم القهوة ممسكا اسفل الطرف بين الابهام والسبابة ، وعندما يتناول الفنجان والظرف يستعمل كلتا يديه واضعا شماله تحت يمينه ، وتستعمل مجمرة تسمى « منقدا » من النحاس المبيض بالقصدير ، ويحرق فيها البخور احيانا ، وكانت القهوة يضاف اليها احيانا الحبهان ، أو المصطكا ، اما الاغنياء فكانوا يضيفون اليها العنبر ، اما الآن ، فالقهوة تقدم في كنكة من نحاس ، ثم تصب في فناجين خزفية صغيرة ، وفي معظم المقاهي تقدم القهوة مجردة ، بدون اضافة اي شيء اليها ، ولكن هناك تاجر واحد للبن في القاهرة الآن يقوم بخلط البن بالحبهان ومواد اخرى تضفي عليها مذاقا خاصا لطيفا ، ويعتبر هذه التركيبة من الاسرار ، ودكانه يقع في احدى حواري الغورية بالقاهرة القديمة •



ومن اهم المشروبات في المقاهي الآن « الشاي » ، وهو مشروب حديث ، لم يدخل مصر الا في القرن التاسع عشر ، واثناء الجلوس بأي مقهى قاهري ، تصل الى الاسماع نداءات يطلقها الجرسون مناديا العامل الذي يقف وراء النصبة ، يبلغه بطلبات الزبائن ، ولكل مشروب اسم معين ، والشاي له اكثر من اسم :

- شاي بنور : اي شاي عادي في كوب زجاجي •
- شاي ميزة : اي شاي مخلوط باللبن •
- شاي بوسطة : اي شاي غير مخلوط بالسكر ، انما السكر في اناء صغير مجاور له •
- شاي كشري : اي توضع اوراق الشاي الجافة في مياه مغلية مع السكر •

اما القهوة فيكفي للنداء بالآتي :

- واحد سادة : اي بدون سكر •
- واحد مضبوط : اي متوسط المذاق •
- واحد زيادة : اي السكر اكثر قليلا •

كما تسمى القرفة « فانيليا » • والنرجيلة الصغيرة (حمى) ، والنرجيلة التي تحمل كمية اكبر من الدخان الخالص « عجمي » ، اما الدخان المخلوط بالعسل « المعسل » فينادون عليه قائلين « واحد بوري » ، او « المصري » ، وبالفعل فهو شكل مصري خالص من التدخين، وان كان يشبه تدخين « الجراك » المعروف في الهند وبعض بلدان الجزيرة العربية ، غير ان الجراك عبارة عن فواكه عطنة مخلوطة ببعض الزيوت ، أما المعسل ، فهو دخان « تمباك » مخلوط بالعسل الاسود •

أبو زيد •• والظاهر

حتى انتشار الراديو في مصر ، كانت المقاهي اماكن مخصصة لرواية قصص السيرة الشعبية والملاحم ، وكان اصحاب المقاهي يستقدمون رواة القصص ، وبعضهم يعرف باسم « الهلالية » لتخصصهم في سيرة ابو زيد الهلالي ، والبعض الآخر يعرف باسم « الظاهرية » نسبة الى الظاهر بيبرس ، وقد ظهرت قصة الظاهر بيبرس في القرن السادس عشر الميلادي ، وهي قصة طويلة تختار

بخيال خصب ، ووقائع طريفة ، فضلا عن انها تصور حياة المجتمع المصري بدقة ، وظهرت قصص أخرى هي « سيرة الأميرة ذات الهمة » و « النيرة الكاملة في فتح مكة المبجلة » و « غزوة الامام علي مع اللعين الهضام بن الحجاف » ، و « فتوح اليمن المعروفة برأس الغول » .

ونلاحظ ان قصة الظاهر بيبرس قد انتشرت وذاعت بعد الغزو العثماني لمصر عام ١٥١٧ ، ويبدو انها كانت كرد فعل على الهزيمة ، والجراح التي لحقت بالناس ، ونفس الظاهرة نلاحظها بالنسبة لملحمة « ابو زيد الهلالي » التي انتشرت بعد هزيمة الثورة العرابية ، والاحتلال الانجليزي لمصر ، انه رد فعل الشعب تجاه حدث اليم ، وشكل لحماية الذات بواسطة الفن .

كانت هناك قصص أخرى تروى بالمقاهي ، مثل قصة سيف ابن ذي يزن ، والف ليلة وليلة ، وسيرة عنترة العبسي ، وكان المنشدون يتخذون آلات الطرب كالربابة والعود ، وقد قضى الراديو على هذه الطائفة قضاء مبرما .



عالم المقاهي

يمكن القول ان العصر الذهبي لمقاهي القاهرة كان في النصف الاول من هذا القرن ، خاصة في العشرينات ، والثلاثينات ، وكانت القاهرة الجميلة ، الهادئة وقتئذ ، تزخر بالعديد من المقاهي ، منها مقهى نوبار والذي توجد مكانه الآن مقهى المالية ، وكان مجمعا للفنانين ، وكان عبده الحامولي يقضي امسياته فيه ، ومعه بعض اصحابه ، ومنهم باسيلي بك عريان الذي افلس بعد ان انفق نصف مليون من الجنيهات ، واحيانا كان يضيق بزبائن المقهى فيطلب من صاحبه أن يخليه من الزبائن له ولاصدقائه فقط ، على ان يعوضه الخسارة .

وفي ميدان الاوبرا ، كان يوجد مقهى المنتزال ، وموضعه الآن جزء من ملهى صفية حلمي في ميدان الاوبرا ، وهذا الملهى يضم ايضا مقهى من طابقين حتى الآن ، ويعرف باسم كازينو الاوبرا ، وكانت تعقد به ندوة ادبية لنجيب محفوظ كل يوم جمعة ، وعندما التقيت به لاول مرة كان ذلك في ندوة الاوبرا الشهيرة هذه .

اما مقهى متاتيا فمكانه في ميدان العتبة الخضراء ، وكان يؤمه جمال الدين الافغاني ، والامام محمد عبده ، وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوي المحامي المشهور ، ثم اولاده عباس العقاد ، وابراهيم المازني ، والشيخ امير الشديدي صاحب جريدة عكاظ التي كانت تصدر في القاهرة ، وفي ذلك المقهى مطعم صغير للفول والطعمية الآن يرتاده المقهى يجدون فيه حاجتهم من الطعام .

وعلى مقربة في الموسكي ، قهوة القزاز ، ومكانها الآن بعض المباني القائمة عند الجانب الايمن من الشارع بالقرب من العتبة ، وعامة زبائنها من اهل الريف ، الذين يجلسون فيها ويتاملون النساء القاهريات المحجبات بالبراقع البيضاء والسوداء ، اثناء اتجاههن لشراء حوائجهن من اكبر شوارع القاهرة التجارية في ذلك الوقت ، شارع الموسكي ، وبالقرب من مقهى القزاز كان يوجد محل حلواني اسمه اللبان ، وكان زبائنه من العسكريين القدامى ، والعجائز المتصابين ، بعضهم حارب مع عرابي ، وبعضهم شهد حرب الحبشة ، ومنهم من حضر فتح السودان ، كانوا يجلسون يتابعون المارة ، ويتبادلون الذكريات المستمدة من سنوات عمرهم البعيدة .

وفي شارع محمد علي يوجد مقهى « التجارة » ، وهو من اقدم مقاهي القاهرة ، ويزيد عمره الآن عن مائة وعشرين سنة ، ولا زال قائما حتى اليوم ، ومعظم رواده من الموسيقيين العاملين في الفرق التي تتخذ من شارع محمد علي مقرا لها ، هذه الفرق التي يطلق عليها ، فرق حسب الله ، وحسب الله هذا كان أحد الموسيقيين يعرفه

الخديوى اسماعيل ، وعندما خرج من الخدمة شكل اول فرقة للموسيقى لتقدم الجنازات ، والافراح •

وفى نهاية شارع محمد على ، امام دار الكتب ، مقهى الكتبخانة ، وكان من روادها حافظ ابراهيم ، والشاعر عبد المطلب ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، وكان من رواد هذا المقهى ايضا الشيخ حسن الآلاتى ، وكان الشيخ يرتاد مقهى آخر بحى السيدة زينب ويطلق عليه اسم المضحكخانة ، ويشترط لدخول مجلسه وضع رسالة فى التنكيت والقفش ، حتى اذا حازت عنده قبولا ضم مقدمها الى مجلس النادى ، وقد جمع الشيخ حسن الآلاتى كثيرا من نوادر المضحكخانة فى كتاب طبع فى نهاية القـــرن الماضى ، ويحمل نفس الاسم المضحكخانة •

وخلف دار الكتب كان يوجد مقهى يملك صاحبه رجل عرف بهوايته لمصارعة الديوك ، وكان من رواده بعض الاثرياء الذين يشاهدون ما يقدمه من عروض ، وفى شارع الصليبة القريب كان يوجد مقهى الاتراك ، ومعظم زبائنه من الباشبوزق الذين كانوا يؤجرون انفسهم من بيت محمد على للحرب ، وفى شارع محمد على ايضا مقهى عكاشة ، وهذا المقهى انشىء فى الاربعينات ، بناه اولاد عكاشة اصحاب الفرقة المسرحية المشهورة ، وكان مقهى مزودا باجهزة استماع للموسيقى ، يعشق الاغانى المنشدة ، ويضع السماعات الى اذنيه ، ويطلب سماع اى اسطوانة يرغبها ، لقد ادرك الزمان هذا المقهى بتطوراته الثقيلة ، فاصبح مجرد مقهى عادى بلا اثار من الماضى القديم ••

وفى حى الحسين ، مقهى الفيشاوى الشهير ، وعمــره الآن يتجاوز المائة عام ، وكان يتكون من واجهة انيقة ودهليز طويل حوله مقاصير صغيرة صفت فيها موائد رخامية ، ودكك خشبية ، وكانت شهرة بالشاى الاخضر والاحمر الذى يقدم فى اكواب زجاجية صغيرة ، وفى شهر رمضان يكثر رواده من الفنانين والكتاب والناس العاديين ، وفى ايام الشهور العادية ، كان للمقهى سحره الخاص ، وداخله يخيم هدوء يمت الى الازمان البعيدة الجميلة يؤطره هذه التحف العربية المتناثرة فى المكان ، وامامه يجلس الحاج فهمى الفيشاوى يدخن باستمرار النرجيلة التى لا تنتهى ابدا ، وعلى بعد خطوات منه حصانه العربى الاصيل ، وفوقه القفص الحمام الذى كان مغرما بتربيته ، لقد صدر قرار بهدم هذا المقهى بعد عام ١٩٦٧ ، ولم يستطع الحاج فهمى ان يواصل الحياة حتى يرى نهاية مقهاه ، فمات قبل ان يرتفع اول معول للهدم بايام قليلة • ولحقه على الفور الحمام الذى كان يربيه • كان من اشهر رواد المقهى الاديب العربى نجيب محفوظ ، الذى كان يخلو الى جوه الهادىء العميق بانتظام يوميا اثناء عمله بمكتبة الغورى القريبة عندما كان يعمل فى وزارة الاوقاف ، من الشخصيات التى ارتبطت بالمقهى ايضا عم ابراهيم ، كان رجلا قصيرا ، ضريرا ، يتاجر فى الكتب ، وكان سريع النكتة ، فى ليالى التلاتيلات يصل الى عدد كبير من الرواد ، ويبادلهم هذا الشكل الفكاهى من الحوار ، والمعروف فى مصر باسم « القافية » وكان يرد عليهم كلهم ويهزمهم ، لقد عرف مقهى الفيشاوى العديد من الشخصيات ، بعضها بقى فى ذاكرة التاريخ ، والكثير منها رحل الى دروب النسيان ••

على مقربة من الفيشاوى كان هناك مقهى قـــديم وغريب ، يقع تحت الارض ، واسمه مقهى سى عبده ، وكان دائرى الشكل ، يضم عدة مقصورات ، تتوسطها نافورة مياه ، وقد وصف نجيب محفوظ هذا المقهى فى



روايته العظيمة . الثلاثية ، حيث كان يلتقي كمال عبد الجواد بصديقه فؤاد الحمراوي ، لقد اندثر هذا المقهى تماما ، ومكانه الآن بعض المباني الحديثة .

ومن المقاهي الشهيرة في القاهرة القديمة والباقية حتى الآن ، مقهى عرابي الذي يقع بميدان الجيش ، عند نهاية الحسينية ، وعرابي صاحبه كان احد الفتوات المشهورين في اوائل هذا القرن ، وقد بلغ من سطوته ان مأمور قسم الظاهر لجأ اليه يوما يطلب حمايته لان احد الاجانب هدده ، وكان الاجانب يحاكمون امام محكمة خاصة في ذلك الوقت ، ومن رواد مقهى عرابي نجيب محفوظ ، حيث يلتقي باصدقائه القدامى ، وزملاء طفولته ، وفي هذه الجلسة التي تتم كل يوم خميس تلعلع ضحكات الاديب الكبير ، ويبدو مرحا ، سريع النكتة ، ولا يطرق هذه الجلسة من الشبان الا عدد محدود جدا عرف طريق المقهى الذي يستعيد فيه اديبنا الكبير ذكرياته وقصص شبابه مع رفاق الزمن القديم ، غير انه انقطع عن الانتظام في حضور هذه الندوة الاسبوعية منذ عامين ، والسبب ، ازمة المواصلات في القاهرة ، التي تعوق اديبنا الكبير عن الوصول من بيته في العجوزة الى ميدان الجيش .

وفي مواجهة مسرح رمسيس (مسرح الريحاني) كانت تقع قهوة الفن ، وفيها البؤساء من الفنانين والكومبارس والنساء الضاحكات ، كانت هناك ماري منصور ، وزينب صدقي ، ودولت ابيض ، وامينة رزق ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدي ، وأحمد علام نقيب الممثلين .

اما مقهى « ريش » الذي لا زال موجودا حتى الآن ، فكان من اشهر مقاهي القاهرة

وحتى اربعينيات هذا القرن كان يوجد عدد كبير من المقاهي في روض الفرج ، مقاهي جدرانها من الخشب ، محاذية للنيل ، وفي كل منها عدد من فناني شارع محمد علي ، يعرضون فيها الغناء والمونولوج ، ومنهم حسين المليجي ، ونعمات المليجي ، ولهلوبة ، وزينب فتقل ، وغيرهم ..

واذا ما رحلنا الى الخمسينيات سنجد مقهى انديانا في الدقي ، وكان مقرا لندوة ادبية يومية محورها الناقد الراحل انور المعداوي ، وكان من رواد هذه الندوة رجاء النقاش ، وسليمان فياض ، ومحمد ابو المعاطي ابو النجا .

والآن انحسرت الندوات الادبية التي كانت تعقد في المقاهي ، لم يكن متبقيا منها الا ندوة نجيب محفوظ مع شباب الادباء في مقهى ريش ، كل يوم جمعة ، وحتى هذه الندوة توقفت منذ ان قرر صاحب المقهى اغلاقه يوم الجمعة من كل اسبوع .

● آثار العز القديم في مقهى « عكاشة » الذي كان ملتقى لعشاق الفن !

● كيف اندثر المقهى الذي وصفه نجيب محفوظ في روايته العظيمة الثلاثية ؟

بالقرب من قهوة ريش ، مقهى آخر يلتقي فيه عدد كبير من المثقفين والادباء والصحفيين ولكن بشكل غير منتظم ، وهو مقهى « الندوة الثقافية » ، وهو مشهور بالنرجيلة ، ويوليها اهتماما خاصا ، في نفس الوقت الذي لا تعنى فيه المقاهي الاخرى بهذا النوع من التدخين .

وحدة انسانية

لقد ولى العصر الذهبي للمقهى ، ولكن هذا لا يعني تقلصها ، او انحسارها ، صحيح ان المقاهي التي تفتح حديثا نادرة للغاية ، كما ان محلات تقديم المشروبات ووجبات الطعام السريعة تنتشر الآن ، ولكن لا تزال اكثر من خمسة آلاف مقهى في القاهرة تعج بالزبائن والرواد ، كل مقهى منها يمثل وحدة سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وانسانية ، فيه تصب كل العناصر التي يتشكل منها المجتمع ، الرأي العام للناس يتشكل في المقهى ، وخلال الفترات التي ينتخب فيها اعضاء البرلمان يكون المقهى هو المكان الذي تنطلق منه وتتركز فيه الدعاية ، ويطوف المرشح بمقاهي المنطقة ، يجلس الى الرواد ويتحدث اليهم ويتودد اليهم ، وقد يدعو كل الجالسين لشرب الشاي او القهوة .

في المقاهي يتخذ البعض مقرا ثابتا لاعمالهم التجارية ، مثل السماسرة ، والمقاولين ، كما يطوف بها الباعة الجائلين يحملون بضاعتهم التي تتشكل من اقلام الحبر ، والنظارات ، والمحافظ الجلدية ، وسلاسل المفاتيح المعدنية ، وعندما يدرك التعب احد هؤلاء الباعة يأوي الى مقعد ملتمسا بعض الراحة ، وفوق ملامحه يبدو الشقاء والكد

يرى البعض ان المقاهي اماكن يتبدد فيها الوقت ، وتعطل الانتاج ! ولكنني اذ اركن الى احد مقاهي القاهرة القديمة ، احاول تلمس معالم هذا الزمن الرائق الحلو ، الذي نفتقده الآن في الضجيج والزحام ، وايقاع الحياة السريع اللاهث ، ان المقهى نموذج مصغر لعالمنا يضج بكل ما تحتويه دنيانا ... .

جمال الغيطاني



رياض السنباطي

في عام ١٩٧٧ .. الـذى لم أطـراف ومضى ، حظى رياض السنباطى بتكريم على المستوين العالمى ، والمصرى .. فعالميا فاز بجائزة الموسيقى الدولية .. ومصريا فاز بدرجة الدكتوراة الفخرية قدمها اليه الرئيس أنور السادات في عيد الفن .. وليس في العالم العربي من المحيط الى الخليج من لم يتمايل طربا لالحان السنباطى التى حملتها الى الاسماع خالدة الفن أم كلثوم ·





لانـــه :

اول من حافظ على التراث العربى التقليدى الاصيل ·

اضاف اليه اضافات جمالية كثيرة اخذ عنها الملحنون الذين جاءوا من بعده ·

ادخل تجديدات كثيرة على التصـور الموسيقى · والانتقالات اللحنية التى لم تخرج رغم جمالها وتجددها من الاطار الذى وضع اساسه عبده الحامولى فى اواخر القرن الماضى ·

ادخل كثيرا من الالات العربية دون أدنى تشـويه للمسار اللحنى الذى ابتكره بعبقريته العربية التى جعلت الحانه تتردد فى جميع انحاء الوطن

لانه كذلك رشحته اللجنة الموسيقية العليا لجـائزة الدولـة ·

ولانـــه :

يؤثر القيم الفنية على كل ما عداها ·

ويسهم اسهاما حقيقيا فى الموسيقى العربية ··

ويرتفع فوق كل ما هو شخصى ·

لانه كذلك رشحه صالح المهدى رئيس مجمع الموسيقى العربية التابع للجامعة العربية لجائزة اليونسكو الدولية. وجه العجب أن صالح المهدى رشحه بدلا منه .. فلمـا

حارس موسيقى

فوميـل لبيـب

سمع بذلك موسيقي مصري عجوز اكل الحقد قلبه اعترض بخطاب ارسله الى صالح المهدي قال فيه لابد من تكريم رياض السنباطي محليا قبل تكريمه دوليا • ولهذا الموسيقي كلمة مسموعة لانه عضو المجلس الدولي للموسيقى •

اما صالح المهدي — التونسي الاصل — الذي انكر ذاته وقدم السنباطي على نفسه فقد رد بخطاب حاسم قال فيه :

« لقد كنت اعتقد ان السنباطي شخصية عربية قامت باثراء الانتاج العربي مع حفاظها على اصالة هذا الفن في جميع خصائصه •• وانني لا اعتقد ان عربيا واحدا لا يحس بموسيقاه او ينكر دوره في الموسيقى العربية • او يستطيع ان يعطلني على ترشيح الاستاذ محمد عبد الوهاب الموسيقار العربي »

وقد درس المجتمعون في اليونسكو موسيقى المتقدمين للجائزة الدولية •• درسوا موسيقى ليتارو ازفيدو البرازيلي ، وخريتكوفوف الروسي ، وادوارد الفاني ، وجوتمان عازف الكلارينت الامريكي •• ورياض السنباطي ، وقالوا ان السنباطي يستحق الجائزة حقيقة لانه •• استطاع بالموسيقى التي قدمها التاثير على منطقة لها تاريخ حضاري ••

وكان الاحتفال بتسليم الجائزة لرياض السنباطي يوم ٦ اكتوبر عام ١٩٧٧ •

وقد دق التليفون في بيت رياض السنباطي وتلقى دعوة بالذهاب الى مسرح سيد درويش بمدينة الفنون لتسلم شهادة الدكتوراه الفخرية من يد الرئيس انور السادات •

وبعد دقائق تسلم خطابا من هيئة الجوائز الدولية تدعوه الى براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا حيث يتسلم جائزته — ٥٠٠٠ دولار — ليلة ٨ اكتوبر !

يضحك السنباطي ويقول :

— يقول المثل العامي « الفقي لما يسعد يجي له ختمتين في ليلة واحدة » !



واختار السنباطي ان يتسلم الجائزة من الرئيس السادات •

واعتذر بخطاب رقيق عن السفر الى تشيكوسلوفاكيا •

وفي يوم ٨ ديسمبر الماضي قامت جمعية المؤلفين والملحنين بتكريم السنباطي •• الدكتور •• الفائز عالميا !

منذ ٧١ عاما

والمكان بلدة فارسكور من اعمال الدقهلية •• حيث الارض الزراعية مغمورة بالمياه تغوص فيها شتلات الارز ، والفلاحون عائدون الى دورهم في اطراف البلدة • والعمال السمار يجلسون على المقاهي •• والنساء يطللن من النوافذ ويتبادلن عبر ذاك الاصيل ••

— المتولي خلف ولد ••

والمتولي هو السنباطي الكبير الذي كان يغني في الافراح في فارسكور ، ويتقن الادوار القديمة والقصائد ، ويقلد عبد الحي حلمي والصفتي •• ثم يعلو صيته وتضيق فارسكور بطموحه فينتقل الى المنصورة نهائيا ويحظى بلقب ، بلبل المنصورة •• ولكنه يفاجأ بمرض في عيني صبيه رياض •• ويهلع •• ويأخذ ضناه الى الطبيب الذي يقول له :

— ابنك يعاني من العين العصبية ، هنا لا شفاء لها الا بان تاخذه الى الريف حيث يستطيع ان يتامل خضرة الحقول ، وينظر الى افق ازرق وسماء صافية ••

وذهب الاب مع ابنه •• وفي الريف اتيح له ان يسمع ابنه يدندن باغنية ، نام الحمام والقمري ، •• فسأله :

— متى بدات الغناء يا رياض ؟

فقال الصغير :

— منذ عرفت معنى ما اغنيه ••

فقال الاب :

— سوف ، نسرح ، سويا •• سوف تغني ما !



رياض السنباطي

حارس موسيقى العرب

ويبدأ السنباطي الكبير يتجول مع السنباطي الصغير ..

وفي تلك الاثناء كانت قافلة تستقبل سماء الغرب في مهل ! تجوب القرى والسنابل والطيور مع ابيه الشيخ وشقيقتها الصغيرة .. اسمها ام كلثوم ، ولعل من مسقط راسها غير بعيد عن مسقط راس رياض .. وهو يسمع عنها ويتمنى لو يراها .. وهي تسمع عن السنباطي الكبير وولده .. وتتمنى لو تراهما ..

وفي محطة « درين » التي يقف عليها قطار صرياته تئن عرباته فوق قضبان هزيلة التقيا ..

الوقت فجر .. والمرئيات تلتف في ضبابه ، والمطر يهطل رذاذا كأنه ينثر بأفواه القرب – كما يقولون !

وهي تحتمي بجبة ابيها ، وهو يحتمي بجبة ابيه .. السنباطي والشيخ ابراهيم يتصافحان ، وام كلثوم ورياض يتعارفان ..

– كنت تغني ؟
– نعم .. في فرح لاسرة البيلاوي ..
– وأنت ..
– في فرح آخر ..

– البس الشتاء حتى الفجر ، والسفر بعد ذلك الى المنصورة مشقة اكثر من عمرنا ؟ كان رياض اصغر منها .. وكانت تشفق عليه من هزاله .. والبلل القطار يصفر كأنه سعال ، فاستقلاه .. وجلسا متجاورين ، ويقتلان الوقت بالحديث ، ولكن النوم غالبهما ، بينما استأنف الكبار الحديث ..

وافترقنا عند محطة المنصورة ..

ولم يكن احد يدري .. ولا عراف .. ان الصغيرين في قطار الدلتا سوف تصفق لهما الدنيا حين يلتقيان مرة ثانية !

الينابيع الكثيرة

يقول رياض السنباطي :

– تأثرت بأبي الذي كان اول من علمني العود .. وقد كان عوادا مشهورا له ، وعلمني عشرات من الادوار القديمة التي اعتبرها كنزا مدفونا في اعماقي

– والتقيت بالشيخ سيد درويش ، كنت احفظ له ادواره ، ولبثنا ما ان رأيته حتى احببته جدا ، وسمعني وكان يقول لابي : يا محمد اتركه لي رياض وانا اتولاه .. فيقول له ابي : كيف اتركه رياض ، يذهب الى الاسكندرية معك .. انه ساعدي الايمن .. ولكن سيد درويش ما كان يزور المنصورة الا واصحبه ، يأخذني الى محل وانشويولو .. وهو حلواني مشهور في السوق لا زال محله مفتوح الابواب الى اليوم .. وكان يتلف لي البسبوسة

وكان ابي حين يعود بي الى البيت قال له : يجب الا يبقى رياض في المنصورة يا محمد .. رياض موهوب ومكانه القاهرة ..

– بعد الدراسة ادركت عظمة سيد درويش ، فهو الذي نقل الموسيقى من دائرتها المحدودة الى دوائر الانغام الفسيحة .. وهو الذي يتبحر في خلق المعاني اللحنية الحلوة ويصورها تصور الفنان المتمكن الاصيل ، وتاريخه يشهد له بما أتاه من ألحان خالدة للآن لم تمت .

يقول رياض السنباطي :

– دعني اشرح لك حكاية الموسيقى العربية من البداية ومن البداية اقول لك ان من الخطأ ان تقول انها الموسيقى الشرقية لان الموسيقى الشرقية فيها ايرانية وتركية وهندية واندونيسية .. وهي موسيقى لها خصائصها كما ان للموسيقى العربية اطرها ومميزاتها ، واول من عزف العود اسحاق الموصلي .. تمضي اعوام ثقيلة من الكساد الموسيقي حتى يجيء عبده الحامولي في اواخر القرن الماضي ومعه المظ .. فيقدمان فنا جديدا ، ومع جمال ما كان يغنيه مطربو عصر الحامولي وما بعده .. الشيخ المنيلاوي وابو العلا محمد – الا ان الدائرة الفنية التي يعيش فيها اللحن كانت ضيقة .. كان اللحن .. معقولا .. ولكنه كان جميلا .. الذي وسع الدوائر كما قلت هو الشيخ سيد درويش ..

ويقول رياض السنباطي :

ـ وفي الموسيقى العربية فن الموشحات ، وقد انتشرت الموشحات في مصر عن الطريقة المولوية وهي طريقة تنتمي الى الدين الاسلامي ، واكثر موشحات المولويين ماخوذة من الموشحات التركية ـ امان يالي وغيرها . ويتنوع اداء الموشحات من بلد الى بلد .. ففي العراق موشحات معتبرة .. وقد سمعت عبد الحليم حافظ يغني من موشحات شلة عبيد في تونس .. وفي الخليج سمعت موشحات تهز الاعطاف . الموشحات من بلد الى بلد كانها اللهجات العربية تختلف من بلد الى بلد .. وقد استمعت الى الموشحات في مصر من اساتذة المولد النبوي .. من امثال الشيخ الفيومي ، والشيخ ابراهيم الشعراني والشيخ طه الفشني الذي كان في صباه من اجمل من يؤدون المولد النبوي ، وقد شاعت الى اصالتي مدائحهم ، واسلوبهم في الاداء سهل ممتنع ـ ولعل لحنت من هذه الموال حين امسكت عودي لالحن ..

ثم يقـــول :

ـ جئت اذن الى القاهرة .. هيا نعود الى خيط الحديث الاول ـ سمعت روائع ابو العلا محمد ومنها « عن السلوان قادر » ، « والقديه ان حفظ الهوى او ضيعا » .. سمعت عبد الحي حلمي وغيره من المطربين الذين رحلوا ، وكنت اجد لذة في الاستمتاع بطابعهم المصري .. وحين جئت الى القاهرة وجدت محمد القصبجي احسن عواد في مصر ، وكان فضلا عن هذا ملحنا ممتازا . ولكنني وقد جئت الى القاهرة برضا غير مكتمل من ابي اردت ان اخوض ساحة الفن باسلحتها الحقيقية فقررت ان التحق بمعهد الموسيقى . وتقدمت الى امتحان الاصوات

واستمعت لي لجنة فيها مصطفى رضا وصفر علي والسود وحافظ بحيري .. ونجحت وقررت لي جائزة قدرها ٣٠ جنيها تسلمتها على ستة اقساط ..

ويضحك السنباطي ويقول :

ـ كان الجنيه ابرك من عشرة الان ..

ويستطرد قائلا :

ـ ولكن اللجنة حينما استمعت الى عزفي على العود تهامست طويلا .. ثم قال لي مصطفى رضا نحن قبلناك في المعهد .. انهضت من على مقعدي وانا اقول شكرا . فقال : ولكننا لن نقبلك تلميذا .. فوجمت لثوان سالت نفسي فيها ماذا اذن ؟ وجاءني جواب مصطفى رضا ملهلا . قال لي « سوف نعينك مدرسا للعود » .

التلميذ .. استاذا !

قبل السنباطي اربعة جنيهات راتبا شهريا ولبس بدلة شكرا للسماء التي ترعاه والخرط في مناخ الموسيقى بروح مشرئبة الى كل نغمة واردة ، وتقنن النغم وتشاوم كل نغمة شاردة . اشتهر هذه اطلاله التلميذ للعلم .. ومن اساطين من تعلموا على يديه الشيخ فريد الاطرش

ويقول رياض السنباطي :

ـ بعد سبعة عشر عاما من لقائنا الاول في « تدرين » التقيت بالفنانة ام كلثوم مرة اخرى . كان صيتها قد طبق الافاق في القاهرة حين بدات عملي كمدرس للعود وكنت اتابع الحانها واحسد الذين يلحنون لها . وكانت تتمرد في اعماقي ملكة التلحين تعبيرا عن عواطف جياشة يعيشها الشباب في مثل سني .. وقد تقدمت بالحاني لشركة « اوديون » فعهدت الى بمطربين ومطربات .. ناشئين وناشئات ، وكنت على موعد مع القدر لان الفنانة ام كلثوم استمعت الى بعض هذه الالحان .. فطلبت ان الحن لها .. وهكذا بدات اصنع صفحات عمري .. تعاونت مع مطربة العرب الاولى على مدى اربعين عاما ..

الشعر صديق الموسيقى

تربع السنباطي فوق كنبة الصالون .. وقال وقد استهواه الحديث ولذ له تداعي بالذكريات :

ـ نحن ابناء جيل يحترم الشعر . ويعتبره الصديق الاول للموسيقى .. او التوام . كنت احب محمد عبد الوهاب . وهو يغني نون احمد شوقي .. يا جارة الوادي وعلموه كيف يجفو فجفا .. فاخترت من ديوان شوقي سلوا قلبي .. واحببت ام كلثوم سلوا قلبي لانها تجمع بين الغزل والوطنية والتصوف ، ولكنها كانت تغنيها في الاسكندرية ذات مرة وعندما وصلت الى البيت





رياض السنباطي

حارس موسيقى العرب

الذي تغنى فيه . وماتيل الطالب بالتمني .. ولكن تؤخذ الدنيا غلابا .. هبت الجماهير بالتصفيق المتواصل .. واهتزت قاعة المسرح بالهتافات الوطنية . وفي الصباح احتجت السفارة البريطانية على الاغنية التي يمكن أن تحرك الجماهير الى الثورة .

فاذا ابتعد السنباطي عن ام كلثوم .. فانه قليلا يعطي لغيرها ، اذ ذاك يغني هو .. لان رياض السنباطي يدخل في عداد المطربين الاصلاء .. تميزهم دقة الحس وروعة الاداء . ويقول السنباطي بتواضع :

ـ ولكني لم اعتني بنفسي كمطرب .. فالمطرب له مواصفات غير موجودة في .. وان كنت اعطي نفسي درجة جيدة في الغناء . فانا اخاف الجمهور .. ولهذا اتوارى .. واغني امام ميكروفون في ستديو مغلق ..

ثم يقـــول :

ـ لي قصائد كثيرة غنيتها بنفسي .. ومن احبهـــا الى قلبي قصيدة اشواق للشاعر مصطفى عبد الرحمن التي يقول فيها :

ايها الناعم في حلم الخيال
تذكر العهد وماضي الصفحات
لا رات عيناك شكي و ضلالي
وحنيني ولهيب الذكريات

قال رياض السنباطي :

ـ تسالني ماذا اعمل الآن .. اقول لك الحق لن يستحق : تسالني ماذا كنت اعمل قبل قمة البيت اقول لك انني كنت مدرس علم النغمات في الكونسرفتوار . كان تلاميذي من بنات وبنين ، وقد نجح من البنات عفاف راضي ، ونجح من البنين غازي علي .. ثم فوجئت بهم يحيلونني الى المعاش ..

المتعلمون .. او الموهوبون ؟

وقـــال :

ـ تسالني ايهما قدم للفن اكثر : المتعلمـــون ام الموهوبون .. اقول لك ان التعليم الموسيقي لا يخلـــق المواهب . فنحن مدرسة الموهبة .. نؤمن بان المطـــرب او المطربة يجب ان يتربيا على ايدي الملحنين المتمكنين . ام كلثوم لم تذهب الى الكونسرفتوار . عبد الوهاب لم يعرف هذا الطريق .. ومع هذا فنحن نعيش عصر ام كلثوم وعبد الوهاب .. اليس كذلك ؟

وســـالته :

ـ لماذا اخترت العزلة ؟ . لماذا فضلت الوحدة ؟

فقـــال :

ـ لا اعتقادي ان عزلتي كسب ، فانا اللقى وقتي مع نفسي .. واستغله في الخلق والابتكار .. واقـــرا الشعر القديم والحديث . انا لست في عزلة .. انا مع نفسي ومع كتاب .. انا مع خاطرة او لحن واحيانا ارى التليفزيون ، واتحاشى ان اسمع الغناء لانني احزن على المستوى الذي وصلنا اليه ، ارى تمثيلية هادفة .. او اتابع خبرا سياسيا من الاخبار المثيرة التي تمتلىء بهـــا حيـــاتنا ..

ثم استطرد قائلا :

ـ والحقيقة التي لا احب ان اخفيها هي انني لا احب المجتمع ولا امن له انا لا احبه خوفا من عواقب الاندماج فيه حتى لو قلت ان المجتمع يحبني .. انـــا لا احب الاقدام على شيء اندم عليه بعد فعله .

وقـــال :

ـ وتستطيع ان تقول ان بعض عزلتي تصـــوف لا اكثر .

والشعراء من كل مكان

ومثلما يقرا رياض السنباطي شعر المبـــدعين من مصر يقرا للملهمين من كل بلد عربي ..

ـ قرات دواوين عبد الله الفيصل وقدمت « ثورة الشك » .. « وليته يعرف الليل » ، الاولى كما تعرف

غنتها السيدة ام كلثوم ، والثانية غنتها نازك • اين ذهبت نازك ؟ يا خسارة نازك ••

ثم يقـــول :

ـ عبد الله الفيصل سعودي ، وابو القاسم الشابي تونسي ، وعمر الخيام فارسي •• ولن اكف عن التقليب في دواوين الشعر العربية لانتقي • والقدم لمن تغني •• ولمن يغني •• واغني انا ايضا ••

ثم بحسرة يقول :

ـ ولكن اين الطرب بعد ام كلثوم ، لقد انقضى سامره وانتهى عهده ، طرب هذه الايام تشنجات من المطربة وتهليل من الجمهور • وهذا في اعتقادي هستريا من يتعاطون مكيفات محظورة •• اما جمهور ام كلثوم فشيء آخر •• كنت اسمع ام كلثوم واسمع في نفس الوقت جمهورها ، والقول لام كلثوم آه •• والقول للجمهور الله لانه يتمتع بحس ذكي فيعرف اين يصفق ويحترم الجملة اللحنية فلا يقاطعها ، وهو يشتر احكامه على اللحن من اول مرة سماع •• الجمهور يعلمها •• الجمهور يعلمني •• الجمهور عندنا يعرف من يحترم •• وماذا يحترم !

ثم يقـــول :

ـ في الفرق الموسيقية الآن ضجيج يؤذي الاذان • فقد صوت العود ـ آلتنا الشرقية الاصيلة ـ امـــام الاورج الصاخب المريد والجيتار الناقع الصـــوت ، ولكني اؤكد لك ان العود سوف يحتفظ الى الابد بجماله وشخصيته ، انه الآلة الوحيدة التي يلحن عليها الملحن •• دلني على ملحن يضع الالحان على الاورج او الكمـــان او البيانو •• سيمتد عمر العود ما بقي على ظهـــر الارض ملحن ••



الصدق والصراحة

ورياض السنباطي رغم عزوفه عن الناس شـــديد الصدق •• شديد الصراحة وهو يقول لك رأيه فيك حتى لو اغضبك ، لانه يعتقد ان صدق الاحساس وهو يلحن يجب ان ينسجم مع صدق الشخصية وهي تتصرف في الحياة •• فكيف للمنافق المزيف المتآمر ان يكون صادقا في لحن ••؟

عن نفسه يقول السنباطي :

ـ علمت بالموسيقي العجوز الذي اعترض على ان اخذ الجائزة الدولية ، لم يدهشني هذا لانني تذكرت مواقفه منذ عرفتها قامت دائما على النفاق • هو يظهـــر ودا لا يمليه ، واخلاصا ليس في طبعه • وقد فوجئت بانني لا اعرفهم يطلبونني تليفونيا ويستالونني في الصحف للدفاع عني اذا لم اقم انا بالدفاع عن نفسي ضد مؤامرة الموسيقي العجوز •• ولكني شكرتهم وقلت لهم ان طوالتي لا تحب المعـــارك ، وطبعي لا يحب المشاكل ، وذات ليلة كنت الحن قصيدة البوصيري ليلتنا الشيم ، وياسمين صوت مبشر يستقبل هائل • ودق جرس التليفون • وردت زوجتي •• وجاءت تقول لي • فلان يطلبك ، وتذكرت على الفـــور انه لم ينجح في مؤامرته فانا تلقيت دعوة لتسلم الدكتوراه من السيد الرئيس السادات •• وتلقيت خطاب الجائزة الدولية من براغ •• وتركت عودي وقمت اليه •• فقال :

ـ اهلا يا استاذ •• اهلا يا صديق •• اهـــلا يا حبيبي ••

ويستطرد السنباطي قائلا لي :

ـ للقتني عبارات نفاقه ، فقلت له : كيف يا رجل تواتيك الشجاعة على الاتصال بي ، بعد الذي فعلته ؟ كيف تتكلم وانت لا صديق ولا حبيب ، بل انت عدو •• ومواطن جاحد لا يخلص للفن ولا للفنانين • ان اعتراضك هو اعتراض على كل فنان في مصر •• على كل فناني العرب •• لان رياض السنباطي حين يكرم في محفل دولي فان التكريم لكل فنان في مصر •• ولكل فناني العرب •• اسمع •• لا تتصل بي • انا لا اريد ان اسمع صوتك •

والسنباطي •• هذا القط البري •• هو الذي يبلغ عنان السماء اذا لحن الشعر الصوفي ، والرى حياتنا بالقصائد التي تبقى لنا جسورا الى المعاني السامية •• ووشائج تربطنا بالله •• وبالفن ••

فوميل لبيب

د. حسين فوزي

تأملات في عصر الرينسانس

لست مؤرخا ، ولكني اعشق التاريخ ، قراءته عندي معايشة له . تاريخ بلادي توكيد لشخصيتي ، والتاريخ الاسلامي توكيد لايماني . والتاريخ العام توكيد لرفقة الانسان . تجذبني في كل هذه التواريخ حقبات اليقظة ، التي تدفع الانسان في مراقي الحضارة دفعا ، بالفكر ، والاحساس ، واعمال كافة الحواس . قد يبلغها بالثورات ، وقد يحققها بالسلام . الا ينتشر فكره الجديد انتشار الضياء ، وقد يتمثل بالغزو ، وهو شر يطوى الخير ، فينتقل هذا غصبا عنه . يقظة الشعوب هي التي تعنيني ، أيا كان مصدرها . ومثل ما نقلته الحروب الصليبية من الحضارة العربية الى الغرب ، وما افاده الشرق الاوسط منها ، كما كسبه العرب من الروم (بيزنطة) ومن الفرس ، والهند ، وما نقلته الفتوح الاسلامية في صقلية ، وشبه جزيرة ايبريا الى اوربا ، وفضل الثورة الفرنسية على اوروبا ، وكانت الخير الذي خرج من شر الغزو الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت ، والحرية التي نشرتها تلك الثورة في العالم هي أيضا : بنت عصر الارهاب اليعقوبي . وفي التاريخ حضارات اصيلة تمثل يقظة الانسان بحكم انسانيته وقدراته العقلية والشعورية . حضارات ، الشرق الادنى ، في وادي النيل ، وبلاد الرافدين ، وحضارة اليونان ، وحضارات اسيا : فارس ، والهند والصين . ثم الحضارات التي نزلت بها الكتب السماوية الثلاثة ويكفي التحدث عن حضارة « الرينسانس » أو ما نصفه بعصر الاحياء ، أو عصر النهضة . وهي حضارة نشأت في الدويلات الايطالية نتاجا عجيبا من مسيحية العصر الوسيط ، ومن العودة الى حضارة الاغريق ، واحياء حضارة الرومان ، ومما استلهمته من الحضارة العربية . لا اكتبها لمجرد ناقل لها عن اعلام الكتب التي ارخت لها ، وانما كقارئ وعى ما جاء بتلك الكتب ، بعد ان تجولت في بلاد نشأتها ، وشاهدت آثارها ، وقرأت بعض آدابها ، وتمتعت بكل مظاهر فنونها .

ولقد فاضلت بين ما قرأت من مؤلفات عنها ، واشهد بأن كتاب السويسري يعقوب بوركهارت « حضارة الرينسانس في ايطاليا » هو اشهرها ، واقدرها على النفاذ الى اصولها . فاتخذته قائدا لتحرير هذه الفصول التي تؤلف كتابا عربيا صميما ، أرجو له اذا ما تم أن يقوم بدور الدليل العقلاني الى تلك الحضارة ، يضيء لنا جميعا سواء السبيل فيما اعتبره اساسا لا غنى عنه لمن يلتمس طريقا يبلغه معنى الحضارة اطلاقا . فهي فكر ورقي وعلم ، وتفتح لاكتشاف المعمورة دنيا ، والانسان روحا وجسدا ، والجماعات ادارة وسياسة واقتصادا وتجارة .

قسم « بوركهارت » كتابه الى خمسة اقسام هذه رءوس موضوعاتها :

الدولة كعمل فني ـ نمو الفرد ـ احياء الحضارات القديمة ـ اكتشاف الدنيا واكتشاف الانسان ـ المجتمع واحتفالاته وأعياده ـ الدين والاخلاق .

ولن اختار من هذه القواعد اساسا لبحثي الا : نمو الفرد واحياء الحضارات القديمة واكتشاف الانسان واكتشاف الدنيا .

نمو الفرد

واذ ابدأ بنمو الفرد فلان عنوان حضارة « الرينسانس » هو انسان متفتح العقل والشخصية يطرق مجالات المعرفة بمقدرات البشر وانجازاته في الفكر والفن والعلم والادب . وتلقانا هنا ظاهرة مشابهة في أوج الحضارة العربية . اذ يتجه فكرنا توا الى ابناء سينا ورشد والهيثم وخلدون ، والى ابي الريحان محمد بن احمد البيروني . وهي شخصيات موسوعية ، ان تخصصت في باب من أبواب المعرفة ، فان اتساع ذهنها ، وامتداد بصرها يصلها بشتى فنون المعرفة وعلومها وآدابها .

واستأذن هنا في سرد طرف شخصي كان الدافع الى اعتزامي وضع هذه الفصول ، وهي مهداة مقدما الى روح الطبيب المصري العلامة ، والمفكر العربي الاصيل المرحوم الدكتور محمد كامل حسين . فهو الصورة التي تكشفت لي في منتصف عمره وعمري ممثلة للشخصية الجذرية في حضارة العرب ، وفي حضارة الرينسانس .

حضارة عصر النهضة : إنسان متفتح العقل والشخصية

نمو الفرد وإحياء الحضارات القديمة واكتشاف الانسان

رفاعة الطهطاوي



ميكلانجلو

نابليون

وقد احتفل « الاتحاد العلمي المصري » في الشهر الاخير من سنة ١٩٧٧ ، عام وفاته (مارس) ، باحياء ذكراه ، وكان علي في هذا الاحتفال أن أتحدث عن محمد كامل حسين الانسان الذي يمثل « الهيومانيزم » في عصرنا أصدق تمثيل .

اتجهت في اعداد خطابي الى عصر الاحياء بحثا عن نموذج فردي يضاهي محمد كامل حسين - وعندما اخترت هذا النموذج ، عثرت على وصف لشاعر كبير معاصر له ، هو بوليتسيانو ، شاعر بلاط لورنزو الافخم أمير فلورنسا في أزهى حقبات عصر الرينسانس ، أترجم هذا الوصف بتصرف قاصر عن اقتضاب بعض المعالم التي تكشف من الشخص الموصوف في الاصل ، فيحسب السامع العارف بكامل حسين ، أنه وصف له :

« كان ألمع الشخصيات في المجتمع - شخصيته الجذابة شبت ونمت على المعرفة - وبدافع عقله اليقظ تابع الدراسة من باب الى آخر : وحقق امتيازا ملحوظا في الشعر والادب والفلسفة والعلم - وصفه شاعر من معارفه بأنه نموذج مثالي ، وهبته الطبيعة كل عطائها ... رجل مكب على الدرس بلا معاناة ، صاحب ذاكرة عجيبة ، وثقافة بارحة الجنبات - متمكن من لغته ، وهو علم فيها - متضلع في لغات اخرى - دماثة الخلق في طبعه ، متفتح العقل لكل فلسفة وكل دين لا يرفض نظاما عقلانيا ، مع أنه المتصوف بقلبه وكيانه ، دون تقبل الغيبات الشعبية - يعطف على الفلسفة الاسكولائية ، وهذا غير معهود في أنداده - متبحر في الفكر العربي ، ومتلفت الى الفكر العبراني - لا أثر للتعصب في تفكيره ، ولا في علاقاته - طالع الاناجيل وكتب العهد القديم ، وتدارس الديانات المقارنة ، وجمع في وحدة معارفه الموسوية والمسيحية ، وضم اليها الافلاطونية - وعلى الرغم من الاحترام والتبجيل الذي يقابل به في كل موضع ، فقد احتفظ بتواضعه ، الا فيما يمس دقة تفكيره ، وصحة علمه ، أو يحط عن قرب أو بعد بقيما العقل والحكمة » .

الموصوف بهذا هو الكونت جوفاني بيكو ديللا ميراندولا ، كان عضوا بأكاديمية أفلاطون بفلورنسا ، وهي تجمع الدارسين للحوار الافلاطوني : الامير لورنتسو ، والشاعر بوليتسيانو وسيد الفنانين ميكلانجلو بوناروتي ، والفيلسوف مارسيليو فيتشينو مترجم أعمال أفلاطون الى اللاتينية .

عهد الاحياء

كان بيكو ديللا ميراندولا الشخصية الساحرة في الاكاديمية - درس في جامعتي بولونيا وباريس ، واستقبل بحفاوة في الاقطات أوربا - ثم استقر في فلورنسا ، يطلب الامير الديتشي - عالج الشعر والفلسفة والعمارة والموسيقى - وصفه الشاعر بوليتسيانو : طويل القامة ، وسيم الطلعة ، وسارها ، قوي الذاكرة ، موسوعي الثقافة ، عارف بلغات كثيرة ، حفي بالنساء والفلاسفة - كريم الخلق ، يلازم في كل ما يتسم بالعقل ، عقله متفتح لكل فلسفة وديانة - وهذه صفحة من كلام جوفاني ديللا ميراندولا عن منزلة الانسان :

« سوى الله الانسان في ختام مخلوقاته - خلقه ليعرف قوانين الكون ، فيعشق جماله ، ويعجب بعظمته - لم يربطه بمكان ثابت ، ولا بعمل بعينه ، او بضرورات جامدة - ولكنه ، سبحانه ، وهبه الحرية في ارادته وعاطفته ...

« قال الرب لآدم : لقد وضعتك في وسط الدنيا لكي تشرف وترى كل ما فيها - لم أخلقك سماويا ولا أرضيا ، لا فانيا ولا مخلدا - لك الحرية لتسوى وتحكم بنفسك - فقد تنحط الى درجة البهائم ، وقد ترقى الى الشبه الرباني - فالحيوانات تحمل من أجساد أمهاتها ما يلبث بها طول حياتها - اما الملائكة فهم منذ الخليقة - أو في أعقابها عن النو ، باقون كما هم الى أبد الآبدين - لك وحدك النماء والتطور حسبما تشاء ارادتك الحرة ، لانك تحمل في كيانك كل بذور (جراثيم) الحياة الدنيا » ...

تأملات في عصر الرينسانس

صفة عامة لعصر الاحياء : اتساع الثقافة ، مما يمهد الطريق الى التقدم ، ويسمو بالحاسة الفنية للانسان ...

عهد الاحياء في أوربا ظاهرة حضارية تشبه ما حدث في عهد ازدهار الحضارة العربية ، سـواء في عصر المأمون ، أو بعده في حضـارة الاندلس . لم يختص « الرينسانس » على ما يفهم من اسمه ، ويعني « الميلاد من جديد » ، توصيفا للعودة الى حضـارة الاغريق . وانما كان انفتاح الانسان على نفسه لتحليل ظواهرها وباطنها ، وتشوقه الى استطلاع الكون واكتشافه . وهذه الظاهرة الحضارية لم يختص بها « الرينسانس » ، ولا عصر المأمون ، أو عصر عبد الرحمن الاموي ، صقر قريش . وانما هي سمة كل حضارة مزدهرة يمكن ان توصف بيقظة الروح والعقل » ...

عصر الايمان

يقول « ول ديورانت » في مجلده « عصر الايمان » من كتابه « قصة الحضارة » :

« ارتفاع شأو الحضارة الاسلامية ، وتدهورها ، من المعالم الكبرى في التاريخ . فلمدى خمسة قـرون من سنة ٧٠٠ حتى سنة ١٢٠٠ م . قاد الاسلام العالم سؤددا ونظاما ، واتساع ملك ، وأساويا في الحيـاة ، رقيقا مهذبا . كما قاده في نماذج المعيشة ومستوياتها ، وفي التشريعات الانسانية ، والتسامح الديني ، وفي مجالات الادب وبحوثه ، وميـادين العلـوم والطب والفلسـفة » ...

وحينما تلمست الشبه بين العالم والطبيب والاديب محمد كامل حسين ، وبين رجل الرينسانس النموذجي ، انما عنيت تصوير الشخصية الحضارية التي تؤثر في عصر من العصور ، وتبقى معلما من معالمه ، وتشير الى نهضة أو احياء ....

محمد كامل حسين في القـرن العشرين ، مثـل بيكو ديلا ميراندولا في القرن الخامس عشر ، يمثل عصر نهضة واحياء بدأ في منتصف القرن الماضي ، حين كان علمه وشارته ودليله هو رجل الازهر رفاعه رافع الطهطاوي . وما فتيء هذا العصر يغذ السير الى الذروة على الرغم مما ابتلي به من حكام ضعاف أو اقـوياء ، ولكنهم في الجريمة سواء ، جريمة اهمال شعب خلاق ، صناعته الحضارة ، وتاريخه في الحضارات لامع رائع .

د. حسـين فـوزي

العدد القادم

... والناس هنا يموتون في القالب فجأة ، وكان الموت يعرف أن هذه هي الطريقة الوحيدة الممكنـة للتعامل معهم فلو أنه قام بأي مقدمات ، لربما عادوا جميعا الى بلادهم ليموتوا هناك ، مما قد يؤدي الى فشل المشروع . لماذا يحرص الناس على الموت في بلادهم ، مع أنهم أقل حرصا على الحياة فيها ؟ أليس ذلك نوعا سخيفا من الأنانية ؟ أم أنه ضرب جديد من الوطنية ؟ » .

كلمات متقاطعة

بقلم الكاتب الروائي

أبو المعاطي أبو النجا





نوافذ مفتوحة

الهروب من الارض

يحتفلون في اوروبا هذا الاسبوع بمرور مائة وخمسين سنة على مولد رائد قصص الخيال العلمي ، بمزيج من التقدير الحقيقي لعبقريته ، والاسف على ما آلت اليه في وقت واحد ، حال القصة ، وحال الخيال — وحال العلم .

ففي مثل هذه الايام قبل قرن ونصف ، ولد الروائي الفرنسي « جول فرن » وعاش حياة طويلة عريضة ابدع خلالها تراثا ضخما من الاعمال الروائية بشر وتنبأ فيها بالانجازات المذهلة التي سيحققها انسان القرن العشرين ، ووصف فيها بدقة علمية معجبة ، المغامرات العلمية الكبرى في تاريخ البشرية ، كالهبوط على سطح القمر ، وارتياد الفضاء ، واختراع الغواصة ، وسبر اغوار المحيطات ، واستعمال الطائرة . ولم يكن « جول فرن » في ذلك كله يرخي العنان لخياله على نحو عشوائي ، بل ظل دائما يبني رواياته على تركيبة علمية دقيقة ومسهبة .

والاهم من شاعريته العلمية انه لم يكن ينسى المغزى والهدف الانساني والاخلاقي من الاكتشافات المستقبلية ، ولا ما يجب على التكنولوجيا أن تحققه لخير البشرية واسعادها . ومن هنا احتل « جول فرن » مكانه جنبا الى جنب مع كبار روائيي القرن التاسع عشر من امثال « ديكنز » ، و « تولوستوي » ، و « ستويفسكي » و « فلوبير » و « بلزاك » . ففي الوقت الذي كان فيه هؤلاء يقومون برحلاتهم واستكشافاتهم في اعماق النفس البشرية ، ويصورون تناقضات المجتمعات التي عاشوا فيها ، وجه « جول فرن » همه الى ارتياد الآفاق « الممكنة » التي يستطيع العقل البشري بلوغها . وكان ، حتى اواخر ايامه ، يحذر من الغلو في الانجراف وراء تيار الخيال العلمي الذي كان هو في طليعة رواده . ويؤكد بان الخروج من دائرة الممكن الى دائرة المستحيل سيؤدي الى خلق عالم مزيف يهرب اليه الناس بدلا من مواجهة تحديات الحياة الانسانية الواقعية .

اما ما يرتكب الآن باسم الخيال العلمي فهو تعطيل للخيال واستهانة بالعلم في ان معا . فان ما نسبته عشرون بالمئة من الثقافة الجماهيرية في اوروبا الغربية وامركا كما تقول احصائية اخيرة هو من النوع الذي يتجاوز الممكن الى المستحيل . ويدخل في عداد ذلك آلاف الروايات والافلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية التي تدور احداثها في هذه العوالم الخارقة : كواكب نائية .. وابطال اليوم ... واجهزة معقدة ، واروقة تحتشد فيها الاسلحة الالكترونية .. ومخلوقات تخترع المعجزات وتتحكم بمقدرات عالمنا الصغير ، ويتحول الانسان ازاءها الى شيء ضئيل عاجز وتافه . وربما دخلت في هذه الوصفة ، على سبيل المزيد من الاثارة ، جرعات اضافية من الجنس والجريمة والجاسوسية .

لقد كان للثورة ، او الثورات ، التكنولوجية التي تلاحقت خلال ربع القرن الاخير اثر هائل فاق كل تصور في اطلاق العنان لمخيلة الانسان . الا أن هذا التيار الجارف من التخريف باسم العلم ، لا صلة له بعالم اليوم ولا بآفاق الغد . وقد آن للكتاب والادباء ، كما يقول الروائي والشاعر الانجليزي « كنغزلي اميس » ، أن يعودوا الى ارض الواقع التي ارتحلوا وابتعدوا عنها مسافات لا تقاس الا بالسنين من وراء التحليق في عالم التخريف هذا الى الدهشة والمفاجأة والاكتشاف وكسر رتابة الحياة اليومية في المجتمعات الاستهلاكية الحديثة ، فان الارض ما زالت زاخرة بالمفاجآت والاكتشافات المدهشة ، ان الحياة ما زالت غنية بكفاح الانسان ، وعذاباته ، وافراحه ، وبطولاته ولحظات انخذاله وانتصاره .

فايز صباغ



محمد اقبال
فيلسوفا.. ورائدا في الفكر الإسلامي

لا اخفي مـا أحس به من تردد ، حين اتصدى للكتابة من شخصية تاريخية فذة من شخصيات الفكر والادب في الشرق ، ومن هذه الشخصيات التي يعسر التعبير عنها ، شخصية الفيلسوف الرائد محمد اقبال ، التي تتسم بحيويتها الدافقة ، وحركتها الدائبة ، وابعادها المتعددة ، فالذي بين الايدي من الاثار النفيسة ، يدل دلالة ناصعة على ان اقبالا كان قائدا من قادة الفكر الاسلامي ، ورائدا من رواد الوعي الانسـاني في الفلسفة والدين ، وشاعرا فيلسوفا وهبه الله وهبة للمسلمين والبشر كافة ، كما قال عنه مؤرخ حياته الدكتور عبد الوهاب عزام .

وكانت الفكرة التي تطفو الى ذهنه بين الفينـة والاخرى ، هي انقاذ مسلمي الهند من الهاوية السحيقة راى ان من اللازم انشاء دولة مستقلة تضم مسلمي الهند ، حفاظا على الكيان فاقبال اول من بشر بهذه الدعوة ، التي اصبحت الغاية المرجوة لكل مسلم في شبه القارة الهندية ، منذ أعلنها عام الف وتسعمائة وثلاثين ميلادية في الحفلة السنوية للرابطة الاسلامية بمدينة اللـه اباد ، وفي سبيل هذه الدعوة الكريمة اوقف اقبال كل جهوده وقواه ، فكانت شغله الشاغل والشوقة العطية التي يرددها لسانه . ومما قاله في هذا الصدد : « ان الهند اكبر مملكة اسلامية في العالم، فاذا اراد مسلموها ان يصونوا مآثر تاريخهم ، ويشيدوا معالم مدنيتهم ، فلا مناص لهم من تكوين حكومة مركزية مستقلة . ان مشكلة الهند لا تنحل الا بقبول مطالب المسلمين ، الذين لا يجهد الانجليز عليهم مساعداتهم في مختلف المواقف ، وفي مقدمتها الامن الداخلي ، ولا يقيم تلسير لحب الوطن عند المسلمين ، الا بايجاد وطن لهم ، فلو اتيح لمسلمي الهند تكـوين حكومـة مركزية في هيكل السياسة الهندية ، لكونوا جبهـة الدفاع ضد اي هجوم من الخارج ، وحصنا لمقاومة الاراء الهدامة في الداخل » .

المستعمر يتجهم في وجهه

وعلى الرغم من شتى ضروب الاذى الذي واجهـه اقبال ، ظل متشبثا باهداب عقيدته الراسخة ، فلم يكتب مقالا ولم يلق محاضرة الا عبر فيها اصدق تعبير عن الشقاء الذي يحدق بمسلمي الهند ، ولهذا تجهم المستعمر في وجه الفقيد وعدا من الزعمـاء المغضوب عليهم ، ولولا شخصيته القوية ، ومكانتـه الشامخة في العالم الاسلامي ، لتعرض للاحكام التي تودي به الى الزنزن .

حياته الفكرية

ولننتقل الآن الى الوقائع الرئيسية في حياة اقبال : فقد ولد في بلدة سيالكوت باقليم البنجاب ، في ٢٢ فبراير ١٨٧٣ م ، من اسرة محافظة على تقاليد الاسلام السامية ، جل افرادها يمتهنون الفلاحة ، وتنحدر من اصل برهمي ، الا انها اسلمت على يد عالم صوفي في كشمير ، منذ ثلاثة قـرون ، اذ تنازلت هذه الاسرة العريقة عن كل ممتلكاتها ، وعن منزلتها المرموقة ، بين طبقات الهند ، اسوة بتعاليم الاسلام التي تنكر الطبقية وتدعو الى العدل .

كان والد فيلسوفنا رجلا تقيا يخشى اللـــه سبحانه ، ويؤمن بالقيم الروحية باعتبارها سلم الرقي ، فبث في نفسي ولده منذ شب عن الطـوق العقيدة التي تذكر المسلمين بشهادة الله لنبيه الكريم « وانك لعلى خلق عظيم » وطبعه على غرار هـذا النور المحمدي ، وربى في كيانه الانسان الشاعر بالام الآخـرين .

ففي كتاب اسرار الذاتية يقول اقبال : وقع على بابنا سائل ، وقرع القضاء ، ورفع صوته كأنـه

فقد الأوربيـــون حضور القلب لأنهم انحرفوا في استخدام العقل !

هل استقى « اقبال » نظريتــه الذاتية من الفيلسوف نيتشه ؟؟



تعيب غرابا ، وأخذ يهز الباب ، ولما الفى لصايحة والعاقة ، خرجت اليه ، فهويت على رأســه بضربة بعثرت ما بيده ، مما جمعه طوال يومه ، فلما رأى والدي ذلك اصفر وجهه الاحمر ، والعنفوت الدموع نهرا على خديه ، وقال :

اذكر يابني جلال المحشر

يوم تجتمع امة خير البشر

وارجع البصر كرة الى هذا الشيخ

وتحول جسمي الى تمثال من الخشوع والرجـــاء »

كن يابني من البراعم في غصن محمد ،

وكن زهرة يحييها نسيم ربيع المصطفى

ولعمق ايمان والد اقبال ، ورسوخ العقيـــدة في نفسه ، كان يحثه على دراسة كتاب الله حفظا وفهما وتدبرا ، كي يعمل به ، ويهتدي بهديه ، وينــأى عن نواهيه ، وحين ذلك سأله السيد « سليمان الندوي » تلميذ العلامة « شبلي نعماني » يوما ، اثناء زيــارة اقبال لكابل ، بدعوة من جـــلالة نادر شـــاه ملك الافغان ، عن سر بلاغته التي اكتشف بها أسرار الدين ، ومعالم الحق ، ووصل بها الى اساليب من التعبير ، قل أن يصلها أهل الفقه والعلم ، وغيرهم من القائمين على أمر الهداية والتوجيه ، فقال اقبال : « يرجـــع الفضل في كل ما انشأت من شعر او نثر ، الى توجيهات أبي رحمه الله ، فقد كنت تعودت أن اقرأ القـــرآن بعد صلاة الصبح .

ثم عهد بالابن الى وصاية « مير حسن » الذي نصحه بالسفر الى لاهور للدراسة العليا ، فانضم الى كلية الحكومة حيث أحرز فيها على درجة « ب. ع. » ثم « م. ع. » في الفلسفة ، وفي لاهور تأثر بالسير توماس ارنولد » استاذ الدراسات الشرقية ويرجع الى تأثير « مير حسن » الى تعمق اقبال في الاسس الانسانية للثقافة الاسلامية ، فان صحبة السير توماس جعلته يطلع على اسس ما صدر عن الفكر الغربي ، وفي الشرق نفسه اتجه الى توجيهه الى الاســاليب المصرية الى النقد البناء »

وقام اقبال بالتدريس في جامعة لندن في فتـــرة من الزمن العلمية سنة ١٩٠٥ نيابة عن أستاذه ، ثم التحق بجامعة كمبردج الشهيرة بالروح الطبقيـــة يتعلم اللغة الالمانية ، ومن ثم رحل الى ميونيخ في التوبر من السنة نفسها ، وقدم اطروحته للاستاذ « هوميل » ، وقد اختار كموضوع لاطروحته : « تطور فلسفة ما وراء الطبيعة في ايـــران » ، وكان ذلك موضوعا مبتكرا ذا قيمة فائقة .

ولما عاد اقبال الى وطنه اشتغل بالشعر والفلسفـــة والسياسة ، وانتخب عضوا بالمجلس التشريعي باقليم البنجاب ، ثم توجه الى لندن سنتي ١٩٣١ - ١٩٣٢ لتتبع مؤتمر المائدة المستديرة .

واختير رئيسا لحزب مسلمي الهنـــد ، واميـــنا عاما لجمعية « حماية الاسلام » التي كانت تشرف على المؤسسات الدينية والاجتماعية ، ولبث حينا من الدهر

يلقي المحاضرات في ارجاء الهند ، ويشـــارك في سياسة بلاده باقواله وافعاله الى ان توفي في ٢١ ابريل سنة ١٩٣٨ ودفن في لاهور ، واتفق زملاؤه قبـــرا له في فناء المسجد « باد شاهي » ثم كتبوا على ضريحه ، ان محمد نادر شاه ملك الافغان أمر بصـــنع ذلك الضريح اعترافا منه ومن الامة الافغانية لمنزلة الشاعر الخالد »

محمد اقبال

حفظ القرآن وفهمه واهتدى به، فكان في ذلك سر بلاغته وكشفه أسرار الدين

الدين ليس تجارة

كانت نظريات اقبال في الدين مقتبسة من الاسلام الطاهر من أدران العصور الداجية. فاقبال ينظر الى الاسلام نظرة علي وابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم. اولئك الابطال الذين نهلوا من منهل الاسلام الصافي فكانوا به مثالا صادقا للمسلم في تقواهم وزهدهم وحبهم الحق والمساواة وتشبثهم بالملة الناصعة البياض. وكان يرى أن لا فرق بين الدين والدنيا، كما ذهب بعض الجاهلين القادرين من الحظيرة الالهية، يقول: ليست غاية الاسلام محصورة في الواردات الذاتية التي تعين المرء بمعزل عما حوله من الاشياء، بل تكون التربية التي تجعل المرء صالحا.

وهكذا كان اقبال داعي خير وسلام، وبطل اصلاح يود أن يسمو بالمسلم الى المنزلة التي ارادها له الله تعالى، كما كان ساخرا مستهزئا بأولئك الذين يتخذون الدين وسيلة لتنفيذ مآربهم لأنهم لم يتلوا الاسلام بقرائنه وسننه، واتخذوا من دون الله بدعا ومحدثات ملتهيا بهم.

الذات بين البقاء والفناء

اما اراء اقبال في الفلسفة، فانها قبسات من اصحاب المذهب المثالي والاخلاقي في العالم الغربي، مثل وليم جيمس، وبرجسون، نيتشه، ولا نغالي اذا قلنا ان اعمال اقبال في الفكر الاسلامي الحديث موازية لاعمال اما نويل كانط في الفكر الغربي، وقد عبر اقبال عن آرائه الفلسفية شعرا ونثرا، فاعجب الجيل المسلم في الهند بهذه الآراء الاصلاحية البناءة - وفلسفة اقبال التي تسمى «فلسفة الذات» نجدها زاخرة بايحاءات نيتشه وبرجسون، كان اقبال يعتقد ان الشخصية او الذات فعل وان تجربة الانسان سلسلة من الافعال يرتبط كل منها بالآخر، وقارن بين عقليتي امم الشرق والغرب، فذكر ان الاول تعتبر «الأنا» في الانسان من مكر الخيال، ثم هاجم الهنادك لانهم بدل ان يكرسوا الجهود لتقوية الذات قالوا: «ترك العمل» يقول اقبال: خطر كبير في حياة الفرد والمجتمع. اذ في العمل قوة الحياة وتشبثا بروح الاسلام الحقة، ذلك ان رسالة الاسلام دعوة الى العمل بنيقة. فالأنا في الاتجاه الاسلامي كائن حي ينال الخلود بممارسة العمل، وهذه الفكرة نجدها في منظومتي «اسرار الذات» و«رموز اللاذاتية» وفي دواوين شعرية اخرى كـ«رسالة المشرق» كما نجدها في كتابه «تجديد التفكير الديني في الاسلام» ولمزيد تبين من ذلك نورد قوله من مقالة «الالوهية ومعنى الصلاة»: كيف تكون تزكية النفس وتخليصها من الفساد؟ انما يكون ذلك بالعمل. قال تعالى في سورة الملك: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور». فالحياة تهيء مجالا لعمل النفس، والموت ابتلاء لنشاطها الرغيب، وليست هناك اعمال تورث اللذة واعمال تورث الالم، بل هناك اعمال تكتب للنفس البقاء او تكتب لها الفناء، ومبدأ العمل الذي يكتب للنفس البقاء هو احترامي للنفس في، وفي غيري من الناس، وعلى هذا فالخلود لا نناله بصفته حقا لنا، وانما ننيله بما نبذل من جهد شخصي، والانسان مرشح له دون سواه.

فغايات الذات اذن يقتضي بقاء لا فناء، وايجابية لا سلبية، وفي البقاء والايجابية كمال الحياة وكمال الانسان.

والحياة تنمو باستمرار من الادنى الى الارقى، والنفس تبلغ الحرية بازالة العقبات من طريقها، وهي حرة جزئيا ومسممة جزئيا، تنال الحرية الكاملة حين تقترن بالفرد الذي هو اكثر حرية: الخالق، ومن ثم فان هذا المعنى للحياة يصبح سعيا في سبيل الحرية.

الوفاق بين الشرق والغرب

ويحسن بنا ان نتساءل: من اين استقى اقبال نظريته الذاتية؟ الم يكن ذلك الرأ من النظرية النيتشية عن الانسان الاعلى؟ ويرد اقبال بانه كتب عن الانسان الكامل عند الجيلاني قبل ان يقرأ نيتشه، بل انه

كانت دعوته بتكوين حكومة مركزية مستقلة للمسلمين في أنشودته العذبة!

أكد ان اثر الثقافة الغربية فيه يسير جدا : « لقد كنت كطائر يقع على شبكة فيترفس الحبال ويلتقط الحب ويطير بسلام » . فاقبال هنا يعترف ضمنيا انه صهر بالثقافة والحضارة الغربيتين ، لكنه نجا من حبائلهما كما نجا ابراهيم من نار النمرود ، لان أوربا قد عجزت عن القضاء على كثير من المفاسد الاجتماعية ، وبالرغم مما حققته من تقدم ملموس في التكنولوجيا والعلوم .

ويحدثنا اقبال عن اسراف الاوربيين في استخدام العقل استخداما منحرفا جعل الافئدة من الحكمة خواء ، فتنكرت الانفس للقيم الروحية والرغبتها من دواعي المسرة ، وليس ثمة ثبات في العزم ولا يقين في الفكر ولا حضور في القلب ، فيقول :

العشق غائب من قلب الغربي .
وقلبه كالافعى يلدغه .

انه عاجز عن اخضاع عقله للعشق .

والايمان بالانسان .

ذلك الذي يكشف عن مجرى الافلاك .

لم يستطع ان ينفذ الى العالم « الجواني » .

عالم الابصار .

ضل في متاهات عقله البائن المعدود .

فلم يستطع ان يفصل في امر الخير والشر .

ذلك الذي اقتنص شعاع الشمس .

عجز عن الوصول الى النور ، يبدد به ظلام الحياة .

هنا تتضح غاية اقبال النبيلة من نقد العقل فالغرب قد فشل فشلا ذريعا في مجال الحياة ، وان ابدع في الكشوف العلمية ، لذلك يدعو الى التوفيق بين الحضارتين الغربية والشرقية أو التوفيق بين العاطفة والعقل :

في الغرب : العقل مصدر الحياة .

وفي الشرق : الحب قوام الحياة .

وبواسطة الحب يحيط العقل بالحقائق .

ويعزز عقل الحب .

انهضوا واقيموا دعائم عالم جديد .

بالتوفيق بين العقل والحب

وكان اقبال يعمل في النقد على مفكرين معينين كافلاطون وميكيافيلي وكارل ماركس ونيتشه ، ذلك انه لم يتفق مع هؤلاء في آرائهم ، فتراه ينقد افلاطون في نظرياته التي تتوخى التأمل البعيد عن العمل ، كما سفه رأيه في أن التفكير الصحيح والتفلسف الحقيقي هو ما كان تأملا في الموت !

ونقده في ميكيافيلي من حيث انه يمثل ضربا من السياسيين الخارجين على المبادئ ، الساعين بلهفة الى المنافع ، الداعين الى الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي .

ثم يوجه النقد الى نيتشه فيقول : « خلق قلبه لضعف الانسان ، وخلق فكره الحكيم صورة أحكم وأمتن ، فثار بين الفرنج هياجا بعد هياج : مجنون ولج مصانع الزجاج ، اذا بقيت نغمة فقر منه ، فليس في نايه الا قصف الرعد قد دفع مبضعه في قلب الغرب واحمرت يده من دم الصليب ، هذا الذي بنى معبدا للصنم على قواعد الحرم وقد آمن قلبه وكفر دماغه » .

فايز صياغ

أفضل الكتب في بريطانيا: حرب التحرير الجزائرية ورواية عن الجاسوسية

في استطلاع الذي اجرته صحيفة التايمز اللندنية عن افضل الكتب التي صدرت خلال عام ١٩٧٧ ، التقى اكثر النقاد البريطانيين على القول بان روايتهم المفضلة كانت « التلميذ الموقر » للكاتب الانجليزي جون لوكاري • وهي رواية تدور حول نشاطات هيئة الاستخبارات البريطانية وتنتقل في اشخاصها واحداثها من بريطانيا الى اوروبا الى الشرق الاقصى • ومن المعروف عن المؤلف ، الذي صدرت له حتى الآن عدة روايات



من بينها « الجاسوس » و « الجندي » و « الجاسوس » انه يقوم بجهود ودراسات مستفيضة عن الموضوع الذي يتناوله قبل



كتابة القصة ، كما انه مشهور باتقان الحبكة القصصية وجمال اسلوب السرد•

ومن المؤلفات غير الروائية حاز كتاب « الحرب الضروس من اجل السلام — الجزائر بين عامي ١٩٥٧ — ١٩٦٢ » للمؤرخ اليستير هورن بتقدير كثير من النقاد باعتباره افضل دراسة صدرت حتى الآن باللغة الانجليزية عن حرب التحرير والاستقلال الجزائرية • ويرى المؤلف ان الظاهرة المميزة لجميع الزعامات والقيادات السياسية التي شاركت في

كلمات في فلسطين ... وعنها

انا لا اعلم اين ، متى

في اي زمان قتلوا الشاعر !

لكني اعلم انهم جاؤوا

والقتلة جاؤوا ويجيئون ••

كانوا بالامس هناك

وهم اليوم هنا

وغدا هم في كل مكان

فالشاعر معه مهجور في كل مكان ••

★★★

بل ان الفلسطيني عموما ، سواء اكان شاعرا ام غير شاعر ، هو الذي اصبح معه مهجورا في كل مكان • ولابد ان القراء البريطانيين سيدركون جانبا من معنى هذه

الحقيقة القاسية التي يصورها « معين بسيسو » في مختاراته الصادرة بالانجليزية هذا الشهر في الوقت الذي اسند اليه العرب عامة والفلسطينيون خاصة ، اساسيا ، ان مصرا وتونسيا ، في احتدام الساحة ، واخبارها وتطوراتها •

الحاجز الثقافي والنفسي

وهذا الاجتياح اليومي المتفجر ، والحضور الفلسطيني الدائم ، هو وحده الذي يستطيع ان يحطم الحواجز النفسية والثقافية بين الشعر الفلسطيني الحديث ، والقارئ الاجنبي المعاصر • ومن الحواجز التي يشير اليها الناقد الانجليزي « مارتن ووكر » الذي اشترك مع الكاتب الفلسطيني ابراهيم ابو نبات في ترجمة هذه المختارات الشعرية بعنوان « قصائد على زجاج النوافذ »
Poems on the Glass of Windows

اذ كيف يمكن للقارئ غير عربي ان يتفهم طبيعة المأساة او يتذوق ايحاء الصورة الشعرية في مقطع من نوع •••

كتبت على السحابة :

فلتسقط الرقابة !

فصادروا السماء

الحق كيف يمكن له ذلك اذا لم يكن متابعا، او متفهما على الاقل ، للخلفية الفكرية والسياسية التي يتحرك فيها النضال الفلسطيني ، والتي تشكل ايضا كاهل الوطن العربي بصورة عامة ؟ واذا كان شعر « معين بسيسو » ، منذ بداياته الاولى بعد النكبة ، وعلى مدى الثلاثين عاما التالية ، سجلا ومؤشرا متوهجا لهذا النضال ، بما كان يعتريه من مراحل التفاؤل ، والانتكاس ، والتمزق ، والتحدي والعنف الذي استطاع وحده ان يكسب الكفاح الفلسطيني بعده الانساني ، وشرعيته الدولية •



• معين بسيسو



حرب التحرير الجزائرية منذ انطلاقها هي مسايرتها واصرارها على تحقيق الاستقلال التام ، رغم تباين الرأي بين القادة . ولم يتزحزح هؤلاء قيد شعرة عن مواقفهم ، سواء منهم فرحات عباس، او ابن بله او ابن خده او كريم بلقاسم او هواري بومدين . وهذا الموقف النضالي الراسخ هو الذي اضطر الجنرال ديغول آخر الامر الى الرضوخ لمطالب الثوار الجزائريين والقبول بالاستقلال التام وحق تقرير المصير .

المصيدة:
عرض مستمر منذ ٢٥ سنة



احتفلت الاوساط المسرحية في بريطانيا مؤخرا بمرور خمس وعشرين سنة متصلة على عرض مسرحية اغاثا كريستي الشهيرة « المصيدة » التي لم يشهد تاريخ العروض المسرحية مثيلا لها في العالم ، اذ لم يتوقف عرضها يوما واحدا لمدة ستة ايام في الاسبوع على مدار السنة . ومع ذلك فان جمهور المشاهدين مازال يحجز المقاعد قبل ليلة العرض بيومين على الاقل .

وخلال هذه الفترة القياسية ، تعاقب على تقديم المسرحية اكثر من الف شخص من الممثلين والمخرجين والفنيين ، وحققت ، بالطبع ، مدخولا خياليا بحيث اصبحت « المصيدة » بمفردها مؤسسة تجارية قائمة بذاتها .

وقد شاهد المسرحية حتى الآن ما يزيد على اربعة ملايين متفرج منذ بداية عرضها في اواخر عام ١٩٥٢ ، وذلك ان المؤلفة التي توفيت قبل عامين ، لم تكن تعتبرها من افضل اعمالها البوليسية .

البندقية وغصن الزيتون

ولعل من حسن الصادفة ان تصدر مجموعة سبع بسيتو ، وهي الثامنة بعد مجموعة مماثلة لعموه دريش ، في نفس الوقت مع كتاب جديد للصحفي البريطاني المعروف « ديفيد هيرست » يتناول فيه الصراع العربي الصهيوني والكفاح الفلسطيني منذ بداياته الاولى في اواخر القرن التاسع عشر ولا يخفي هيرست في مقدمة كتابه « البندقية وغصن الزيتون » .

The Gun and the Olive Branch

بطور العنف في الشرق الاوسط » تعاطفه مع النضال الفلسطيني وتفهمه للموقف العربي ، اذ يؤكد في الصفحات الاولى ، في شجاعة وثقة ، ان ما كتب عن نزاع الشرق الاوسط حتى الآن يغلب عليه التعاطف مع وجهة النظر الصهيونية ، وقد حان الوقت لاعادة التوازن الى الصورة » .

وثائق جديدة

ويتتبع هيرست ، من خلال عرض تاريخي معزز بالوثائق ، في اعادة طرح الصراع من منظور جديد بالنسبة للقارئ الاجنبي ، ولقد اتيح للمؤلف ان يتزود من مادة تاريخية خصيبة بحكم معايشته للصراع والاحداث المتطورة خلال عمله الصحفي في الشرق الاوسط لعدة سنوات . ويستهل كتابه برسالة وجهها خطه القنصل الى الحاخام « هامن » احد زعماء الحركة الصهيونية عام ١٨٩٩ يقول فيها :

« بالله عليكم ، اتركوا فلسطين تنعم بالسلام » . ثم يستعرض المؤلف حملات الهجرة والقمع السافر والقتل التي انتهجتها المنظمات والعصابات الصهيونية بالتواطؤ مع سلطات الانتداب البريطاني ضد الفلسطينيين حتى عام ١٩٤٨ . ويوضح هيرست ان حملات الاضطهاد التي تعرض لها يهود اوروبا خلال الحقبة النازية قد استغلت خطة التهريب الذي استثمره زعماء الصهيونية لصالح حركتهم . الا ان العرب لا يتحملون اية مسئولية اخلاقية عما لحق باليهود من غبن تاريخي ، ناهيك عن ان تحل اوروبا ازمتها الضميرية على حساب الفلسطينيين ووطنهم .

التواطؤ الصهيوني النازي

بل ان الدراسات والوثائق السرية التي نشرت مؤخرا تكشف النقاب عن جوانب غاية في الخطورة في صلة الصهيونية بالنازية .

فان « الخطة الصهيونية الشرسة اللاانسانية لاجتثاث الفلسطينيين واحلال اعداد متزايدة من المهاجرين اليهود محلهم ، كما يقول هيرست ، كانت تجري بما يشبه التنسيق المستمر مع بعض زعماء النازية والرضى الضمني عن مخططاتهم . وتدل بعض هذه الوثائق التي عثر عليها في المانيا الشرقية مؤخرا ، وتحقق من صحتها دارسون غربيون، ان تنظيم عمليات القمع في اوروبا ، والهجرة الى فلسطين كانا وجهين لعملية واحدة متكاملة .

وتروي احدى هذه الوثائق ان ضابطا كبيرا في الهاغاناه عقد اجتماعات سرية مطولة مع الزعيم النازي الموقف ايخمان ، الذي اختطفه الاسرائيليون واعدموه فيما بعد . وفي هذه الاجتماعات التي عقدت في مقهى قريبي في القاهرة عام ١٩٣٧ ، نقل الضابط الصهيوني لايخمان ، في تقارير مكتومة ، اعجاب رؤسائه وتأييدهم الكامل لسياسة المانيا الهتلرية تجاه اليهود ، لان من شأنها التعجيل في الهجرة من اوروبا ، وتكثيف حركة الاستيطان في فلسطين .

إكتشاف امبراطورية بالصدفة
حضارة ابلا في شمال سوريا



مرة اخرى ، يرتفع الستار في مهد الحضارات ، عن كشف حضاري جديد . اما المكتشفون فهم ، مرة اخرى ايضا ، من غير ابناء مهد الحضارات العريقة في الشرق !

وتبدا القصة بواقعة بسيطة عام ١٩٦٨ عندما عثر عالم الاثار الايطالي باولو ماتيا على عدد من القطع الخزفية المتناثرة على احدى الهضاب في منطقة حلب بشمال سوريا . ولم يكن لهذه القطع اي طابع مميز غير العثور عليها في الشمال ، ومع استمرار التنقيب ، وجد فريق البحث صخرة بازلتية منحوتة نقش عليها اسم « ابلا » بالخط المسماري ، بلغة قريبة الشبه باللغات الاشورية والعبرية والسريانية . وهنا امسك ماتيا باول الخيط ، وقاده البحث بعد عشر سنوات الى ما يمكن اعتباره اهم كشف في تاريخ الحضارات القديمة خلال العقود الاربعة الماضية . ويلقي البروفسور ماتيا ، وهو مدرس لعلم الاثار في جامعة روما ، مزيدا من الضوء على هذه الحضارة التي سادت وبادت في الالف الثالثة قبل الميلاد في كتاب سيصدر قريبا بعنوان « ابلا .. اعادة اكتشاف امبراطورية » .

القصر الملكي ، وارشيف الدولة

وقد بدا ماتيا حملة الحفر والتنقيب عام ١٩٦٤ في منطقة هضبية تقع على بعد ثلاثين ميلا الى الجنوب من مدينة حلب . ولم يكن اسم « ابلا » يوحي له او لزملائه باية دلالات تاريخية خاصة ، حيث انه لم يرد ذكره في سجلات حضارات ما بين النهرين الا مرتين او ثلاثا ، وبصورة عرضية عابرة . غير ان استمرار التنقيب كان يكشف النقاب عن اثار حضارة حضرية متقدمة وراقية التنظيم . وبين عامي ١٩٧٣ – ١٩٧٥ تم اكتشاف القصر الملكي لامبراطورية ابلا ، وفيه قاعة واسعة تضم ملفات الدولة وارشيفها ووثائقها الرسمية .

عاصمة .. واقاليم

ويحتوي الارشيف على ١٦٥٠٠ لوحة فخارية نقشت عليها السجلات بلغة هي خليط من لغات حضارات الرافدين . وتدل النقوش التي تمت ترجمتها حتى الآن على ان عاصمة الامبراطورية كانت تغطي مساحة قدرها ١٣٨ فدانا . الا انها كانت تسيطر على اقاليم واسعة من منطقة سوريا وشمال ما بين النهرين . وكان ملوكها يتخذون لانفسهم لقب سيد العباد وكل ما في الارض والاعالي، مما يدفع الباحثين الى الاعتقاد بان « ابلا » كانت هي القوة الرئيسية المهيمنة على المنطقة آنذاك .

ابلا ومصر القديمة

ويقول البروفسور ماتيا انه لم يقم دليل على وجود اتصال وثيق او تفاعل حضاري بين امبراطورية ابلا ومصر القديمة . الا ان النقوش المحفورة على بعض اللوحات التي اكتشفت في مطلع هذا العام تذكر اسماء بعض ملوك الفراعنة ،وان يكن بعضهم مغمورا في التاريخ مثل بيبي الثاني اما الملك خفرع ، الذي بنى في عهده اهرام الجيزه ، فيتردد اسمه كثيرا في تلك اللوحات ، مما يشير الى قيام بعض الاتصالات وتبادل السفارات والهدايا بين المملكتين وستؤدي ترجمة بقية النقوش الى اماطة اللثام عن معالم هذه الامبراطورية الشرقية ، وكشف الظروف التاريخية لنشاتها وازدهارها واندثارها، وعلاقاتها بالحضارات الاخرى التي قامت في بلاد ما بين النهرين ووادي النيل .



حول مهرجان باريس الدولي للسينما

كان المهرجان الدولي للسينما الذي اقيم مؤخرا في باريس هو الظاهرة السينمائية الثانية بعد مهرجان كان الدولي. وقد تميز مهرجان هذه السنة بحضور اعداد كبيرة من المخرجين الشباب من مختلف دول العالم . وقد كان فيلم الافتتاح هو « ايفان الرهيب » وهو عبارة عن باليه لفرقة البولشوي الروسية . وكانت العروض موزعة بين عدة صالات تقارب العشر . وشاركت في المهرجان دول كثيرة من بينها فرنسا ، استراليا ، كندا ، اليابان، سويسرا ، الجزائر ، ايطاليا ، بولونيا ، الهند ، امريكا ، البيرو ، وغيرها من الدول ذات الانتاج السينمائي. وللتعريف بجانب من جوانب هذا المهرجان من جهة وبنوعية الافلام التي عرضت فيه من جهة اخرى سنلقي بعضا من الضوء على فيلمين : الاول هو « الموجة الاخيرة » هو والفيلم الاسترالي الذي اثار انتباه النقاد والجمهور السينمائي هنا . وهو من اخراج بيتر واير الكاتب والممثل والناقد المسرحي الذي سبق واخرج ثلاثة افلام اخرها « نزهة الى الصخور المعلقة » سنة ١٩٧٥ .

وقد بدأ المخرج حياته السينمائية في السبعينات حيث اخرج عدة افلام تنتمي الى اتجاه الاندرغروند . وتتميز افلامه بغرابة جوها المرعب والواقعي في نفس الوقت وذلك لما تطرحه من تساؤلات حول العلاقات المعقدة بين شخصيات الفيلم. ففي فيلمه « الموجة الاخيرة » قام بتمثيل دور البطولة ريتشارد تشامبرلين وقبيلة من السكان الاصليين لاستراليا، وهذه القبيلة ترى السينما لاول مرة ، والجدير بالذكر هنا هو جودة تمثيل افراد القبيلة امام الكاميرا . والفيلم يبحث في العلاقة بين عالمين مختلفين بل ومتناقضين في مفاهيمهما للحياة والموت . فمن جهة نجد الاسترالي الاوروبي الاصل المتمدن ، الذي يعتمد في تصرفاته وتحليله للعالم المحيط به على الحلول الالكترونية ، ومن جهة اخرى نرى الانسان البدائي بخوفه من المجهول وطرقه الخاصة للتعبير عن مشاعره واحساساته .

ومن الصعب هنا تلخيص الفيلم لان هذا سيقلل به الكثير من الصعوبة على التوصل الى فهمه . ثم ان قصة الفيلم بحد ذاتها غامضة جدا : فهي تتلخص في قتل احد مواطني استراليا الاصليين واتهام مجموعة من افراد القبيلة بقتله . ويقوم احد المحامين الاستراليين وهو من اصل اوروبي في الدفاع عنهم ، ويجوهر الفيلم يكمن في تحول المحامي الى عالم يجهل خفاياه هو عالم القبيلة المبني على الاساطير والاحلام . وكان المخرج يريد ان يقول بذلك بان عودة الانسان المعاصر الى اصالته ونقاوته الاولى يتحقق بالرجوع الى الحلم، حتى انه يصعب على المتفرج في بعض المشاهد الربط بين المشهد الواقعي والآخر الذي يصور حلما . والفيلم هو العلاقة المعقدة بين الانسان المعاصر والانسان البدائي ، وكيف ان هذه العلاقة تطورت وشهدت معارك دموية وقطيعة ابدية في الظاهر ، وان على الانسان المعاصر ان يعيد النظر في المفاهيم البدائية التي اتخذت تسميات اخرى ـ كما يقول العالم النفسي ك. ج. يونج ـ لدى الانسان في عالمنا المعاصر .

اما الفيلم الثاني الذي تميز ببعده الانساني وباهمية ما يطرحه ، فهو الفيلم السويسري « الربيع الاخير » للمخرج هنري براندت الذي اخرج عدة افلام وثائقية من بينها « عندما كنا صغار » ، وفيلمه « الربيع الاخير » عبارة عن تساؤلات عن مصير جيل المسنين في اوروبا وهو الجيل الذي يشكل اغلبية السكان والذي خاض الحروب التي شهدتها اوروبا منذ بداية هذا القرن . ويسمى هذا الجيل في اوروبا بـ « العمر الثالث » على اعتبار ان العمر الاول هو الطفولة والثاني هو الشباب ، ويعيش هذا الجيل في المجتمعات الصناعية المعاصرة على هامش المجتمع وهو يتكون من المحالين على التقاعد او الذين فقدوا القدرة على العمل نظرا لتقدمهم في السن . وقد عاش المخرج بينهم قرابة الثلاث سنوات خرج بعدها بتساؤلات بالغة المرارة ، ففي معرض تعليقه على الفيلم يقول المخرج : الذي قد استجوبت اطفالا وشبابا تتراوح اعمارهم بين ١١ و ١٥ سنة وهو الجيل الذي ولد مع التلفزيون والذي لم يعد يعترف بجيل المسنين وكان هذا الجيل لا يشكل جزءا مهما من الانسانية . بل ان بعض الاطفال تبدو لهم عملية التخلص من كبار السن امرا طبيعيا مسلما به . وهنا يتساءل المخرج الغدا هل يجب انهاء حياة جيل المسنين ؟ ، ويحاول الاجابة على تساؤله من خلال ما يطرحه الفيلم بقوله : ان الفيلم شاهد على مجتمعنا المتفكك ، وان المكانة التي يخصصها اي مجتمع لابنائه المسنين هي التي تكشف عن اختياره لمستقبله .

ومن الافلام الجديدة في المهرجان فيلم « الدائرة » للمخرج الايراني داريوش مهرجوي الذي سبق واخرج فيلمين هما « البقرة » و « ساعي البريد » وهو من المخرجين الشباب ويمثل اتجاها جديدا في السينما الايرانية . وعرض كذلك فيلم « من رأى الرياح ؟ » للمخرج الكندي الان كنج . ومثلت الهند مجموعة من الافلام الهندية الجديدة. وقد جرت العادة في هذا المهرجان وبعد كل عرض لقاء صحفي بين المخرج والصحفيين وتكون هذه اللقاءات مفتوحة للجمهور كما قامت الاذاعة فرنسا الثقافية بنقل اللقاءات وباجراء ندوات حول واقع السينما في مختلف البلدان التي شاركت في المهرجان.

يعقوب المحرقي

مالرو والجولة الأخيرة مع ملاك الرعب

كان اكثر ما يخافه ويتحاشاه هو كتابة مذكراته الشخصية ، رغم انه هو الذي كان يقول ان السير الذاتية هي الشيء الوحيد الذي يستحق ان يكتب • ومع ذلك فان اندريه مالرو ، الذي اتسدت تجربته السياسية والادبية لتقمل انتصارات الانسان المعاصر ، وبطولاته وهزائمه على مدى نصف قرن وفي عدة بقاع من العالم، كان شديد التهيب والمراوغة الى درجة محيرة في كشف خبايا حياته الداخلية بل انه في الكتاب الاخير الذي نشره ، قبل وفاته في اواخر عام ١٩٧٦ ، فاجأ القراء بمجلد ضخم في ستمائة صفحة في الانطباعات والتاملات اطلق عليه اسم « اللامذكرات » وتحدث فيها عن كل شيء تقريبا الا نفسه .

ذلك ان مالرو كان يعتقد ان الفكر الذي لا يرقى الى مستوى المشاركة في التاريخ لا قيمة له • وبالتالي فان التجارب التاريخية المعاصرة التي خاضها او كان شاهدا عليها هي موضوعات رواياته العظيمة التي تمت الشبه بالاعصاب الشامخة على مفارق طرق العصر الحديث ومن هنا كانت « اللا مذكرات » اشبه بلوحة بانورامية للحقبة التي بدأت مع بداية الحرب العالمية الاولى وحفلت بالثورات والمنعطفات السياسية والاجتماعية في اسيا واوروبا •ولم يكن غريبا اذن ان يخصص مالرو الجزء الاكبر من الكتاب لتسجيل انطباعاته عن لقائه بثلاثة من صانعي التاريخ الحديث • وهم ديغول ونهرو وماوتسي تونغ • اما تجاربه الذاتية الصحيحة فقد دونها واوصى الناشر على ان تصدر بعد وفاته •

اكتساح من الداخل

وفي الذكرى السنوية الاولى لوفاة مالرو صدر الجزء الاول من هذه الاثار المنتظرة بعنوان « البعازر » الذي يدور، كما يوحي العنوان، حول الفكرة التي طالما عايشها مالرو وابهظت تفكيره وحواسه : الموت ••• او ملاك الرعب ، كما كان يسميه .

ولم يكن الموت بالنسبة لمالرو فكرة نظرية مجردة ، بل واقع محسوس طالما عليف واجهه وعاينه اكثر من مرة • سواء اثناء كفاحه الى جانب ثوار الهند الصينية خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن (روايات « قدر الانسان » ، « الطريق الملكي » ، « الغزاة ») او خلال تطوعه كقائد سرب في سلاح الطيران الى جانب الجمهوريين في الحرب الاهلية الاسبانية (رواية « الامل ») او عمله مع رجال المقاومة الفرنسية خلال الاحتلال

صراخ من كوكب بعيد

وقد بدأ الدورية مالرو بكتابة « البعازر » قبل ثلاثة اعوام من وفاته • اثر واقعة يعتبرها هي الرجة الروحية الحقيقية التي زلزلت كيانه الداخلي • فقد دخل المستشفى انذاك لمعالجة نوبات من الدوار واضطراب الحركة • وعندما خرج ، احس بانه انما بعث من جديد ، وانطلق من بيت الموتى • « ان المستشفيات مسكونة برائحة الموت الذي يحوم في اجوائها ويفرض حضوره على الدوام • انها كواكب نائية منعزلة ليس فيها غير الطلاء الابيض ، والانابيب والاواني الزجاجية ، والعربات الصغيرة المزعجة ، وممرضات الالم • وعليك هنا ان تستجمع ما يسميه نابليون باكثر انواع الشجاعة ايلاما •• انها شجاعة الساعة الثالثة صباحا ! »

ويفيق ذات ليلة وقد داهمته احدى نوبـــات الدوار • ويتوجـــه ، في العتمة ، الى الحمام ليتناول الحبوب التي كان قد تركها هناك • وفي طريق العودة يفقد توازنه ويتهاوى في الظلمة، كالغريق ، وقد امتد ذراعاه يحتضنان الجدران • « احسست اني فقدت ملامحي وهويتي •• وتلاشت ذاتي » وعندما افاق وفتح عينيه بعد خمس وعشرين دقيقة ، وجد ان الاطباء قد ارقدوه في سريره ، وحوله الجدران البيضاء •• والزهور •• والرائحة المميزة نفسها تتغلغل في كل ما حوله •

من التصدي الى المصالحة

لقد واجه مالرو مثل هذا الموقف المزعج غير مرة في شبابه وكهولته • واصبح الموت بالنسبة لابطال رواياته مرادفا لثروة النبل والرجولة والاقدام الانساني، طالما انهم يقاتلون ويكافحون في سبيل قضية ما • اما الآن فانه في شيخوخته العاجزة ، فانه يترقب المداهمة الاخيرة في ما يشبه الاستسلام البطولي والمصالحة الغريبة • ان الموت يغدو بالنسبة له الآن الحقيقة الوحيدة، المطلقة، الصلدة البارزة في الحياة التي لا يمكن تجاوزها •

لقد صارع مالرو ملاك الرعب وحده مدة ثلاث سنوات وبين كل جولة وجولة كان يتوقف ، ويلتقط انفاسه ، ويكتب وقد هتف ذات يوم على لسان احد ابطاله:

« فليربط الانسان نفسه بفعل عظيم من اي نوع، وليفتتن به، ويصبح له مطاردا، وبه متقلبا •• فليكن الانسان دائمـا مشاركا في معركة ما ••• » •

وكعادته دائما ابى مالرو الا ان يكون مشاركا وشاهدا ومؤرخا لجميع المعارك التي خاضها ، بما فيها معركته الاخيرة •

جوستاف كوربيه في ذكراه المئوية



كانوا ، في صالونات باريس في أواسط القرن الماضي يطلقون عليه لقب «الأتوري» ، ذلك أنه بمظهره الخشن وهيئته الكتة المتسلطة الثائرة ، ولحيته الريفية المميزة ، يستعدي عليه المجتمع المخملي الأنيق ، كما أن اعتداده بنفسه قد أفقده صداقة جميع النقاد في عصره . ولكن الأهم من ذلك هو أنه كان طريد السلطة بصورة شبه دائمة . فقد شارك في ثورة ١٨٤٨ ، وعانى السجن والتشرد بعد إخفاقها . ثم ترك مرسمه عام ١٨٧١ لينضم إلى ثوار باريس . وعند سقوط الكومونة هرب إلى سويسرا حيث أمضى ست سنوات من الفقر والتشرد والنفي حتى وفاته في مثل هذه الأيام منذ مئة سنة .

وبهذه المناسبة

إلا أن جوستاف كوربيه ، الفنان الثوري المجدد هو الذي تحتفل فرنسا الآن بالذكرى المئوية لوفاته . وبهذه المناسبة أقيم معرض كبير لأعماله في متحف جران باليه يضم خمساً وأربعين لوحة من أعماله التي استطلعت من مختلف المتاحف العالمية وسينتقل المعرض من باريس إلى لندن .

وكوربيه ، كما يصفه الشاعر أبولونير هو أبو الفنانين الجدد . وشارك مع زميله ميول ميخائيل في التمهيد لابراز منعطف مر به فن التصوير في العصر الحديث . فقد أحدث هذان الرسامان ثورة عميقة الأثر في فلسفة الفن ، وفي طريقة تعامل الفنان مع العالم حوله . ولم يكن بوسع أي فنان قبل كوربيه أن يؤكد بهذه الصورة الحاسمة الجازمة على عناصر الكثافة والكتلة والثقل في ما يرسمه ، سواء أكان مشهد فتاة مستوحية ، أو موجة بحرية عارمة . أو تفاحة ترقد بين مجموعة من الفواكه في سلة .

الموقف البطولي

لقد كان موقف «كوربيه» ، كما يقول الناقد الإنجليزي جون بيرغر ، موقفاً بطولياً في سياق حركة الفن الحديث . إذ درج الرسامون قبله على الإقتصاد في الأعراف التصويرية كاستخدام الضوء والظل للدلالة على الصلابة ، وتطوير الرؤية للدلالة على الحيز . ليوحوا بالواقع . أما كوربيه فقد تخطى هذه الأعراف ، وأوجد مكافئاً للإحساس الفيزيائي للأجسام المادية المرسومة ، كالثقل والحرارة . وهذا التركيز على تكثيف الكتلة وتجسيمها وشحنها بالمضمون الشعوري هو الذي جعل كوربيه قادراً على أن يجعل مشهد سمكة عالقة في صنارة يعكس معنى الألم والعذاب والموت أكثر من لوحة ضخمة تمثل عملية الصلب لفنان عصر النهضة الإيطالي روفاييل

وفي تأكيده على التجسيم المادي للموضوعات الفنية ، كان كوربيه أيضاً رائداً من الرواد الأوائل للحركة التكعيبية بيد أن إحساسه بالواقع كان يتجاوز إحساسه بالمادة إلى إدراك المضمون الإجتماعي على نحو مباشر . ويتمثل ذلك في إحدى روائعه المسماة «جنازة الدفن في أورنان» . فالفلاحون في اللوحة ليسوا وجوهاً بسيطة ناضرة باسمة كما درج الفنانون الرومانتيكيون على تصويرهم ، بل هم بشر حقيقيون يتعذبون وينتابهم القنوط أمام مشهد الموت

كوربيه .. في لوحة !

ومن أبرز المعروضات في المتحف ، اللوحة الشهيرة المسماة «اللقاء» . ويبدو فيها «كوربيه» نفسه وهو يتجاذب أطراف الحديث في طريق ريفية مع صديقه «الفرد بروياس» ، ففي هذه اللوحة أختصر كوربيه عناصر المشهد الطبيعي التقليدية إلى الحد الأدنى ليركز على تصوير الشخصيات الإنسانية الثلاث وإبراز ملامحها وحالاتها النفسية : الفنان باعتداده وشموخه المعروف والصديق الذي يقف وقفة فيها الكثير من الإحترام والمودة ، ثم الخادم الذي يطأطئ رأسه بتواضع جم كأنه لا يريد أن يثقل على الشخصين الآخرين بوجوده .

رد على يوسف ادريس

المفكر العملاق وصحوة الفكر

محمد عباس نور الدين

يطرح الدكتور يوسف ادريس في المقال الذي كتبه بمجلة الدوحة عدد ديسمبر ١٩٧٧ تحت عنوان « بين فقر الفكر وفكر الفقر » موضوعا في غاية الاهمية يتعلق بالكيفية التي يمكن أن ينهض بها عالمنا العربي المعاصر ليلحق بركب الامم المتحضرة وبعد أن يشخص يوسف ادريس الوضعية التي يعاني منها العالم العربي يدعو الى صحوة فكرية عربية تتحقق عن يد « مفكر عملاق او عمالقة مفكرين » يزيحون [illegible] الرؤى التقليدية ، يركلون جانبا أطنان الشعارات ، بجراءة وقوة واقتحام ، يرون واقعنا ويخلقون له الحلول او على الاقل يقترحون له الحلول ...

واذا كنا نوافق الدكتور يوسف ادريس في [illegible] لعلم « المستبد العادل » الذي سيخرجنا [illegible] من تخلفنا ، فان لنا بعض التحفظات حول تصوره [illegible] الذي يقترحه . ان الحلم بالمفكر العملاق الذي يزيح الستار عن واقعنا ويخلق له الحل هو في رأيي لا يختلف عن الحلم بمستبد عادل يدفعنا دفعة قوية الى الامام ، ففي الحالتين ان موضوع الحلم انسان غير عادي ، فهل يعتقد الدكتور يوسف ادريس ان مشكلة العالم العربي تتلخص في عدم توفره على المفكرين العمالقة الذين يتصفون بالجراة والواقعية ...؟ واذا كان بعض المفكرين لا يمثلون الواجهة الفكرية لشعوبنا بل يمثلون « فقر الفكر » ، فان العالم العربي يتوفر على مفكرين يتحركون خارج الاطر ولديهم القدرة على ازاحة الرؤى التقليدية ورؤية الواقع « رؤية واضحة صريحة غير مهزوزة » . ولكن أين يوجد هؤلاء المفكرون ؟ انهم يعيشون في غالب الاحيان بعيدين عن مجتمعهم يعانون وضعا اشبه ما يكون بالمنفى سواء كان هذا المنفى اختياريا أم اجباريا ...

حرية الفكر أولا :

ولقد ارتفعت أصوات كثيرة في العالم العربي تدعو المفكرين والعلماء الذين يعيشون خارج العالم العربي الى العودة لبلادهم . ولكن هذه العودة لم تتحقق والسبب في ذلك هو اننا لا نعيش أوضاعا تساعد على نمو الفكر وتطوره . اذن فالقضية لا يمكن حصرها في اطار انعدام « المفكر العملاق » .

والدكتور يوسف ادريس نفسه يعترف بانه من المستحيل ان نبقى في انتظار « القائد الفكري الملهم ليخرجنا من المأزق العقلي » .. ويقترح صحوة فكرية وسيلتها الصحافة والاذاعة ووسائل الاعلام وتضمن حدا أدنى من الحرية للمفكرين والكتاب ولكن الامل في أن يمنح مفكرونا وكتابنا حدا أدنى من الحرية يعتبر نوعا من الخيال ان لم نقل نوعا من التناقض . ان حرية الفكر تؤكدها اجراءات قانونية ودستورية وتدعمها سلطة تحترم القانون وتؤمن بالفكر وبالدور الذي يمكن ان يلعبه في تطوير المجتمع وتقدمه . ان الدكتور يوسف ادريس اضطر في نهاية مقاله ان يوجه كلامه للحكومات حيث قال : « ... صحوة قبل ان نموت يا حكوماتنا العزيزات ، [illegible] متم انتم الاخرون ، وعليكم ان تبقونا [illegible] » اذن ان الخيط في يد الحكومات ، فلو جعلنا التعليم اجباريا في جميع انحاء العالم العربي ، [illegible] ووسائل الاعلام . وحققنا [illegible] تجعل الانسان العربي يعطي جميع امكاناته ، عند ذلك لن نكون بحاجة الى المفكر العملاق والقائد الفكري ليخرجنا من المأزق العقلي الذي نتخبط فيه ، بل يمكن ان نذهب الى أبعد من ذلك فنقول ان اكتشاف « المفكر العملاق » لا يمكن ان يتم الا بتحقيق الشروط التي ذكرناها .

تكافؤ الفرص ..

ان الامة العربية ليست أمة عقيمة من حيث امكاناتها الفكرية والعقلية ، والدراسات العلمية في المجالات السيكولوجية والاجتماعية اكدت عدم وجود شعب متفوق عقليا وشعب متخلف عقليا ، فالذكاء ـ باعتباره قدرة عقلية ـ يوزع توزيعا يكاد يكون واحدا لدى مختلف شعوب العالم مهما اختلفت من حيث مستواها الحضاري . وان اي شعب من الشعوب يتوفر على نسبة قليلة من العباقرة ونسبة قليلة من ضعاف العقول وغالبية يتراوح ذكاؤها بين هذين المستويين وهذا يعني انه يكفي ان نوفر في عالمنا العربي شرط تكافؤ الفرص امام الجميع لنجد من العباقرة في جميع مجالات التفكير بشكل لا يقل عن اكثر المجتمعات رقيا وتقدما ...



تماثيل وفسيفساء

نور الدين صمود

متحف ضم كل ماضي البلاد
منذ فجر الزمان من عهد عاد
الحضارات مهنا ماثلات
تتراءى لأعين القصاد
ويدا الأمس ـ وهو طليق توارى ـ
خالد الحسن رغم كل العوادي :
في التماثيل وهي توشك تمشي
وتكاد الأفواه منها تنادي
وتلوح الفسيفساء وفيها
الف رسم يختال بالأمجاد
وتراءى (اوليس) في قيده المشـ
ـدود يصغي للحوريات الشوادي
كم سبت من مسافر بغناء
ساحر اللحن سالب للفؤاد
اوثقوه واوصدوا السمع كي لا
يستجيبوا لصوتها الغراد
لو اصاخوا لشدوها لأضاعوا
في طريق الرجوع درب الرشاد
وتغنت عرائس البحر لكن
مخر اليم فلكه المتهادي
والعنادل تنهب البحر نهبا
في صعود ، وخفة واطراد
وتراءى (فرجيل) ينطق بالوحي **
ويملي روائع (الانياد)
ولمحنا الطيور تسبح في الجو **
وتسبي باللحن كل فؤاد
ورأينا الاسماك تسبح في البحر **
وتعدو في لجها المياد
ورأينا الحسناء تركب تنينا ****
رهيبا مروضا كالجواد
ورأينا روائع الأمس تزهو
ناطقات بالفخر للاجداد
كم رأينا في كل ميت حياة
واستمعنا لنطق ذاك الجماد

محاولة لتأمل انخفاض عدد الأفلام الكوميدية

من الذى قتل الضحك فى السينما؟

روضة توفيق

من أغرب الظواهر السينمائية الآن .. هو انخفاض عدد الأفلام الكوميدية .. رغم كل ما يبدو فيه انسان هذا العصر، من حاجته الشديدة الى من يخرج عن همومه، ويسحب الابتسامة الى شفتيه!

ولكن يبدو ان حجم الهموم، وتعقيدات الحياة .. اصبحت اكثر كثافة، من ان يحركها فيلم كوميدى .. او

ولهذا اقتنع صانعو السينما، بانه لا فائدة من صنع افلام كوميدية .. مادام الانسان اصبح عاجزا عن الضحك بشكل [illegible] أو حتى مجرد الضحك الخفى الذى لا تسمع صوته، ولكنه يملأ الوجدان!

ومما يزيد الامور غرابة .. ان نقاد السينما فى العالم غالبا ما ينظرون الى الافلام الكوميدية باعتبارها



شارلى شابلن

● يتميز الانسان على الحيوان بقدرته على الضحك

● شارلي شابلن يضع فلسفة عميقة لفن الكوميديا

افلاما اقل درجة ، واقل مستوى من ان يهتم بهـا المثقفون والنقاد .. وكان الضحك اصبح علامة من علامات السوقية والابتذال .. وكان فن الكوميديا اصبح فنا لا يرقى الى مستوى الهيافة !

ويتوقف اى كلام عن فن الكوميديا السينمائية امام مرحلة العشرينات من هذا القرن .. ايام السينما الصامتة ، ومحاولات نجوم الكوميديا فى ذلك الوقت لاثارة الضحك ، حتى سميت هذه الفترة « الشريطة الضاحكة » لغزارة ما قدم واتعدد مستوياته .. ثم ظهور عبقرى السينما « شارلى شابلن » امثل الكوميديا السينمائية الاول » الذى لا منازع له حتى الآن !

ولعل ظاهرة اضمحلال الكوميديا فى السينما .. تحتاج الى بعض التوقف ، للتأمل .. ماذا جرى للضحك .. وماذا جرى ايضا للانسان ؟!

هكذا ظهر أول فيلم كوميدي!

الضحك هو احد السمات التى تميز الانسان عن الحيوان .. وقد حاول الفلاسفة تفسير الضحك .. وتباينت التفسيرات وان اتفقت على ان الضحك هو انفعال خفيف اشبه بالصدمة نتيجة حدوث تناقض بين التوقع وما يحدث فعلا .. وقال الفيلسوف « كانت » .. « ان الضحك هو انتقال مفاجىء من حالة التوقع المتوتر لحدوث شىء .. الى حالة عدم حدوث اى شىء على الاطلاق » !

ويقوم فن الكوميديا اساسا على اظهار وتجسيد التناقضات فى الانسان .. سواء فى افكاره او سلوكه .

ويختلف المؤرخون حول اول فيلم سينمائى كوميدى .. وان كانت بعض الآراء تقول ان هـذا الشريط السينمائى القصير الذى يحمل عنوان « العطسة » والذى ظهر عام ١٨٩٤ ... هو اول بادرة سينمائية للكوميديا .. وقصة هذا الشريط فى حد ذاتها مثيرة للدهشة .. فقد كان المصور « وليم ديكسون » الامريكى الجنسية ، يضبط عدسة كاميرته استعدادا للتصوير فى احد مسارح نيويورك الامريكية ، وفى هذه الاثناء انتابت احد عمال المسرح نوبة من العطس .. ودارت كاميرا المصور لتسجل هذا العطس .. وعندما دخل الفيلم للتحميض والطبع ، كانت هذه العطسة التى سجلتها الكاميرا أشبه بالمفاجأة التى اذهلت كل من شاهد الفيلم ، وتلك المفاجأة نوبة صاخبة من الضحك على منظر هذا الرجل وهو يعطس !!

وسجل التاريخ السينمائى اسم هذا المصور « وليم ديكسون » .. وسجل ايضا اسم العامل الذى عطس وهو « فريد اوت » .. وسجل كذلك تاريخ العرض عام ١٨٩٤ .

ورغم غرابة هذه الحادثة ، الا انها تشير بوضوح الى بعتام الضحك عند المشاهدين فى ذلك الوقت ، والذى يستمر كقاعدة لفن الكوميديا على مر السنين .. وهذا المفتاح هو « عدم التوقع » !

فوجه عامل الاستوديو كان يبدو جادا وجامدا ومشدوها .. وفجأة انقلب هذا الوجه الى الضد فى هذه العطسة .. وهذا التغير الذى حدث فى تعبيرات الوجه لم يكن متوقعا .. وبالتالى احدث المفاجأة التى سببت الضحك !

وهذه المفارقات او التناقضات .. هى التى استفاد منها صناع الكوميديا الاوائل فى تقديم افلامهم الضاحكة ايام السينما الصامتة .. حتى جاء « شارلى شابلن » ليضع فلسفة عميقة حول دراسة السلوك الانسانى .. وكيفية اثارة ضحك المشاهدين من خلال نظـرية « عدم التوقع » !

من الطبقة السفلى .. والى الجميع ..

وفى « مهرجان الفيلم الكوميدى » الذى اقيم فى منتصف عام ٧٦ ، فى احدى قاعات متحف الفن الحديث فى نيويورك .. تم عرض اكثر من اربعمائة فيلم كوميدى من ايام السينما الصامتة .. واحتشد الآلاف من عشاق السينما والدارسين لها ، يشاهدون ما الذى اضحك العالم فى ذلك الوقت ؟ ولكنهم فوجئوا بانفسهم يضحكون بعد رؤية كل فيلم !! .. وقد كان هذا مثيرا للدهشة ان افلام الضحك ايام السينما الصامتة ما زالت تثير الضحك فى جيل الربع الاخير من القرن العشرين ؟

وقد كتب الناقد السينمائى لمجلة « نيوزويك »

لوريل وهاردي





بن توربن



هارولد لويد

الامريكية معلقا على هذا المهرجان السينمائي للافلام الكوميدية الصامتة .. فقال : « ان هذه الافلام تعتبر أنقى ذخيرة لدنيا ، ابتكرها العقل البشري لاثارة الضحك » ...

ويستطرد الناقد السينمائي « جاك كرولل » قائلا : « لقد اتسمت المراحل الاولى فى افلام الكوميديا الصامتة .. بالابتذال والتهريج السطحي .. ثم جاءت مرحلة امتزاج السوقية بالسمو ، بواسطة ممثلين رجال

(حيث كانت النساء لا دور لهن في هذه اللعبة) يسرون ويتدفعون بتصرفات متناقضة تماما .. وباداء غريب يساعده تكوين جسماني يتميز غالبا بالبدانة المفرطة .. وغالبا في ثنائيات .. وهذه الثنائيات هي خليط من شخص مستاسد ، وآخر مستسلم مرح .. ويتحرك الثنائي برشاقة وكانه يطفو على سطح الارض .. وكان كل ممثل يتمتع بصفة جسدية وعقلية مميزة .. مثل الممثل « آربيكل » الذى تميز بوجه طفل فاسق ، وهذا ما ساعده على القيام بادوار غير معقولة .. مثل ان يجرع زجاجة خمر ثم يبدا في حزن ثقيل ، يدفن الزجاجة وكانه يدفن حبيبته المفضلة !

« وبتحليل هذه الجرعة الكبيرة من افلام الكوميديا الصامتة .. يظهر بوضوح اهتمام هذه الافلام بالطبقات السفلى من المجتمع ، حيث ان اغلب الممثلين كانوا من هذه الطبقة ، وبذلوا جهدا كبيرا في نقل صورة صادقة للشيوعات الفوضوية لهذه الطبقة ، ومن بين نجـوم الكوميديا الكبار ، واحد كان يكاد يمثل الطبقة المتوسطة وهو « هارولد لويد » الذى تقلـد تمثيل النموذج الشائع للمديونير الشاب ، المتحقق عقليا ، والذى اوقعه القدر فى فخ يصبح معدما رغما عنه .. وذلك بعد شبه ليلة مليئة بالنشالين وقطاع الطرق ، تمثل حي معترك .. ويصبح بعدها فريسة لكل محتـال في البيلسية »!!



افلام سوء حظ الانسان

وما يقوله هذا الناقد السينمائي ، وبفضل ما اتاحته له الظروف من رؤية العين لاكبر تجمع سينمائي ضم كل الاعمال الاولى لنجوم الضحك في السينما الصامتة .. نستطيع ان نتاكد منه من خلال الكتب السينمائية التى ارخت لهذه الفترة ، والتى تناولت بالتحليـل افلام الكوميديا الاولى والتى وصفتها بانها « الافلام التى استفادت من سوء حظ بعض البشر في الحياة » .

وسوء الحظ هذا ممكن ان يكون في الفقر .. او العاهات الجسدية .. او الاحساس الـدائم بالظلم والمطاردة .. ولهذا اتسمت هذه الافلام بالحـركة السريعة .. واسلوب المطاردات .. والتباين الشديد

في الاجسام والاشكال .. واختلاف القدرة على الادراك والتصرف والخروج من المازق .

ومن نجوم الكوميديا فى هذه الفترة : « باستر كيتون » ــ « هارولد لويد » ــ « الثنـائي : لوريل وهاردي » ــ « الاخوة ماركس » .

وفي هذه الفترة ايضا .. بزغ نجم « شارلى شابلن » الذى وضع الاسس الحقيقية لفن الكوميديا السينمائية .



« البرتوسوردي » مع الممثلة « شيرلي ماكلين »

المهرج الفيلسوف

التحم « شارلي شابلن » بمجال السينما الكوميدية بوعي كامل لفن الاضحاك .. فبعث شخصية أحد أبناء الطبقة السفلى ، من خلال ابتكاره الاسلوب المتميز في الاداء .. فهو الرجل الضئيل الحجم ، الفقير ، المعتد بامكانياته الجسدية ، ولكنه المتوهج ذكاء بحيله ومكائده وسخريته .. حذاءه أكبر من حجم قدمه ، سراويله متهدلة ، عصاه مقوسة ، شاربه صغير ، وشعره منفوش يختفي تحت القبعة القديمة المستديرة .. ولم يكن هذا الاطار الخارجي الذي اختاره لشخصيته ، سوى العنوان الذي يخفي معان كثيرة .

فمن شارلي شابلن لا يعتمد على الملابس والحركة .. ولكن على المضمون .. فهو صاحب القاعدة الذهبية في فن الاضحاك ، والتي تقول : « كل ما في الكوميديا السينمائية .. هو دراسة الانسان في حياته اليومية » .

وعندما أراد أن يشرح هذه القاعدة ضرب مثلا بدراسة شخصية المتشرد والتي قدمها في فيلم يحمل نفس الاسم « المتشرد » .. فقال انه درس سلوك أحد المتشردين وعرف كل شيء عن حياته وأفكاره وأحلامه .. ثم استخلص من هذا النموذج الحي الواقعي ، هذه الشخصية السينمائية الفريدة ، والتي عاشت على مر السنين ، تبعث الضحك والتأمل في كل من يشاهدها .

ويعترف شارلي شابلن انه من أهم عناصر الكوميديا .. هو تدبير « المفاجأة » التي لا يتوقعها المشاهد ولكنه في نفس الوقت يحذر شارلي شابلن من المبالغة .. فهو الذي يقول : « من الامور التي أحذر منها .. المبالغة في شيء أو التركيز على نقطة واحدة .. فالمبالغة تقتل الضحك » .

وبهذا الوعي الكامل لفهم طبيعة النفس البشرية .. نسج شارلي شابلن فنه .. وكان بالاضافة الى ذلك أول كوميديان يبذل جهدا ممتازا في تطوير الحركات الصامتة المتناقضة ، في تتابع وفيض من الحذق والالقاء والاضافة .. وقد استطاع شابلن أن يعطي في خلال ٣٠ ثانية ، ما يقرب من ١٠ حركات مختلفة ومتباينة التعبير .. فينتقل مثلا من حركات شاب رقيق مهذب الى حركات آخر عنيف وفظ !

والاثارة الكاملة في هذه الوسيلة .. انها تستخرج من المشاهد ، أنقى وأرقى أنواع الضحك .

ولهذا عاش فن « شارلي شابلن » الى وقتنا هذا .. ولم يستطع أي فنان كوميدي أن يصل الى هذه المكانة .

الضحك الصناعي

ورغم ان السينما نطقت بعد ذلك .. وأضافت ميزة جديدة لفن الكوميديا ، هي التعبير بالكلام المنطوق .. الا أن هذه الميزة جاءت على حساب الحركة الضاحكة الصامتة ..

وأصبح من الصعب جدا .. التوفيق في رسم الشخصية الكوميدية التي تستطيع بالحركة والكلام أن تفجر الضحك بين المشاهدين ..

ورغم كل محاولات نجوم الكوميديا في تأكيد ذواتهم .. الا أن الضحك أصبح أقل .. أو بمعنى آخر أصبح صناعيا .

وشهدت السينما العالمية نجوما كثيرين .. نذكر منهم :

• في أمريكا بوب هوب – بودا بوت لنو كاستيللو – بنج كروسبي – داني كاي – جين كيلي – جاك ليمون – والتر ماتيو – وودي الين – ميل بروكس .

• في فرنسا : فرناندل – لويس دي فينيس .

• في انجلترا : اليك جينيس – بيتر سيلرز .

• في ايطاليا : توتو – فيتوريو دي سيكا – البرتو سوردي – نينو مانفريدي .

محاولة امريكية جديدة

وقد حاول كل نجم من هؤلاء أن يتميز بشخصية مستقلة ، سواء في أداء دوره .. أو في صنع فيلم كوميدي .

ففي أمريكا مثلا .. يقوم حاليا الممثل الفنان « وودي الين » بمحاولة القيام بكتابة النص السينمائي والاخراج والتمثيل .. لكي يستطيع أن يعبر تماما

« جاك ليمون يواجه الممثل « والتر ماثيو »



عما يريد أن يقوله للناس .. أو يمثلن أخر الترصيع الفنان الشامل للعمل الذي يقدمه .. وفي هذا الصدد قدم أفلام : (حلم الفاوس واهرب) – (السوق) – (اعزفها ثانية .. يا سام) – (كل ما تريد أن تعرفه عن الجنس وتخشى أن تسأل عنه) – (النائم) – (الحب والموت) .

ورغم هذا الجهد الجبار في الاستحواذ على عناصر العمل الفني الرئيسية .. إلا أن كثيرا من النقاد يعتبرون محاولات « وودي آلن » تكرارا لأسلوب شارلي شابلن في قيادة العمل الفني ..

السينما الايطالية .. اكثر سخونة

ويتوقف المراقبون لفن الكوميديا السينمائية .. أمام محاولات السينما الإيطالية التي تتميز بالسخونة والسخرية اللاذعة .. وربما كان سر هذه الحيوية في السينما الإيطالية ، هو أن المجتمع الإيطالي ما زال يفيض بالتناقضات الحادة التي تصلح كمادة أساسية للسينما السياسية .. وللسينما الكوميدية أيضا ..!

والمتأمل لفن عبقري السينما الإيطالية ، المخرج « فيلليني » .. يجد أن نسيج أفلامه يعتمد بشكل واضح على التناقضات في المجتمع الإيطالي ، والتي تسمح بصنع الكوميديا الساخرة والتي تتسلل بين مشاهدة أفلامه وكأنها جزء لا ينفصل عن الموضوع الذي يتعرض له .

ففي فيلميه الأخيرين « روما – فيلليني » – « أماركورد – إني أتذكر » نلاحظ أن المخرج العبقري يسخر من التفاوت بين الفقراء والأغنياء .. ويسخر من النظم الاجتماعية التي تسمح بهذا التناقض .. ويسخر من رجال الدين الذين يتاجرون بالكلمات والطقوس ..

والمخرج « فيلليني » لا يبحث عن الضحك لمجرد الضحك .. بل يصنع هذه المشاهد السينمائية البليغة لكي يقول ما يريد أن يقوله بأكثر الوسائل صعوبة وهي اللعب بالتناقضات .. لدرجة أنه في فيلم « روما – فيلليني » قام بتشييد طريق صناعي طوله خمسمائة متر .. وأقام على جانبي الطريق واجهات لمنازل قديمة وحديثة ، ووضع اللافتات الضوئية وإشارات المرور لكي يعطي للطريق الصناعي شكلا واقعيا .. كل ذلك حتى يحكي بلغته السينمائية الساخرة عن ازدحام في شوارع روما .. والتناقض الصارخ بين راكبي أفخر السيارات والناس العاديين .. حتى ولو كان راكبي أفخر السيارات ، مجموعة من الطلاب .. وحتى ولو كان أحد أفراد الناس العاديين جثة ملقاة في الطريق ولا أحد يهتم بها !!

الضحك من خلال موقف اجتماعي

وبنفس هذه الروح الساخرة يقدم المخرج الإيطالي « اتوري سكولا » أفلامه الكوميدية .. وكذلك المخرج الممثل « نينو مانفريدي » الذي يعترف بأن أستاذه العبقري في الكوميديا هو « شارلي شابلن » .

وقد استطاع المخرج « سكولا » أن يحصل بفيلمه « اشرار .. أقذار .. أنذال » على جائزة الإخراج في مهرجان « كان » السينمائي لعام ٧٦ .. وهذا الفيلم يستلهم مادته الكوميدية من قاع العيشة الإيطالية .

وفي العام التالي « ١٩٧٧ » ، اشتركت ايطاليا في

دونالد سازرلاند واليوت جولد



مهرجان « كان » السينمائي بفيلم رائع يفضح سلوك الطبقة البورجوازية .. واتسم النصف الاول من الفيلم بالسخرية الشديدة والمواقف المشحونة بالضحك في تصرفات احد الموظفين الذي يسمى ... وهذا الفيلم « بورجوازي .. ... » الذي اخرجه « ماريو مونتشيلي » ... الايطالي القديم « البرتو سوردى » يؤكد من ... ان الضحك في السينما لابد وان ينبع من الموقف التلقائي .

النقاد لا يعترفون بالكوميديا الحالية

ومن المثير للدهشة .. هذا الموقف المتشدد الذي يتخذه النقاد أمام اى فيلم كوميدى .. ولعل اوضح مثال لهذا الموقف .. ما جرى للفيلم الامريكي (ماش) الذي حصل على الجائزة الكبرى في مهرجان « كان » السينمائي لعام ١٩٧٠ .. فقد قوبلت هذه النتيجة بردود فعل حادة ، لعل ابرزها هذه « الصدمة » من ان يحصل فيلم كوميدى على هذه الجائزة الضخمة !

ومع ان فيلم (ماش) يسخر من العسكرية الامريكية من خلال احدى مستشفيات الميدان حيث يتركز الموضوع على ثلاثة اطباء شبان ، اشتركوا في حرب لا يعرفون لها مبررا ، ويتعاملون مع الجرحى والدم وغرف العمليات وايضا مع جنرالات الجيش والقواد بمنتهى الاستخفاف .. ويبرع المخرج الامريكي « روبرت التمان » في استخلاص الضحك والسخرية من بين اشلاء الحرب .. الا أن هذا الفيلم وفوزه بالجائزة الكبرى .. كان مفاجأة لم يبلعها النقاد بسهولة !!

وهذا الموقف المتعالي من النقاد .. ربما هناك ما يبرره ان المشاكل الجوهرية في الصراع العالمي الآن ، لا يمكن ان يعبر عنها فيلم كوميدى .. مهما كان هذا الفيلم الكوميدى ساخرا وحادا في نقده !

ويتفق كثير من المشاهدين على وجهة النظر هذه .. وما يدلل على هذه النتيجة .. ان الافلام الكوميدية الاخيرة لم تعد تثير في النفس اكثر من الضحك الوقتي الذي ينتهي مفعوله بنهاية الفيلم .. اما الافلام الجادة فهي التي تبقى في الوجدان وتفتح مجالات أوسع للتأمل واتخاذ المواقف .. ومما يؤكد هذا الرأى .. ان الافلام الكوميدية الاخيرة لم تعد تحقق النجاح المادى لصانعيها نتيجة عدم اقبال الجمهور عليها .

ولهذا احجم كثير من المنتجين العالميين عن انتاج الافلام الكوميدية .

ولكن هل معنى هذا .. نهاية عصر الضحك في السينما ؟

المشكلة في انسان هذا العصر

لا شك ان العثور على موضوعات عادية أسهل الف مرة من العثور على فكرة لفيلم كوميدى .

... الضحك إصعب بكثير من فن المأساة .. هذه ... معروفة منذ ان ظهرت الفنون .

ولكن مما يزيد الامر صعوبة .. ان انسان هذا العصر اللاهث .. أصبح من الصعب جدا اضحاكه .. فالانسان العادي في مواجهته اليومية لمشاكل الحياة ، أصبح اكثر حدة وسخرية مما يستطيعه عباقرة الكوميديا ان يتخيلوها .. انها سخرية ابنة اللحظة ، سخرية تلقائية صنعتها الظروف !

وتختلف الظروف من مجتمع الى اخر .. وبالتالي ما يضحك الانسان في امريكا ، لا يعني انه يضحك الانسان في آسيا او افريقيا .. الا اذا كان موضوع الضحك يخاطب الانسان عالميا ، اينما كان ، ومهما كانت ظروفه ..

ولعل هذا هو سر خلود فن شارلي شابلن ..

وهكذا تتداخل كل هذه العوامل لتشكل العقاش عند الافلام الكوميدية .. وفتور استقبال ما يصنع منها ..

ويبدو ان هذه الحالة ستستمر .. طالما ان انسان هذا العصر يشعر دائما بالتوتر والقلق وعدم الامان ، وايضا عدم قدرته على الضحك الصافي النابع من الاعماق .. الا اذا جاء عبقرى جديد مثل شارلي شابلن يعرف كيف يستخلص من الالم العالمي هذا ، لغة جديدة للاضحاك ..

ممدوح توفيق

جرائم متميزة .. تمتص الحياة من عروق الضحايا فتحولهم الى اشباح

الجريمة فى قصص احسان عبد القدوس

عبد المنعم الجداوى

فى كتابات احسان عبد القدوس جرائم متميزة .. اخطر ما فيها أنها تبدو وكأنها لا تسفك دما ولا تقطر عظما .. رغم أنها بشعة ، قاسية .. تمتص الحياة من عروق الضحايا .. فتحولهم الى اشباح تهيم فى جنون .. مفقودة الظلال والوجوه .. تصرخ من جراحها ، وتتلوى من آلامها .. دون أن تسمعها أذن .. أو ترى آلامها عين .. وذلك افظع ما فى جرائم الكاتب « احسان عبد القدوس » .. فالقتلى عنده لا يموتون ولا يطلبون .. اكفانهم هى ملابسهم .. وقبورهم بيوتهم ، أو مكاتبهم ، واحيانا سياراتهم الفخمة .

اما القتلة فطراز نادر من المجرمين .. فى الاغلب من الحسناوات الرائعات الجمال .. الساحرات الفتنة ، اما الرجال دائما فهم رجال اعمال او اغنياء او من « باشوات » زمان .. او اثرياء الانقلابات العسكرية .. وهؤلاء يفتكون بضحاياهم دون أن تراق نقطة دم واحدة - ومن هنا كانت خطورة جرائمهم !!..

مرة واحدة هى التى جعل احسان عبد القدوس بطل قصته .. يكتم أنفاس عمته العجوز التى تقيم فى شقة وحدها .. لا لشىء الا لكى يستولى على شقتها ، ويتزوج فيها - بعد أن هددته ام خطيبته .. بأنه ما لم يجد شقة فى ظرف شهر .. فان خطيبا لديه شقة تقدم لابنتها .. بعد ان انتظرته اكثر من سنتين .. والقصة قصيرة نشرها فى مجموعة اسمها « بنت السلطان » .. وكتبها لكى يسجل بها وينتقد ازمة الشبان الذين يريدون الحصول على شقة فى القاهرة .. ورغم أنه كتبها باسلوب مؤثر .. وجعل البطل يعترف امام القضاء بهذا القتل .. الا أنك تشعر فى نهايتها انها « نكتة » .. وليست جريمة قتل .. رغم ان عنوانها « قاتلت عمتى » .. لاسباب كثيرة فى مقدمتها ان القاتل .. لا يحمل السمات النفسية للمجرم .. ولا يملك غريزة المقاتلة .. فقد كان طول عمره مطيعا لهذه العمة .. التى كانت آمره بعينيها .. ولم يختزن من الحقد والكراهية .. مما قد يشحن جسده بالتوترات - فيجىء قتلها حسما لهذه التوترات .. بل حاول خنقها .. وهو يلقى عليها محاضرة [illegible] انها يجب ان تموت .. لكى تخلى له الشقة .. حتى يتزوج فيها .. وتصديق القصة بهذا الشكل صعب بل ومستحيل ايضا !..

ثلاثة من الجناة .. والضحايا !

لكن فى نفس المجموعة قصة « مطران اصفر » وبطلتها فى الرابعة والعشرين .. يتصدى لها رجل فى الخامسة والخمسين .. يملك الثروة ، والجاه ، والمال ، والمنصب .. يغتصب شبابها بالزواج .. ولكن ذلك لا يكفيه .. وحتى يسيطر عليها سيطرة كاملة ، ويجردها من عنصرى شبابها ، الجمال والصحة .. يضع خطة جهنمية ، وكأى مجرم عريق الخبرة .. يستعين بآخرين فى تنفيذ خطته .. يحتال لكى تستجيب له الضحية ..

● البطلة في الرابعة والعشرين .. والبطل في الخامسة والخمسين .. جريمة!



فتاة وهما يقضيان شهر العسل في ... ينظر الى وجهها ، ويوهمها بانها ... ما يسرام ، ويرسم على وجهه اشفاقا كاذبا وانزعاجا مصنوعا .. لصدقه الضحية ، وتستسلم لإرادته حتى تصل الى فراشها .. ويجيئها بطبيب يؤكد لها انها تعاني من التهابات في المرارة ، والكبد والطحال ، ويكتب لها عشرات الادوية .. بهذا اصاب اكثر من عصفور بحجر واحد .. فقد الزمها الفراش وامن شر نزواتها ومحاولاتها جره الى السهرات او الحفلات وذلك ما لم تعد صحته تساعده عليه ، حرص على ان يعطيها الادوية بيديه .. اصبح هو الذي يسدي اليها الجميل لا هي .. واستطاع ان يجعلها تعيش في ذلك الوهم حتى عادت الى مصر ، وانهمكت في لعبة الامراض .. الى حد انها كانت تعرض على صديقاتها الادوية الجديدة التي يشتريها لها ، وكانها تطلعهن على اخر موضات العالم .. واوشك جمالها ان يفقد نضارته .. الا ان ابن اخ هذا المجرم ، وهو من عمر المرأة ومجرم من طراز اخر .. يفاجئها بان الجميع يعرفون جيدا ان ليس بها اى مرض ، وان عمه هو الذي اوهمها لكي يطفيء جذوة الشباب التي تشتعل فيها .. حتى يتمكن من السيطرة عليها ، ويطمئن الى انها لن تتمرد عليه .. وتكتشف الحقيقة .. فتحطم الادوية ، وتثور على المجرم الذي يجن لان خطته قد فسدت ..

وتترك له البيت الى بيت والدتها غاضبة .. ويحاول ان يعيدها لكنه فشل .. فيتركها بلا طلاق .. وتنطلق مع الشاب .. تجري حتى اخر الشوط .. الى ان ... الغرام مع اخرى .. فتعود بنفس السرعة الى بيت الزوجية .. تلقي بنفسها على الفراش ، وتصيح ان ينقذها من الالام التي تمزق امعاءها وهي كاذبة .. ويجيئها بطبيب فيشير بنقلها فورا الى المستشفى لكي يجري لها عملية « مصران اعور » ..

ان المجرم ما زال يستعمل نفس السلاح .. حتى بعد ان وجد من يفسد عليه خطته .. ولكن المجرم لم يعد وحده .. لقد انضم اليه في الاجرام مجرم اخر هو ابن اخيه .. فهذا الشاب الذي ارتدى لجريمته ثوب المنقذ ، واحتال حتى افترس الضحية .. صرع ضحيتين لا ضحية واحدة .. قتل في عمه غيرة الذكر على انثاه ، وجعله يرفض طلاقها .. حتى بعد ان تاكد انها تخونه معه .. وقتل فيها بخيانتها مع امرأة اخرى ، ثورتها على عمه العجوز ، ومحاولتها استرداد ايامها وشبابها معه .. فارتدت حسرة الى زوجها .. التظاهر بالمرض الذي يحبه .. واستسلمت لعملية جراحية .. ليست في حاجة اليها .. عساها تطهر بالدماء عارها الذي لطخها به ..

الا انها لم تكن شهيدة ، ولم تكن مجنيا عليها من الاثنين .. واذا كان لزوجها ضحية واحدة .. ولـ... ضحيتان .. فان لها ثلاث ضحايا .. فلا تبين في قصص احسان عبد القدوس الجاني من المجني عليه .. فالجميع جناة والجميع مجني عليهم .. وضحيتها الاول هو

● في قصص احسان : الجميع جناة .. والجميع مجني عليهم !

زوجها .. اما ضحيتها الثانية فهو عادل الذي لم يكن يحلم بان تكون له شقة مستقلة يمارس فيها حماقاته . فحققت له ذلك .. اما ضحيتها الثالثة .. فهي ذاتها .. تلك التي كانت زوجة طاهرة .. فداست هذه الطهارة وانتهكتها مع ابن شقيق زوجها .. وخنقت داخلها الزوجة العريضة على سمعة بيتها وزوجها ..!!

ان الثلاثة في القصة القصيرة .. يبدون من عتاة المجرمين .. رغم نعومتهم وارستقراطيتهم .. تتضاءل امام جرائمهم جنايات قطاع الطرق ، وحملة الرشاشات والمسدسات كاتمة الاصوات .. فهم يقتلون ويخنقون ويطلقون باسمى المعاني . يستعملون في ارتكاب جرائمهم اسلحة فتاكة .. لا يمكن ان تضبط او تحرز .. فهي تتراوح بين الدموع والابتسامات .. والقبلات والهمسات واللمسات ..

الام شريكة .. ضد ابنتها ..!

يعرض ... « ابن عمري » يجيء احسان بقاتله من طراز ثاني .. ابي ارملة في الخامسة والثلاثين من عمرها .. تطلع ابنتها التي لم تصل الى السادسة عشرة بعد .. فوق كرسي العرس .. وتشترك مع الزوج الذي اختارته لها ، وهو في الخمسين من عمره .. في اطلاق الرصاص على صباها .. فتقتل فيها كل شيء جميل في عمرها .. مستعينة بالمأذون ، ومتآمرة مع هذا الزوج المخضرم .. وتصاب كل مظاهر صباها بالشلل ، .. يتجمد كل شيء جميل فيها .. ويأخذها الزوج صاحب « الناب الازرق » الى القرية التي بها مزارعه .. وهناك يفرض عليها قيود عمره ، وامراضه ، وشيخوخته .. وفي برنامج مدروس منظم .. يمسخها من فتاة لم تتجاوز الثامنة عشرة الى امرأة في الاربعين .. تمشي مشية المرأة الاربعينية .. وتتصرف تصرف الاربعينية .. وتغيب ذاتها الحقيقية في اغماءة طويلة .. وتظل هكذا اثني عشر عاما .. ويسقط الزوج صريع « جلطة قلبية » .. وتجيء ساعة الحساب سريعة .. ساعة لم يكن يظن انها مسرعة اليه بهذا الشكل . ويمثل امام نفسه في محاكمة رهيبة .. فهو المتهم ، وهو النيابة ، وهو القاضي وهو الدفاع .. والمرض يطرحه على ظهره قسرا .. وبصره يحيط باللعبة التي خطفها من الجميع وخبأها حتى من نفسها .. فقد عصب عينيها بذهبه ، والتركها في اموره ، وها هي العصابة توشك الآن ان تسقط عن عينيها .. ويسقط هو معها في بئر



الدموع والابتسامات والهمسات .. كلها اسلحة فتاكة .. ولكن!

الابدية ·· وتبقى تلك التحفة الجميلة ·· وتتسابق اليها عشرات الايدى ·· وتتضح امامه جريمته ، ويحاول ان يدافع عن نفسه ·· ولكنها تتجسم له وتكبر ·· كلما امعن المرض فى مطاردة الحياة من جسده ·· ان جريمته تصحو بقدر ما يموت هو ·· واخوف ما يخافه ان تفطن الضحية الى ما فعله بها ··!

اما والدتها فقد كانت مدركة تماما لما فعلت ·· فقد تزوجت فى مثل سنها ، وفرضت على نفسها صفة الترمل، وهى فى أشد مراحل عمر المرأة خطرا ·· ورغم الهول الذى كانت تعانيه من الحرمان ·· والالام التى تعذب كل ذرة فيها ·· فانها دفعت بابنتها الى نفس مصيرها ·· دفعتها لانها تحبها ·· وتريدها ان تكون صورة منها ·· صورة محفوفة بالمجوهرات والذهب والعقارات فيصونها ذلك الاطار الاقتصادى من غوائل الدهر ·· مريضة كل الحرص على وقايتها ·· الا انها سعيدة بخضوع ابنتها استجابة للاستبدادية التى تريد واخلها ·· والتى مارستها ضد نفسها وتمعنت ذاتها المدمرة ·· وحرمت نفسها من حقها فى ممارسة حياة زوجية ·· وخشية ان تتبدد هذه الاستبدادية مع زوج له نفس الميول ·· واثرت ممارسة استبداديتها فى والدها وابنتها على الزواج ···!

ولم يكن ذلك الرجل صديق زوجها ، الذى تقدم ليتزوج ابنتها باقل منها استبدادية ، والا لتزوجها هى ·· فهى التى تتناسب واياه عمرا ، وخبرة ·· ولكنه ادرك كما ادركت هى ·· ان كلاهما استبداديا ولا يصلح للآخر ·· فانقض على الفتاة ، واتفقت هى ·· وكلاهما كان سعيدا بما غنم ·· او ظن انه غنم ··!

يموت ويعترف بجريمته ··!

والآن والطاغية يموت ، لم يعد يملك الا ذاته وخياله ·· انه الآن يستبد بنفسه ، ويضيف الى عذابه قسوة الشك الرهيبة ·· فالدكتور الذى يعالجه فى قمة الشباب ·· وزوجته حينما تخرج لتودعه فى الصالة ·· تطيل الوقوف معه والاستماع الى نصائحه ·· وهو يتعذب بذلك اضعاف ما يعذبه المرض ·· وينهار تحت ضغط كل هذه العوامل ·· ويخر الجبار الذى كان يرهب الجميع ويعذب الجميع ·· فيصرخ فى « عليه » انه لا يريد هذا الطبيب بالذات ·· انه يفضل ان ياكله المرض ·· عن ان ياكل هذا الطبيب لعبته ·· فيشد العصابة عن عينيها ··!

وتفاجأ التلميذة بسقوط الاستاذ ··

ويعترف كاى مجرم بجريمته التى ارتكبها دون تفصيل ··

ودون ان يقصد يوحي اليها بكم كانت هى مظلومة بعد ان كانت سعيدة بوهمها ·· ولكنها اعتادت طاعته ، فتستجيب ·· واذا كانت طاعته وهو معافى واجبة ··· فطاعته وهو مريض اوجب ·· ولكن عدوانه على شبابها يتجسد امامها ·· وتتجمع سطور التكييف الاجتماعى لجريمته ضدها ·· فتتراءى فى خاطرها فى حلقات تتسع يوما بعد يوم ·· ثم يموت ··!

وتتحول الى ارملة فى الثلاثين ··

وتتحول الى شخصية استبدادية ·· تستبد بنفسها وبمن حولها ، وتصرخ فى امها انها لن تذهب معها لى بيتها ·· ان تكون الارملة التى تهب نفسها للآخرين ·· وتصمم على ان تعيش وحدها ·· وتقول لنفسها ·· ولكن ماذا يقول الناس ؟·· انها لم يعد يهمها ماذا يقول الناس ··!

وتندفع بكل الشحنة الاستبدادية التى ملأتها ، فتلتقى بشاب فى التاسعة عشرة من عمره ·· لتقتله عن طريق الخطأ ـ تطلق عليه شحنتها لتحوله الى ظل لها ·· كلب امين ·· تدنيه ساعة ، وتبعده اخرى ، وتستسلم له فى عنف ·· كأنها تسترد اعتبارها عن الجناية الاولى التى ارتكبها ضدها زوجها ·· وتشعر بعد اسابيع انه ليس هو الرجل الذى تريده ولن يكون ·· انها فقط قد عاشت تابعة بلا ارادة ·· فارادت ان تجرب الحياة بكل الارادة ·· حتى تستعيد توازنها ·· وحينما توازنت « السادية » فيها مع « المازوكية » تخلصت من الشاب ، وسعت الى الدكتور « خالد » ، الذى يريدها حرة ·· يعطيها بقدر ما تعطيه ·· وياخذ منها بقدر ما تاخذ منه من حب ·· ولكن ذلك لا يعفيها من انها فتكت بطهارة شاب لم يكن قد انتهى من دراسته الثانوية ··!

امرأة مقلوبة ·· ولكنها ··!

وفى « الخيط الرفيع » يقدم « احسان » بطلا ·· يصفه بانه ذو راس كبير ·· ووجه نحيل ·· وجلده أصفر ·· وشفتان رقيقتان باهتتان ·· وعينان

● الام تنحاز الى صاحب الناب الازرق ... ضد ابنتها !!





واسعتان ، وقامة قصيرة ضئيلة ، ويـــدان صغيرتان ناعمتان .. تجاوز الثلاثين من عمره يحمل لقب دكتور في الاقتصاد .. وهو بهذا الوصف لو انه لم يصبح محبا كبيرا كما في الرواية لاصبح مجرما خطيرا ..!

فكل هذه الصفات تؤهله لان يكون مجرما مدبرا من كبار المجرمين .. وقد صمم على أن يكون « هذا المجرم » .. اكثر من مرة خلال الرواية .. ولكنه كان يصده عن ارتكاب الجريمة .. نقص كبير في غريزة المقاتلة عنده .. وخشية من القانون ورثها من تربيته في بيئته .. وعقل كبير يرغمه دائما على التفكير في نتيجة كل عمل يقوم به .. ورغم ذلك فان عجزه عن أن يكون مجرما تقليديا .. لم يمنعه من ان يفكر بطريقة اجرامية .. مستعملا في ارتكاب جريمته سلاحا نادرا .. سلاحا قلما يستعمله أحد .. إلا اذا كان من طرازه .. فقد راح يستغل عجزه ، وقهره ، ودمامته لاثارة الشفقة عند المرأة التي تمثلها .. واستطاع بالشفقة فقط أن يصل الى هدفه ..!

فقد كانت المرأة التي اختارها من دون النساء .. مغلوبة على امرها .. مطبوعة على البذل والسخاء في سبيل الآخرين .. تبذل من مالها لاهلها ، وتبذل قلبها لابيها ، وتبذل من جسدها للآخرين لكي تحصل على المال الذي تلقفه .. الا انها كانت تعيش في شعور دائم بانها منطقة نفوذ لاصحاب المال الذين يشترونها به ، وفي مقدمتهم « عبده بك » ...

وحينما كان يتردد على « عبده بك » لبعض مشاريعه وشركاته .. رآها وسخرت من منظـــره كانســـان .. وضحكت منه كرجل .. واجفلت حينما مد يده يصافحها .. ثم اعتذرت له بطبيعة البذل المطبوعة عليها ... وليلتها أحس بكل الضياع ، والاحتقار ، وحقد على كل الناس ، وفي مقدمتهم « عبده بك » .. ثم حم .. وتمنى لو خسر كل العلم الذي في رأسه ، واصبح [illegible] « كعبده بك » لكي يستمتع بها .. وشرب الخمر لاول مرة في حياته ، واوغل في شربها .. الى أن دهمته سيارة [illegible] ، ونقل الى المستشفى .. وعرفت هي [illegible] البذل .. ذهبت اليه تزوره وهي تحمل [illegible] ، مالطية .. ولدت في القاهرة [illegible] وشقيقها .. ولكن والدها أصبح عاطلا [illegible] .. وهي المسئولة عن اعالة الاسرة ..!

ولم يصدق عينيه .. ثم تأكد .. ثم لازمته شهرين في المستشفى ، وخرجت به الى سكنه .. فبكى من فرحته لا بالشفاء ، ولكن بوجودها معه .. وكـــانت تنفق عليه أحيانا .. تغمره بالهدايا التي تكسب مالها من « عبده بك » وغيره .. وتعيش معه في ســـكنه ترعاه .. حتى عاد الى عمله .. ولم تتركه .. كانت تنام في غرفة أعدتها لنفسها .. وذات ليلة التصق بها وهي تغادر الحمام .. وأراد ان يحصل منها على ما هو أكثر من الحنان والقبلة الجافة التي كانت تجود بها عليه .. فصدته ونهرته ، وقالت له في قسوة .. انها خلقت عليه وظيفة صديق .. ولن يكون رجلها يوما ما ، ولا يجب أن يعلم بهذا .. والا غادرته .. فاعتذر وبكى ، وتعلم كيف يكبت .. لكي تظل الى جواره .. وتفرغ للعمل ، ونشطت هي تبحث لـه بصلاتها عن شركات جديدة ، وتقيم له صداقات عديدة مع رجال أعمال جدد ، وتسخر له المال حتى استطاع أن يشترى مئات الاسهم في الشركات التي أصبح عضـوا في مجالس ادارتها ، ومستشارا لها ، واقبلت عليـه الدنيا .. فاقبلت عليه النساء .. ورأت ذلك فقالت له انها تغار عليه .. وكانت ليلة عاصفة .. قال لها فيها ان في اعماقه ما في أعماق الرجال .. وليس من حقها ان تغار عليه كرجل .. مادام لا يعني بالنسبة لها سوى الصديق .. وبعد أن اغلقت بابها على نفسها

عندما تصبح جريمة المرأة .. اضعاف جريمة الرجل !

.. خرجت اليه فى نصف الليل .. والتمست عليه غرفته ورجولته ...!

كانت تريده «شيئا» لا رجلا !

ولكنها منذ هذه الليلة .. بدأت ترتفع بطلباتها منه .. بدأت تأخذ منه .. كما تأخذ من غيره من « عبده بك » ، وتنفق على أهلها .. وتقيم الحفلات الصاخبة فى منزله لاصدقائها وصديقاتها .. وتجرى فى هذه الحفلات بفتاها الذى ارتضته رجلا .. وكان يراها تراقصه .. فيغض بصره ، ويدخل غرفة مكتبه ... وحاول ان ينبهها الى سلوكها فنهرته .. وذات ليلة عاد فوجدها فى المنزل ، وحولها هذه الشلة .. وكانت تعانق فتاها .. وبعد ان فتح الباب بمفتاحه وراى ذلك المنظر عاد فاغلقه ومضى .. وقالوا لها .. ان الاستاذ نقل .. لم مضى ، فلم تأبه .. واتصل بها تليفونيا من الفندق .. كان يبكى وكانت ثائرة .. قال لها انه يرجوها ان ترسل اليه ملابسه مع الخادم .. وقالت له سوف ترسلها .. قال لها انه يريدها زوجة وانه يريدها .. فقالت له .. لن يحدث ابدا ان تكون زوجى .. لانك لا تستحق .. قال لها .. انه سوف يرسل اليها النقود التى تريدها .. قالت له .. انها لا تريد منه شيئا .. فهى التى صنعته ، واغلقت السكة ..!

واخرجت ملابسه فمزقتها ، .. وحشرتها فى حقيبة بعثت بها اليه مع الخادم ..!

● ●

ان جريمة المرأة هنا اضعاف جريمة الرجل .. فبالرغم من انها تبدو فى الرواية ، وكانها ضحية جنى عليها الدكتور ، والمجتمع .. الا انها جانية ايضا .. وهى حينما زارته فى المستشفى ، واحست وقدرت ظروفه السيئة .. رأت فيه فريسة سهلة لممارسة « ساديتها » والمنطلقة الاولى فى حياتها لفرض نفوذها .. كان فى المقابل « عبده بك » يستعبدها ويسيطر عليها ، وهى فى البيت قد حددت مهمتها باستجلاب المال للصرف على الجميع .. دون تلقى كلمة شكر .. فهذا واجب تؤديه شاءت ام لم تشأ .. اما هذا المخلوق .. فقد أغراها بكل ضعفه ، بكل دمامته .. بضياعه .. بحبه لها ، وانصياعه لاوامرها ، بان تطلق فيه وعليه تسيدها المخزون ، والمكبوت .. ومارست فيه سلطاتها كأخت ، وكأم ، وكصديقة .. وكسيدة .. ليس فقط .. بل فرضت عليه ان تكون كل شىء فى حياته .. وكانت سعيدة بهذا .. سعيدة بانه يعتمد عليها فى كل شىء .. حتى نجاحه فى عمله .. لكى يسلم لها تسليما مطلقا .. محاولة ان تثبت فى كينونته أن اى خروج عليها ، يعد من الذنوب غير القابلة للغفران ، لانه يؤدى به الى الفشل والاحباط ..

لن تأخذ نفسك منى !

كانت حتى بعد ان التفت به .. تشترى وتستعبد .. كل بضعة أيام من رجل جديد .. ولم يسبق لهما ان تسيدت رجلا غيره .. ومن هنا كان حرصها عليه ، وتعلقها به ، واصرارها على ان يظل منطقة نفوذ لها فقط .. بالذات فى سبيل ذلك آخر قطرة فى دمائها .. وحتى عندما اعطته ما اعطته .. كان محاولة للابقاء عليه .. وقد رفضت ان يفلت من يدها فيضيع منها الذى اشترته باغلى ما تملك .. ورفضت زواجه بها حتى لا يتسيدها .. لقد كان المخلوق الوحيد الذى لا تشعر فى وجوده بالانسحاق .

ومن أجل ذلك هالها ، ان يحطم العبد قيده .. وان يخرج بمفرده من الطوق الذى صنعته له .. فاسرعت تلوذ بانانيتها .. تتحصن خلفها .. بعد ان اخفقت فى كل الحيل ، وفشلت فى كل الصور التى حاولت ان تستولى بها عليه .. فقد فشلت ان تكون أما له .. او اختا .. او صديقة .. فقد ارادها امرأة ، وهى حينما تكون امرأة .. تأنف وترفض ان يكون هذا هو رجلها ..؟

وحينما مزقت ملابسه .. كانت تنتقم من يقينه كل شعور يراوده بانه يصلح ، ان يكون رجلا لامرأة .. تريد أن تنتقم من كل الرجال مثل « عبده بك » فى شخصه ، مع أنها كانت تبدو فى اول امرها ، وكانها تصنع جميلا ، وتعيد بناء شخصية مهتمة .. واذا بها فى النهاية تذروه مع الرياح .. فى ذات اللحظة التى كان يعجز هو عليها ، بعرضه ان يرسل لها نقودا كل شهر ، واسرعت تضع سماعة التليفون .. قبل ان تصيبها طلقته الاخيرة ..!

هكذا بطلات « احسان عبد القدوس » وابطاله ... لا تستطيع ان تميز بين الجناة والمجنى عليهم .. فكلهم جناة وكلهم مجنى عليهم ..!!

عبد المنعم الجداوى

من تجارب الشخصية

الدرس الأول

كنت صغيرا أعيش في قرية من قرى الريف الجميل المليء بالحب والاخلاص .. وكان والدي رضوان مزارعا فقيرا يملك فدانين يزرعهما ليقتات منهما الفوج البالغ عددهم ثمانية افراد ، وكنت انا الثاني في الترتيب بين الابناء ، وكان يقع العبء الاكبر على والدي وأخي الكبير .. وكنت انا حينذاك في كتاب القرية اتعلم القراءة واحفظ القرآن، وعندما افرغ اذهب الى الحقل لمساعدة أخي ونعود سويا بعد الانتهاء من العمل وكان عمدة بلدنا عبد الغفار الذي يملك أكثر من مائة فدان وطاحونة ضخمة لطحن الغلال ، يذهب اليها كل اهل القرية وكانت الطاحونة تراها في الغدو والرواح بين الحين والآخر وكان والدي يذهب الى الشاي لبري للشيخ الذي يحرس لنا والذي طالما اوصاه بان يهتم بدراستي على اوسع نطاق لانه يرى كما يقول انني شديد الذكاء .. واهتم والدي بدراستي فانهيت الابتدائية ثم الثانوية حتى وصلت الى كلية الآداب وكنت دائما في كل اجازة صيف ، اذهب الى القرية وذات يوم بينما كنت عائدا في القطار من القاهرة قابلت صدفة مع العمدة (عبد الغفار) ودار بيننا حديث ذو شجون عن العلم والتعليم وانه يرغب في ان أعطي لابنته ووحيدته الغالية « رحاب » درسا في اللغة العربية لتقويتها في الثانوية وكان اللقاء .. وكان القدر كريما .. وحضرت رحاب فاذا بي اجدني امام هالة من الجمال الرائع فسرح خيالي بعيدا وسرعان ما تمالكت نفسي وتداركت الموقف وقلت بسرعة: اهلا فلنبدأ الآن أو بينا الدرس الاول .

المقام ... حبيبتي ... الطب معها ... عرفت منها انها تهوى الموسيقى والشعر والغناء .. وربطتنا الى العمر أيام من الزيارة القادمة يحمل الكتب عن الشعر الجديد القديم والحديث .. وكان قيثارة يقاتل في قلبي .. املا عجيبا وغريبا ..

وذات يوم وعلى غير العادة وانا ذاهب الى الحقل رأيتها .. نعم رأيتها .. كانت تسير رويدا رويدا متجهة نحو الطاحونة .. وسرعان ما اتجهت نحوها وصرت اناديها بصوت هامس .. فرمقتني هي الاخرى وقالت لي الى اين انت ذاهب يا استاذ عماد وقلت لها انها مجرد مصادفة ، وقالت لي ان والدها مريض وانها ذاهبة لانتظار حسابات الطاحونة ... الى ... وعلى ... ودون ... ذهبت معها ، ... الطريق بين ... بصورة ...

... ... مساعدتي ... الى الطاحونة ... الصمت ... لانني ما ان ... قابلتني التدريس حتى وجدته على غير عادته متجهم الوجه ، وقال لي وكأنه يطردني من منزله : لسنا في حاجة بعد اليوم لدروسك ؟ .. ولم يتوقف عند تلك الحد .. بل بدأ حملة ضد والدي وبدأ مضايقته في الري والزراعة !

وعندما تخرجت انتظرت تعييني بالتدريس في القرية لكنني فوجئت بتعييني في القاهرة فذهبت على مضض! وكان والدي المسكين لا يقدر على مجابهة ظلم العمدة .. ولم ينقذه من هذا الظلم غير مرضه المفاجىء واختطاف الموت له بسرعة غير متوقعة تركت في قلوبنا جروحا غائرة ..

وبعد وفاة والدي عدت الى القرية

وكان اهل القرية يهابون العمدة ويخافون بطشه .. وحانت ساعة الصفر وجاء دور الانتخابات للعمدة وتقدمت بكل ثقة وثبات امام العمدة وحصلت على ثقة الناخبين بنجاحي .. وامام هذا النجاح ازدادت الخصومة التي لم ينقذني منها الا مصرعه ذات يوم نتيجة خصومة قديمة بينه وبين احدى العائلات في القرية .. ومضت ايام الحداد بطيلة قاسية .. وكنت فيها التقي برحاب لالهامس عيوننا برنات من الحزن .. ومع الايام وبعد التئام الجروح بدأت الحياة تدب من جديد في قلبينا ، وشاركتني بيت الزوجية .. واصبحت زوجا لاول من خفق بحبها قلبي عندما سمعت صوتها العذب اثناء الدرس الاول !

يحيى أحمد ملاش

د. يسرى محمد على

الجديد في عالم الطب

عقار جديد ضد البدانة

من المؤكد ان ازالة البدانة لا يمكن ان تتم بين ليلة ويوم ، بل تتطلب جهدا ومثابرة ربما تمتد الى شهور طويلة . اما اذا ما انحصر هؤلاء الذين يعانون من السمنة في اتباع الوسائل العاجلة لمقاومتها فان ذلك سيؤدي حتما الى نتائج عكسية وقد يتعرض هؤلاء البدناء الى الاصابة في الاجهزة القلبية المعتلة .

ان الامر يتطلب وعيا وادراكا وحكمة وتبصرا في معالجة الامور ، ثم اتباع نظام غذائي مدروس ـ فالرغبة المشتركة بين المصاب بالبدانة والطبيب المعالج هي السرعة في التخلص من تلك الآفة ـ بلهفة المصاب بالسمنة بالتخلص منها ، ورغبة الطبيب في الاستجابة لهذه الرغبة ـ ويؤدي ذلك في معظم الاحيان الى نتائج عكسية .

طبعا اخطار السمنة معروفة ، ارتفاع ضغط الدم ، الاصابة بمرض السكر ، الاصابة بداء المفاصل ، الاصابة بضعف القلب ، صعوبة استعادة النشاط بعد العمليات الجراحية قبل فترة طويلة .

ولهذا كله يتوجب على الطبيب تكرار هذه الاخطار امام مريضه لكي يقتنع بجدوى العلاج المقترح عليه ويوافق على اتباعه .

والعلاج الذي يعد المريض بالتخلص من بدانته بسرعة غير صادق ، لان اتباع نظام غذائي قاس وعنيف يؤدي حتما الى اضعاف القلب وربما يودي بحياة المريض . اما اذا لجأ المصاب الى تنظيم غذائه بطريقة مدروسة وقام ببعض التمارين الرياضية اليومية ، علما بان هذا ايضا يتطلب مثابرة وصبرا قد يطول الى شهور . فانه يساعد جسمه في التخلص من النفايا بطريقة افضل واسرع ويقود ذلك الى استعادة اللياقة والتخلص من البدانة .

اما اذا تعرضنا هنا الى استعمال العقاقير المعروفة حتى الآن فانها جميعا تعمل بتأثيرها المباشر على الجهاز العصبي المركزي الشيء الذي يقود الى قلة الشهية والامتناع عن الاكل . ولكن هذه العقاقير تؤدي من ناحية اخرى الى مجموعة من الاعراض الجانبية غير المرغوب فيها ومن هذه الاعراض ، التعلق بالدواء Drug dependence

واثارة الجهاز العصبي فوق طاقته Over stimulation

وبالاضافة الى دوار الراس والغثيان .

اما العقار الجديد والذي نحن بصدد ذكره هنا فهو لا يعمل بتأثيره على الجهاز العصبي المركزي بل يمنع تكوين الشحم وترسيبه في الجسم ـ ويرجع البحث في هذه المادة الى تسع سنوات خلت ـ وتستخلص من فاكهة المانجو الهندية المعروفة باسم كارسينيا كامبوغيا Carcinia cambogia والمادة من مشتقات حامض الليمونيك وتعرف باسم هايدروكسي سيتريت Hydroxy citrate

وقد جربت هذه المادة في الوقت الحالي على الحيوان وادت الى نتائج مرضية والبحث جار لتوظيفها في خدمة البشرية ولمصلحة البدينين الذين يقسون على انفسهم باتباع الاساليب القديمة غير المجدية .

العلوم في خدمة البشرية

ليكسي سكوب

هو اسم الجهاز الجديد للتصوير بالاشعة . فقد توصل الدكتور لو « ا » يين » الى اكتشاف اصغر جهاز للاشعة في حجم جهاز التصوير الشمسي (الكميرا) والجهاز يعمل على بطارية جافة على شاكلة التي تستعمل في راديو الترانزستور .

يمتاز الاكتشاف الجديد بصغر حجمه وخفة وزنه حيث يمكن ان يحمل بيد واحدة ويسهل التنقل به .

وقد اعلنت دوائر ابحاث الفضاء الامريكية التي ينتمي اليها الدكتور « يين » ان ليكسي سكوب لا يقتصر على الاستعمال في مجال الفضاء بل يمكن الانتفاع منه في مجالات الطب وطب الاسنان والصناعة .

فبواسطته يمكن تصوير الاعضاء المصابة للرياضيين وهم في ميادين اللعب دون تعريضهم لمشقة التنقل الى المستشفى وما يترتب على ذلك من الام في حالة الكسور .

والمبالغة في دقة هذا الجهاز الجديد تكمن في امكانية استعماله لتصوير مواضع تسرب الغاز من الانابيب الشيء الذي يصعب رؤيته بالعين المجردة .

هذا بالاضافة الى وجود وحدة في هذه الالة تمكن من رؤية الاجسام في الظلام الدامس يعكسها على شاشة صغيرة من مادة الفسفور . هي جزء من الجهاز .

ماذا تعرف عن

فحص الدم



في الشهر الذي مضى . احضرت لي ام طفلها البالغ من العمر احدى عشرة سنة ، لانه لم يذق النوم طوال الليل وهو يعاني من الام في البطن ولم يتوقف عن القيء .

بادرتني السيدة ـ بانها لا ترغب في اي دواء لابنها قبل ان اطلب له صورة بالاشعة لمعرفة داء بطنه ـ فقد حملته الى قسم الطوارىء الليلة الماضية واعطي دواء لم يفد منه شيئا .

وبعد الكشف على الطفل المريض وفحصه ـ حاولت اقناع السيدة بان ما يحتاجه ابنها ليس صورة بالاشعة ولكن فحص للبراز والدم ـ تفهمت والدة الطفل وجوب

أطلس لأمراض الأنف والأذن والحنجرة


د. شوقي الصيرفي

● الدكتور شوقي الصيرفي ، رئيس قسم امراض الانف والاذن والحنجرة في وزارة الصحة بقطر ، عرف بين مرضاه وزملائه بدماثة الخلق والهدوء والاقدام على معالجة كل الحالات بطريقة علمية حديثة ـ وقد عكف الدكتور الصيرفي على البحث والدراسة في مجال لامراض الانف والاذن الحنجرة ، لتقديم عملا علميا جليلا باصداره اطلسا لامراض الانف والاذن الحنجرة .

جمع الدكتور شوقي عصارة تجاربه واعماله ودراساته في مجلد نشرته وزارة الصحة القطرية ، والمجلد عبارة عن مرجع مصور للباحثين في هذا المجال ولطلاب الطب والاطباء كافة .



الصورة هنا للمخ البشري ـ مصغرة بثلث الحجم الطبيعي ـ وقد وضعت الصورة هنا أمام خلفية من خلايا الترانزستور ، وذلك لتذكير القارىء بأن في مخ الانسان من الخلايا ما يفوق قطع الترانزستور الموجودة في جميع الحاسبات الالكترونية في العالم ـ هذا وتتصل كل خلية بمئات او ألوف من الخلايا المجاورة ، لتوصل اليها او تحمل منها رسائل معقدة ، يعمل بموجبها الجسم البشري على تنفيذ ما يمليه عليه المخ .

فحص البراز ولكن » ما علاقة الدم بمرض البطن يا دكتور « هكذا قالت معترضة على اخذ عينة من دم الطفل .

ماذا تعرف انت يا صديقي القارىء عن فحص الدم وعن تركيب الدم البشري ؟

ان كل قطرة من الدم اشبه بعالم مصغر ، فهي مركبة من عناصر يمكن تقسيمها الى قسمين : العناصر « الثقيلة » ثم « البلازما » الشبيهة بمادة سائلة تحتوي الكريات .

اذا وضع مقدار من الدم في وعاء مع مادة خاصة تمنعه من التجلط فان المادة الخفيفة « البلازما » تبقى في الجزء الاعلى من الوعاء ـ وفي الجزء الاسفل تترسب العناصر « الثقيلة » اي الكريات الحمراء والبيضاء ثم اللويحات .

ان المادة السائلية ، اي البلازما مكلفة بنقل الكريات في الاوعية الدموية ـ وكل ميليلتر مكعب من الدم يحتوي خمسة ملايين كرية حمراء ـ وتعيش الكرية الحمراء مائة وعشرين يوما ثم تتلف ، لكن الطحال يستخلص منها مادة الحديد ويخزنه لاعطائه للكريات الجديدة . وفي كل دقيقة ينتج نخاع العظام ١٥٠ مليار كرية حمراء .

اما الكريات البيضاء فان عددها اقل من الكريات الحمراء ، ففدى انسان عادي سليم البدن يبلغ عددها نحو ٣٥ مليار كرية وينتج نخاع العظم منها سبعة ملايين كرية في كل دقيقة . ولا تعيش الكريات البيضاء سوى ثلاثة أيام ثم تفنى .

ان وظيفة الكريات البيضاء الاساسية هي مكافحة الجراثيم المرضية التي تلج جسم الانسان ومقاتلتها . ولذلك فان عددها يزداد في حالة الاصابة بمرض جرثومي .

والطبيب او فني المعامل الذي يأخذ عينة من دم المريض ـ يصنع منها فيلما على صفحة من الزجاج ثم ينظرها تحت المجهر ، يؤدي عملا هاما وحيويا لمساعدة الطبيب في تشخيص المرض ، فهو يقوم بعد الكريات البيضاء في كل ملليمتر مربع من فيلم الدم . وبذلك يعطي الطبيب صورة كاملة اذا ما كان عدد الكريات طبيعيا ام انها ازدادت . ويكون ذلك غالبا في حالة وجود التهاب داخل الجسم تسبب عن وجود جراثيم في احد الاعضاء غير المرئية .

٢٥ ـ سرى

طرائف علمية

أنثى الأخطبوط.. لماذا لا تعمر؟

الحقيقة المثيرة هي ان انثى الاخطبوط تضع عددا من البيض قد يصل الى مائة وخمسين الفا ثم تفنى .. وهي لا تفنى بمجرد ان تبيض ، ولكنها تمتنع عن الاكل حتى تموت جوعا . هذه الحقيقة كانت حافزا للعالم الامريكي (ودنسكي) للبحث في هذا الحيوان الغريب .. فاجرى عملية جراحية طريفة حيث قام باستئصال الغدد الجنسية لانثى الاخطبوط بعد أن وضعت تلك الكمية الهائلة من البيض ـ وتوجد هذه الغدد في مكان بين عيني الاخطبوط ، الشيء الذي قد يعرض حياة الحيوان الى الخطر اثناء اجراء العملية ـ ولكنها ستموت على كل حال ، هكذا كان رد العالم ودنسكي عندما اعتزم انقاذها .



وكانت المفاجأة بعد العملية الجراحية .. حيث اقبلت انثى الاخطبوط على التهام كميات وافرة من الطعام . حيث زاد وزنها ـ وعاشت اربعة اشهر اخرى ـ والمعروف أن متوسط عمر الاخطبوط لا يتعدى سنة واحدة وكانت تمارس في هذا العمر الاضافي جميع اوجه حياتها بما في ذلك اللقاح ولكن مع الحد من الانجاب .

مزارع البترول

ملفن كالفن

الكيميائي المعروف والحائز على جائزة نوبل للعلوم الكيمائية في عام ١٩٦١ نتيجة بحثه في التخليق الضوئي

يبحث هذه الايام عن دراسة طريفة . فقد زرع كالفن نباتا ينتج مادة « الهايدروكاربون » والتي يمكن استخدامها تماما كالفحم الحجري والبترول في توليد الطاقة . يقول العالم الامريكي انه تمكن من زراعة ما يوازي عشرة براميل من البترول الخام لكل فدان وذلك في فترة سبعة اشهر ، ويكلف ذلك عشرين دولارا امريكيا للبرميل ـ اي بزيادة سبعة دولارات عن السعر العالي للبترول الخام .

ويؤكد كالفن أن هناك ميزة كبيرة لهذا النبات حيث انه يمتص من الجو عند نموه كل الكميات من ثاني اكسيد الكربون التي تتولد عند حرقه لانتاج مادة « الهايدروكاربون » . ترى هل يواصل العلماء ابحاثهم لايجاد مصادر جديدة من الطاقة بعد البترول والطاقة الشمسية والنووية في الوقت الذي يهدد الزحف الصحراوي وشح مصادر الغذاء الجنس البشري بالفناء .

أنت تسأل والطبيب يجيب

السرطان وصبغة الشعر

● هل صحيح ما ينشر في بعض الصحف والمجلات الاجنبية من أن صبغة الشعر تسبب السرطان ، مع العلم بأنني زوجة وأم لطفلتين ـ اعتدت على صبغ شعري طوال خمس سنوات مضت ولم أشعر بأي مرض ولا حتى تساقط في الشعر ؟

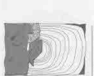
ن٠ ه٠ من القاهرة

ـ كل ما ورد الى وقتنا هذا من مسببات السرطان ما هو الا افتراض او تخمين • فالعلم لم يتوصل الى المسبب المباشر لهذا الداء العضال • اما بالنسبة لصبغة الشعر ـ فالمعروف انها تحتوى بعض المواد الكيماوية التى يشكك في انها تسبب السرطان لبعض حيوانات البحوث الطبية وبالتالي الانسان فمن رأيي ان تبتعدي عن كل ما هو مشكوك في امره من مسببات السرطان حتى يثبت العكس •

الضوضاء وضغط الدم

● ابلغ من العمر الثامنة والثلاثين ولا يزيد وزني عن ستين كيلو جراما ـ لم اشعر طوال حياتي بأي مرض استدعى ذهابي لطبيب • ولكن بعد الكشف الروتيني الإجباري طبيب المصنع الذي أعمل فيه انى أعاني من ارتفاع ضغط الدم ، فهل للضوضاء أثر في ضغط الدم علما بأن المصنع الذي أعمل فيه يقوم بصناعة الاواني من الالمنيوم وعملي فيه ضوضاء فوق قدرة احتمالي ؟

ع٠ الزيادي ـ بغداد



ـ الضوضاء قد تكـــون عاملا من العوامل المساعدة على ارتفاع ضغط الدم بتأثيرها النفسي ـ فوجود الشخص في مجال يتميز بضوضاء عاليـــة ولوقات طويلة قد يساعد في ارتفاع ضغط الدم عند الاشـــخاص ذوي القابلية والاستعداد

ولا يكتفي بفحص واحد لتشخيص ضغط الدم بل ينصح بتكرار الفحص وفي اوضاع مختلفة كالجلوس والرقود والوقوف • وقد يكون الارتفـــاع البسيط الذي لا يسبب اي اعراض طبيعيا بالوراثة وقد لا يحتـــاج الى علاج •

انصحك بالمداومة على عـــرض نفسك لاخصائي الامراض الباطنية حتى تطمئن الى ضغط دمك •

● ● ●

العلماء ورثة الانبياء

قال صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريق علم سهل له طريقا من طرق الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم ، وان السموات والارض والحوت في الماء لتدعو له ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر • العلماء هم ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر ••• »

« صدق رسول الله »

أعلنت الامم المتحدة عن اختيار عام ١٩٧٨ عاما دوليا للطفل •• وهذا الاعلان له معنى كبير يتمثل فى ان الطفل فى العالم لم يأخذ بعد حقه الطبيعى فى الحياة •

وبينما تنعقد المؤتمرات فى بعض الدول ليتباحث المجتمعون فى كيفية ايجاد اللعبة التى تنمى شخصية الطفل ، او لاختيار اسلوب المعاملة الذى لا يؤثر فى ذكائه •• نجد ان المئات بل الالوف من الاطفال فى الهند •• وافريقيا •• ومناطق كثيرة من العالم الثالث لا يجدون ما يقتاتون به •• ويموتون جوعا ، وآخرون ليس لهم أماكن فى المدارس ، يرافقهم الجهل مدى الحياة •••

وقطعا •• ستعقد الاجتماعات والمؤتمرات فى الامم المتحدة وغيرها من البلدان لدراسة أحوال الاطفال ومحاولة رفع مستواهم •• وبالطبع ستصدر التوصيات النهائية فى آخر العام •• تأمل ان تصل بعض هذه التوصيات الى هؤلاء الاطفال البؤساء الذين يتطلعون لكسرة من الخبز ، او ثوب يقيهم البرد ، او مكان فى مدرسة •• والا تقف هذه التوصيات عند حد الامنيات الطيبة لهم فقط !!

• نادية •



بدون تعليق

إعرفى دينك ...... تسلمى من الأمراض

الدين الاسلامى كرم الانسان ، ووفر له سبل الوقاية فى الدنيا من الامراض •• ولو علمت قواعد الدين وانتهجها بين افراد اسرتك ، لاستطعت حماية اولادك من كثير من المخاطر التى قد تحدق بهم دون أن يشعروا •• فمثلا ••

اول الاشياء الوضوء خمس مرات فى اليوم ، فى سهولته كفيل بتطهير الجسم وازالة ما يلحق به من ميكروبات •• وفى أحدث تقارير



الهيئة الصحية العالمية ، اثبتت ان الاغتسال بالماء الجارى فى حالات الوباء يزيل ٩٠٪ من الميكروبات العالقة بالجسم •

والوضوء لا يترك مكانا ظاهرا يتعرض للاتربة والميكروبات الا ويطهره ، مثل المبتين ، والاذنين ، والشعر •• وفى الاحاديث النبوية • ان غسيل الفم يزيل الشيطان ، وان تقليم الاظافر يطهرها • •• وفى

كيف يستفيد الأطفال من قراءة القصص

حتى يقبل الاطفال على قراءة القصص ، لابد من تواجد عنصرى الشكل والمضمون . فاذا كان الشكل غير جذاب ، فالصغير لن يلجأ الى قراءة القصص ، ولكن في النهاية يبقى المضمون أعمق اثرا ... هذه المعلومات .. توصلت اليها ، كافية رمضان ، معيدة اللغة العربية بجامعة الكويت ، من خلال رسالة الدكتوراه التى تعدها حول « تقويم مضمون قصص الاطفال » . والباحثة حاصلة على ماجستير في علم النفس التربوى .

القصة .. والطفل

تقول الباحثة انه لابد من وجود تأثير للقصة على الاطفال سواء بالايجاب او السلبية ، فهو يتأثر نفسيا وثقافيا وتربويا بعد قراءته لاية قصة .

تظهر الآثار السلبية بوضوح



في شكل الخوف والقلق ، والتي ... بعد سماعه لحكايات الساحرة ، وعجيبة البحر ، والعفريت .. وغيرها .. ومما قد يعوده على عادات غير مرغوب فيها .

أما الآثار الايجابية فتتمثل في تنمية ثروة الطفل اللغوية ، وامداده بالمعلومات المفيدة المختلفة .. كما أن قراءة القصة عنصر حيوى لقضاء وقت الفراغ بما هو مفيد ونافع .. كما تساعد القصص على تحلى الصغير بالقيم الدينية والخلقية والتربوية ، بالاضافة الى تنمية ذوقه واحساسه بالجمال .. فجوانب القصة زاخرة ومفيدة .. الى ما لا نهاية .

ضياع الطفل العربي

توصلت الباحثة في دراستها الى أن الاهتمام بالطفل العربى يكاد يكون معدوما ، وان وجد فهو محدود للغاية ، والقصص غير موجهة ، فهى أحيانا تساعد الطفل على تصديق الخرافات ، وتعوده على الاتكال والسلبية .

وفي نهاية بحثها ، طالبت الباحثة بضرورة تغيير مفهوم القصة العربية للاطفال والاتجاه الى العلمية ، حتى تتماشى مع العصر الذى يعيش فيه أطفالنا ، ولا يجد الطفل نفسه منفصلا عن مجتمعه .

هذا وضوح من أن الميكروبات تنتقل عن طريق الفم ، وبواسطة الاطفال .

والاسلام اذا عملت في المطبخ لا تنسى امر الرسول الكريم في احاديثه بتغطية الطعام والشراب وقاية من الامراض .

يصح الاسلام كذلك بالابتعاد عن المرضى ، حتى لا تنتقل الميكروبات من المريض الى السليم عن طريق الرذاذ .

إنما الصيام سواء في شهر رمضان ، او في بعض المناسبات ففيه راحة للجسم والنفس ، ويوفر الوقاية الكاملة من امراض عديدة ، كما يساعد على تكوين الشخصية المتكاملة التى لا تهتز امام الشدائد ولا تندفع وراء مكسب ، كما ان في الصيام راحة للبدن ، ولاعضاء الجسم ليس فقط للامتناع عن الطعام والشراب ، ولكن لتوقيت موعدى الافطار والامساك .. مما يتيح لاعضاء الجسم ان تنضبط ايقاعاتها ، الكثيرا ما تتسبب مطالب الحياة في اضطراب مواعيد الطعام مما يتسبب عنه أمراض في المعدة والامعاء .. ولو رجعنا الى اخر اكتشافات العلم الحديث لوجدنا ان الصيام علاج لكثير من الامراض مثل امراض الجهاز الهضمى ، والدورة الدموية ، واختلال الغدد الصماء .

اخيرا يا سيدتى : ان في مبادىء الدين الاسلامى الحنيف ، ما يحميك ويحمى افراد اسرتك من الاصابة بالامراض .



نساء دخلن التاريخ

أسماء بنت أبي بكر

أسلمت بعد سبع عشرة شخصا دخلوا في الاسلام ، فهي معدودة من السابقين الاولين ، وكانت حريصة على دينها ، متفقهة فيه ، حتى روت عن الرسول (ص) خمسة وستين حديثا • وكانت مثلا في الايثار والسخاء حتى قيل انها لا تبقي شيئا الى الغد •

وفي ليلة خروج ابيها والرسول الكريم مهاجرين ، كانت تعلم ساعة السفر في خروجهما ، ولما اكتشف المشركون هجرتهما ، جاء ابو جهل اللعين يسأل « أسماء » عن أبيها ووجهته ، فلفت علمها بمكانه ، حتى استشاط غضبا ، ولطمها عدة لطمات ، أطارت قرطها من اذنها ، وأسالت دما •• ومع ذلك لم تبال •

وكانت أسماء تعرض نفسها للاخطار ، فهي تحمل الطعام والشراب والاخبار الى المهاجرين المختبئين في غار ثور •• وعند رحيلهما لم تجد ما تربط به الامتعة لهما سوى نطاقها ، فشقته وربطتها به ، وعندئذ قال لها الرسول « ابدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة » •

اشتركت أسماء في غزوة « اليرموك » مع زوجها الزبير بن العوام • هاجرت وكانت حاملا ، وانجبت بعد قليل عبد الله بن الزبير •• فكان اول مولود في الاسلام بعد الهجرة ، أنبته الله نباتا حسنا وكان يلازم المسجد حتى سموه « حمامة الحرم » • ولم يكن ينازعه احد في صفات ثلاث : العبادة •• والبلاغة •• والشجاعة • كان شجاعا وله مواقف مشهودة ، حيث غزا في اليرموك والقسطنطينية والمغرب ، وخاض معارك شرسة ، وتوالت عليه صوامل كثيرة أحس معها بدنو أجله ، ولم يخف على نفسه ، بل خاف على امه العجوز « اسماء » ، التي بلغت المائة عمر وقال لها : اخاف ان يمثل الاعداء بجثتي بعد موتي يا اماه ، فأجابته في ثبات مطمئن : يا بني ان الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها •• ثم دعت له وقالت : اللهم قد سلمته لامرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فاثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين •

جاءت ساعة الفراق •• فقبل عبد الله يديها ورأسها •• وخرج من عندها وهي تكرر له الدعوات ونال الشهادة •• فما جزعت امه بل صبرت ، ولما صلبه أعداؤه ، وطالت المدة ، مرت عليه وقالت في كبريائ :

« اما آن لهذا الفارس أن يترجل »•

صدرت الجملة قوية وبايمان صادق ، من أم ثكلى ، ولكنها مؤمنة بان وفاة ابنها في سبيل الله انما هو فضل وتكريم من الله سبحانه وتعالى • وتوفيت « أسماء » بعد وفاة ابنها بايام عديدة •• عليها رضوان الله •

طبيبة مصرية تكتشف أملا جديدا •• لعقم الرجال

قدمت الدكتورة عايدة عبد العظيم استاذة التحاليل المساعد بكلية الطب بجمهورية مصر العربية بحثا طبيا يمنح المصابين بالعقم املا جديدا لعلاج بعض حالات العقم عند الرجال •

يدور البحث حول احد اسباب العقم وهو التصاق الحيوانات المنوية ، مما يحد من حركة الحيوان المنوي في رحلة الاخصاب •• هذا غير الاسباب المعروفة مثل التهاب الجهاز البولي ، والبلهارسيا ، وضعف الحيوانات •

ومن تصنيف البروتينات المناعية الموجودة في الدم والسائل المنوي يشير البحث الجديد الذي اجرته الدكتورة عايدة ، الى ارتفاع نسبتها في الرجال العقم عنها في الطبيعيين ، وبقياس هذه الاجسام الى جانب التحاليل التقليدية ، فان البحث يخلق بذلك أملا جديدا في التغلب على مشكلة الالتصاقات •• ويصبح علاجها سهلا •

بسرعة !

● اذا كانت شعلة النار في البوتاجاز لونها ازرق ، فهي السليمة ، اما اذا كان في طرفها لون احمر ، فاحرصي على اصلاحه حتى يعطي اللون الازرق • ان ذلك يوفر في الغاز ، ويمنحك النتيجة المطلوبة لطهي الطعام في الوقت المضبوط •

● اذا فرغ أصبع الروج ، فلا تلقي بالانبوبة المعدنية أو البلاستيك • انها تصبح ذات فائدة اذا نظفتها من الداخل ، ووضعت بها قطعة من الاسفنج المبللة لترطيب ظروف الخطابات ، ولصقها بطريقة نظيفة •

النظارة تزيدك جمالا



احيانا ••• تكون الحاجة الى وضع نظارات طبية ضرورية •• وفى حالات متعددة نرى اشخاصا يكرهون ارتداءها ويكون شعورهم تجاهها شعورا عدوانيا ، لاحساسهم ان النظارة ربما تسىء الى شكل الوجه •

واذا كانت هذه احاسيس بعض الرجال تجاه « النظارة » •• فما هو اذن شعور النساء ؟

خطورة حقيقية

ان المــــرأة التى ترفض لبس « النظارة » الطبية خوفا على جمالها بالرغم من حاجتها اليها •• هنا •• تكمن الخطورة الحقيقية على جمالها •• فالمرأة ذات النظر الضعيف سيزداد ضيق عينيها بمرور الوقت ، وستظهر مبكرا تجاعيد حول الزاوية الخارجية للعين ، وايضا يمكن ان تحدث تلك التجاعيد حتى للاطفــــال الصغار ، وترهق عيونهم •

فوائد النظارة

فى الحقيقة ان لبس النظــــارات له فوائد عديدة حتى لمن لا يستعملن النظارات الطبيــــة ، فهى ضرورية لمقاومة اشعة الشمس • كما تفيد فى مقاومة الهواء والوقاية من الاتربة والرمال ، وبعض النساء يعتبرن بعض « النظارة » تكملة للاناقة • والموضة اتاحت للمرأة امكانية تغيير موديل « النظارة » من وقت لآخر سواء الخاصة بالشمس او النظارة الطبية • وفى احيان كثيرة تخصص بعض النساء « نظارة » خاصة للصباح واخـــرى للمساء • وعموما فان طبيب العيون هو الذى يحدد نوع « النظـــارة » المطلوبة حسب حالة كل عين •

كيف تختارينها ؟

الاحساس بهذا الشيء الذى يتوسط وجهك ، يجب ان يكون احساســـا راضيا ، لا تمقتيها ، بل اعتبريهـــا مكملة لاناقتك ، فضلا عن انها تعطى للعيون منظرا جميلا •

وعند اختيارك للنظارة ، ستحارين طبعا فى كيفية انتقاء لون الشنبر •• اجعلى لون عينيك وشعرك هما الدليل الذى يقودك لهذا الاختيار •• انتقى لونا يتماشى او يناقض الوانهما •• واغلب الاطـــــارات المصنوعة من البلاستيك تتيح لك اختيار اللون من بين الوان متعددة ••

ولكن احترسى •• لا تنتقى نظارة ذات اطارات عالية ، وتعلو فـــوق حاجبيك وتخفيهما •• ايضا ابتعدى عن الالوان الكئيبة التى تعطى اكتئابا للوجه ، وايضا الوان الزجاج الغامقة التى تخفى العين ، وتتناقض مـــع ماكياج وجهك •

● وعموما •• اذا كان لون شعرك او عينيك كستنائيا يمكنك ارتداء نظارة لونها ذهبى ، او اصفر ، او اخضر •

● للعيون والشعـــر الاســـود اختارى شنبرا اسود او اصـــفر او احمر او ابيض •

● للعيون الفاتحة والشعر الاصفر انتقى شنبرا بنيا او اسودا او رماديا او ازرقا •

● لكبار السن ذوات الشعـــر الرمادى او الفضى ، يفضل الشـــنبر ذو اللون الاصفر ، او الرمادى لانـــه يعطى طابع الوقار •

ماكياجك مع النظارة

احرصى على ان تتماشى الـــوان ماكياجك مع اطار نظارتك فمثـــلا اذا كانت نظارتك تميل الى الازرق ، ضعى ماكياجا يميل الى اللون الرمادى او البنى ، اما اذا كان لونها فضيا او ذهبيا ، ضعى ماكياجا يميل الى الالوان الفاتحة •

واختارى النظارة التى يتـــلاءم اطارها مع وجهك سواء أكان مستديرا ، او مربعا •• واحرصى على الاحتفاظ بحافظة نظارتك معك فى كل مكـــان تذهبين اليه ، لحمايتها من الكسر والخربشة ••

واخيرا ••• اعتبرى ان النظـــارة من مكملات شـــخصيتك ووجهك •• وتزيدك جمالا •••



زكي مبارك بين معاناة الفنان وشقاء الانسان


حسين عويس

منذ ٣٦ عاما فقد العالم العربي مفكرا وفيلسوفا ثائرا لا يعرف الهدوء والاستقرار .. فقد توفي زكي مبارك في ٢٣ يناير عام ١٩٥٢ تاركا خلفه ثروة حية في العلم والاجتهاد في الرأي ..

واذا كان زكي مبارك ـ كما عرفناه ـ صاحب مزاج مثقف ، فهو ايضا صاحب ذوق فني متميز .. فقد كانت جميع كتاباته ومن جملتها كتابه العظيم « النثر الفني في القرن الرابع » يغلب عليها مزاج الفنان قبل رأي العالم الدارس الذي يرسم الافكار في اطار خطة يفسر بها المواثق والظواهر ويخرج من المقدمات الفرضية الى النتائج الصادقة ..

الانتماء للوطن

واصل الامر عند زكي مبارك انه خلق شاعرا ، ولكن الطموح واختيار الطريق الاصعب جعله ينقلب على نشاطه الادبي الى الدراسات والتحقيق ، على انه للحق نقول ان زكي مبارك ظل في مقولته وملاحظاته ومطارحاته الفكرية فنانا يزخر بكل ما للفن والذوق من نبيل واخلاص فقد كان هذا الرجل بكل ابعاده الثقافية والاجتماعية والنفسية يمثل ظاهرة هامة في حياتنا العربية ، الادبية والاجتماعية .

فهو من الوجهة الاجتماعية ابن طبقة تشكل جماهير الشعب العربي في مصر ، ينتهي في اصوله النسبية الى قبيلة عربية ، العبسوية ، كانوا من ذوي الحدة والبيان في السنتهم فكان فيه اباء العربي وشممه كما كان يتحلى بصبر الفلاح وقوة احتماله وتحمله وانتمائه الى ارض وطنه وجماعته بتقاليدها واخلاقياتها .

ومن الوجهة الثقافية انه جمع بين الجديد والقديم : الجديد من الثقافة الغربية المتطورة مع الوقوف على احدث النظريات في الادب والنقد ، والقديم العربي بما لهذا القديم من عراقة التراث واصالته فكان له من امتزاجهما في فكره ووجدانه شخصية متميزة .

المزاج الصريح

على ان الذي يريد ان يفهم زكي مبارك على حقيقته لابد ان ينظر اليه مرة من خلال عقله والاخرى من خلال مزاجه .. عقل العالم ومزاج الفنان .. لا اريد ان اقول ان هناك فرقا واضحا او تناقضا بين شخصية العالم ومزاج الفنان .. لا وانما هما يسيران في خطين متوازيين ولكنهما ينبعان من مصدر واحد وان كانا مختلفين في الاسلوب والظاهر ثم النتيجة


زكي مبارك

• المزاج الصريح الحاد جلب على زكي مبارك النكبات !
• ضاعت الدنيا من بين يديه .. فكانت كلماته موجعة !

وهذا هو السر في أن كتاباته حملت بكل الأبعاد الذاتية للشخصية كاتبها من نزوع وحماس وثورة وقبول ورفض وانسجام وانفعال وانبهار وانحياز وعتاب .. ثم قضية وشكوى وأحيانا توجع . كانت تجده يناقش خصمه في الرأي بحقه وعمله ومعارفه فاذا به يبدي شديد أسفه لفقدان صداقة هذا الخصم ، واذا به مرة أخرى يثور عليه ويتهمه بالجناية على تراثه وابيه وامته .. ثم يشكو الزمان واهله وما حل به على ايديهم . كل هذا الحشد من الانفعالات في الوانها المختلفة يجده القارىء في مجموع ما انتج زكي مبارك من كتابات .

ولقد جر هذا المزاج الصريح الحاد على زكي مبارك النكبات حتى عيا لخصومه أن ينالوه . أجل ان الصراحة والشجاعة وحدة المزاج من الامور التي قد تنال من صاحبها قبل ان تنال من اعدائها حين لا يكون لصاحب مثل هذا المزاج نصير حق يدفع عنه ، وحين تكون المبادىء في امتحان عسير لا تحقق غالبا نجاحها المنشود .

كان زكي مبارك في صراحته واخلاصه وتجرده في قلمه وفكره ، في معاملته وسلوكه ، حتى في علاقاته الاجتماعية وارتباطاته الاسرية . وكل من يقرأ زكي مبارك في بحوثه العلمية يقع على نفسه وشخصه وروحه وكأنه يقرأ شعره الذاتي بل أخص هذا الشعر الذاتي .

كانت نفسه صفحة بيضاء تلقى كل ما يقع عليها من مثير أو حسن لتجد له صدى من نغم حزين او ثورة عارمة هلاكا بالفرح والابتهاج او جأرا بالشكوى من الظلم والاضطهاد . لم يكن عند زكي مبارك ما يخفيه لانه لا يوجد شيء يستحق الاخفاء في نظره ، ولانه لم يكن يجبن عن الظهار فقد كان يغضب فيتحدى ويثور مهما تكن المواجهة حادة وعنيفة . وكان يعترف بأخطائه وكأنما يباهي بضعف نفسه البشرية .

الاعتراف بالحس

على أن زكي مبارك لا يحجب الحس لانه لا يراه طريقا للفسلفة بذاته أو مذهب ميزوني ، ولكنه يتقرب به ، وهو لا يدعو اليه ، وانما يشير الى [illegible] نفسه باعتباره موجودا وبحوية [illegible] من طبيعة الانسان [illegible] ان الشهوات [illegible] زكي مبارك من [illegible] على [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] التوافق هذا يعني [illegible] على الشهور بكلمة الحق [illegible]

ولنستمع الى رأيه الجديد الطريف في تفسير العفاف يقول : ان القوي هو الذي يمكن أن يتصف بالعفة لان العفة هي السيطرة على القوة الجبارة . أما عفاف العاجز عن الفجور فهو لا يستحق أي ثناء - ولذلك فلا يستطيع العاجز التسامي الى منزلة اصحاب الاخلاق ، وكذلك كانت الشهوة الحسية من علامات الرجال في الميادين العقلية وكان العاجز محروما من (نعمة القدرة على فهم الجمال وقلة القدرة على مجاهدة الاهواء) .

ويقول أيضا : (انا اعرف انني اوذي نفسي بهذه التحليلات واعرف انها قد تصورني بصورة الرجل الفاتك ولكن ماذا أصنع وانا اريد ان اصدق كل الصدق وانا احادث القراء) . بل انه لا يتورع عن ان يجعل من نفسه حقلا للتجربة ما دام ان الحق والصدق والصراحة رائده . يقول : (.. وانا راض عما شهدت به على نفسي في اكثر مؤلفاتي وكنت استطيع ان اقول ان العيوب التي اصفها الى نفسي ليست صحيحة وانما جعلتها صورة المثابة أدرس على سناها ما في الناس من محاسن وعيوب ولكن في الواقع لا أهتم بأقاويل الناس ولا أقيم وزنا للأراجيف لانني مؤمن اصدق الايمان بان الناس لا يملكون ضرا ولا نفعا فهم اعجز من ان يتعقبوني او يضروني وانا فوق ذلك اعرف ان الاساس السليم هو خلوص النية) .

القلم النظيف

وليس من شك في أن مثل هذا النهج الحالم العفيف المتجرد لابد أن يلزم صاحبه سببا عظيما يعتصم به في مواجهة الاعراض والنكبات وكذلك كان زكي مبارك ، فقد اعتصامه بمبادئه .. والتزامه بأخلاقياته حتى ضاعت الدنيا من بين يديه فكانت هذه الكلمات الموجعة .. (ان الشهيرة الباقية من حياتي هي اني أمشي بروحي وقلمي - انه روح نظيف ، وقلم نظيف - فما استطاعت حكومة مصرية أو غير مصرية أن تستأجر قلمي - هل الفقر تشرف ؟ هل الفاقة تفضل الحرص على الشرف ؟

كانت اخلاق زكي مبارك ، هي الصخرة التي ظلت تلطمها امواج الحياة العاتية ، وحقيقة ان الصخرة كانت تقاوم ولكن البحر ابقى من الصخرة ، والحياة ابقى من الاحياء واقوى فكم جبال من الصخور التهم البحر وكم من مدن ازال وكم من جزر ابتلع . وكانت بداية الهاوية التي تردى فيها اديبنا الكبير انه وهو الرجل الشريف النظيف المتحمس الابي الطموح الوطني الامين يعامل بقسوة بدون حساب لا لفضله ولا لعلمه ولا لاخلاقه .. !! واذا فما هي الفائدة من حياة لا انصاف فيها ولا عدل ولا حقوق انسان ؟! ولكن من دون ان اتخذ موقف الانحياز



زكي مبارك

ان بداية زكي مبارك المؤسفة كانت يوم غضب طه حسين امر اخراجه من الجامعة، وذهب الى بغداد فاشتعل الناموس هناك بحب الادب والتراث العربيين لقد كان صنيع زكي مبارك هناك خيرا من صنيع الف سفارة والف لجنة والف مؤتمر . لقد جمع زكي مبارك في حبه واخلاصه ووفائه بين شعبين شقيقين ما اظن ان العلاقات العربية بين قطرين عربيين قدمت خيرا من هذا الفنان يمتلئ ومن هذه الخطة لترسم .

هموم الفيلسوف

ولكن زكي مبارك ذهب الى العراق وهو موجع القلب حزين النفس بعد أن تنكر له ذووه واهل الفضل والعلم في وطنه، فلنستمع الى هذا الصوت الحزين :

أحبائي شاقت بي بلادي والتي
زماني فاولاني من الكرب ما يردي
اذا قلت ايام الشقاء الى مدى
تعالين بالانواء والبرق والرعد
وان قلقت روحي الى الصقر عشتي
عن الصقر الغوام جبلن على الحقد
ثلاثون عاما او تزيد قضيتها
جواهد يبذل الروح للوطن الفرد
فما نلت حظا من جداه سوى التي
يمن بها اهل الوصاية والكيد
بلادي بلادي الله من الله ؟ للتي
أجرع منك الصاب يلفت بالشهد
اسامر في ليلي كآبتي ولا ارى
لنفسي حظ الساهرين على الورد
فماذا دهى الدنيا وماذا اصابها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لتدفع الى الصنم الوزهة الرمد
بلادي وما هانت على مواطن
ابي كان منها في الذؤابة او جدي
ايشفى الثرى بالماء حتى يجوده
اطباء غشاشون بالجزر والمد
واقفا وحدي فيك والليل كافر
يذود المسوز الضم باعنق والقد

رنة الحياة

بل لقد صار سحره الفن بالناس والحياة يقول :

(ولخشى الا اظفر بكلمة رثاء يوم يشيعني الناس الى قبري ، فذاكرة بني آدم ضعيفة جدا ، وهم لا يذكرون الا من يؤذيهم اما الذي يخدمهم في سبيلهم فلا يذكره احد منهم بالخير الا وفي كلامه نبرة تشير الى انه يتصدق بكلمة المعروف)

ولكن زكي مبارك سرعان ما ينصهر في حياة اهل بغداد فانه جاء اليها وهو سريع القلب جم الكروب فان ما كان ينتظره في بغداد من سهام العيون السود ومن الفأل الذي ستشوي جوانحه وكصهر ضلاعه وتسحق احتاف غير العبد والمنى طيبة وهكذا فلم يزايل الفنان الذواقة طبعه الاصيل : انه يتنفس يرتقي رنة الحياة ورنة الفن ، وهو يتنفس برنة الحياة مدفوعا بقوة استمرارية الحياة نفسها ويتنفس برنة الفن تساميا بذاته عن دنيا الحياة والدين غيا ، يقول من قصيدة له بعنوان : (من جحيم الظلم في القاهرة الى سعيد الوجد في بغداد) :

وفدت على بغداد والقلب موجع
فهل فرجت كربي وهل ابرأت دائي
تركت الخطوب السود في مصر فاليوم
سهام العيون السود تصدع احشائي
تركت مقاتلا او اردت بلاهة
بعزمة مفتول الذراعين معشاه
وجئت الى نار ستشوي جوانحي
وتصهر اضلاعي وتسحق احشائي
فيا ويح قلبي عقبه الدهر فاكتوى
بلفحة خالتين : جور واهواء

★ قولة حق

سأل الحجاج اعرابيا عن اخيه محمد بن يوسف : كيف تركته ؟

قال : تركته بضا سمينا

قال الحجاج : لست عن هذا اسالك

قال : تركته ظلوما غشوما

قال : او ما علمت انه اخي ؟

قال الاعرابي : اتراه بك اعز مني بالله

• العيون السود جعلته يتنفس برئة الحياة ورئة الفن !
• كان صراعه في الحياة عنيفاً فغاب الشعاع قبل الغروب !

على أن أحسن ما قرأت في وصف زكي مبارك وتقييمه الكلمات التالية للأستاذ أحمد حسن الزيات زميل الدكتور زكي مبارك وصديقه : وان أرادتكمة الحق مجاهد باسل من المجاهدين القلائل الذين شقوا طريقهم في الحياة بالقوة واتخذوا نصيبهم من المعرفة بالله واحلوا أنفسهم الحل اللائق بالصراع ، وهو أحد الأدباء الذين لم يقم مجدهم الأدبي على الظروف والصدفة وان كان الحظ قد رافع في حياته عن الصلة الشكوى لأنه تعلم فدرج نفسه وقائم بفضل جهاده ثم كانت الظروف التي شاءت غيره أتيح عليه بالنكران والحرمان من أي مودة ؛ ومن أثر هذا كان الإعلان المستمر عن نفسه وعن عمله وهي صفة لا تتفق كثيراً مع وقار العلم وجلال الخلق والتمام أنت أتيه من وراء الوعي على قول أن الناس ينكرون عليه فضله ويغفلون عنه مكانه . ولو استطاع زكي مبارك أن يصانع الظروف ويصانع السلطات ويحقق شيئاً من الحياة ولكن كثيراً مما يريده عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الأغراض النفسية ستقضي فيه وفي الناس ويبقى ذلك المجهود الفني الضخم الذي قدمه إلى الأدب العربي في شتى مناحيه شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفع مكانته في النهضة ! » .

الصوت الحزين

أما الإعلان عن الذات الذي يشير إليه الزيات فانه لم يكن في حقيقة الحال إلا صيحة مظلوم يجأر بالشكوى في عالم لم ينصف هذا المظلوم ولم ينتصف له ممن ظلمه ، ولقد من حق زكي مبارك أن يرى نفسه دون حقه وأن يرى من هو دونه فوقه . ومن ثم كان هذا الإعلان أيضاً تعبيراً عن موقف مأساوي وكل ما يحمل هذا اللفظ (مأساة) من معنى ، على شريطاً أن يكون تفسير هذا الموقف معرفة بالفاصل من البداية إلى النهاية . ومن المقدمات إلى النتائج . من الدوافع إلى الأغراض . ومن الظواهر إلى الأعماق عندئذ سوف نعطف زكي مبارك ولن نختلف في تقدير أنه قضية مثل يتشفعه أو يطمعه لأن كلاً منها أخذ من أوقى يحميه بكفه ويسابقه على تفسيره وتوضيحه . [illegible]

[illegible]

بقضايا سياسية واجتماعية متصلة ... دلالة على أنها تحكي شخصيته المتميزة ومشكلة الثانية ، مقاساً لها أو ثورة عليها أو دفاعاً عنها .

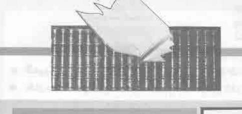
وهنا يكمن مرة أخرى السر في تفوق هذا الرجل وتوهجه سريعاً ثم خبوه المفاجئ والتعاقر ثم الانهيار التام حين كف عن الكتابة أو كاد واصبح أيما مقتول وكأنه تلميذ كسول لا يحسن بعد كيف يصوغ العبارة السليمة . كان كالبارود الكبير فاشتد وسطع حتى إذا خبا الشعاع لم يبق إلا الصدى لصوت محزون يتردد في فضاء نفسه الرحيبة .

المواجهة الصريحة

وهذا الأديب الكبير الذي كان يفرح بأمل بقدار الصمت الطويل لأنه يقضيه وقتاً كافياً للكتابة والشكوى والتدوين ، والذي سئل مرة عن الأماكن يتردد عليها للقضاء وقت فراغه فيجيب أنه لا يعرف إلا بيته ، فيه يقرأ ويكتب ويتأمل . هذا الكاتب الكبير أصبح في السنوات الأخيرة من حياته يقضي الساعات الطويلة في المقاهي والحانات صامتاً دون أن يكتب أو يقرأ دون تأمل عميق وأن فصوله المشهورة (الحديث ذو شجون) التي كانت تمثل الإبداع والطرافة والعقل الذي أصبحت في السنوات الأخيرة تكراراً ممجوجاً لأفكار مملة ووسائل ملفقة وشكاوي لبست بذات قيمة .

وهكذا كان الصراع في حياة زكي مبارك حاداً عنيفاً جعله يحترق سريعاً ويهوى قبل الأوان ويغيب الشعاع قبل الغروب وهذا الرجل الذي كان يرى الحياة سلاماً متصلاً كشرط لتحقيق الذات أصبح في السنوات الأخيرة من حياته يحيا كأنه مسلوب الإرادة ، مسير لا مخير، يهوى الطبع في سذاجة ، قد استراح إلى الاسترخاء الطويل بعد أن كان قلة الفؤاد والفكر والوجدان " لقد كان الطريق الذي اختطه زكي مبارك لنفسه منذ نعومة أظفاره قد فرض كل مواهبه العلمية لاتصال عسير ، حقيقة استطاعت هذه المواهب أن تدله دلالة عليها بما قدمت من النتاج أدبي رائع ولكن صاحبها كان الضحية ، وحين لم يستطع أن يظل رهناً لمواجهة كان إعلانه عن النفس قد افتقد صيغة المواجهة الصريحة أو التحدي المكشوف وكان يرى في المسلك القاسي الذي سلكه العصر طريق الوصول إلى ذاته الأصيلة التي ابتعدت عنه ونقل وسمة بؤس والشكوى والحنين حتى هوى صراعه وغاص في لجة من اليأس مستسلماً لأوهامه وأسلمته غربة الروح إلى غفوة في مظهره وسلوكه وجعله المجون ينأى عن الحياة والأحياء على السواء فقيل ما قيل فيه من مظاهر مستكرهة وألوان من الشكوى كان يجب ألا تكون ختاماً لتلك الحياة الثرية من النضال والاستبسال والفداء في سبيل الفن والكرامة والحق .

حسين عرس



من هو مؤلف ألف ليلة وليلة ؟



سمير روحي الفيصل

في عدد آب (اغسطس) ١٩٧٧ ، سأل القارىء نبيل شبل عن مؤلف كتاب « الف ليلة وليلة » . وقد اجابه محرر « باب القراء يستفسرون » اجابة صحيحة مقتصرة مفيدة ، ولكنها تحتاج الى قليل بيان لاهمية الكتاب عند العرب والغربيين، وللندرة الدراسات حوله ، على الرغم من انه حظي بعناية فائقة من قبل دوائر الاستشراق الغربية ، وبخاصة الفرنسية منها ، حتى ليكاد الغربيون يقرأون الشرق باسم الف ليلة وليلة ، كما نقرأ نحن الشرقيين، إسم الف ليلة وليلة ببغداد . وليست المقول من مشاهير الغربيين بعيدة عنا . فقد شاع ان « فولتير » كبير الادباء الفرنسيين ، لم يعلمه فن القصة الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ، كما شاع ان « ستندال » قد تمنى على الله ان يمحو من مخيلته كتاب الف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته . والحقيقة ان الحديث عن مؤلف هذا الكتاب الرائع شائك محفوف بمجموعة كبيرة من المخاطر .

اصل الكتاب

حاول كثير من الدارسين ، وعلى رأسهم المرحوم احمد حسن الزيات ، البحث عن [illegible] وضعه مجهول ، وقد دعا الى الوثيق [illegible] القديم الكتاب الى اصله ، ولكنهم وجدوا التفسير في حلقة اكبر ، الا ان الكتاب يضم خليطا من اللهجات والاساليب ، واسماء الرجال والامكنة والعقائد .

لقد اهملت كتب التاريخ والادب الاشارة الى الكتاب بحجة انه كتاب شعبي مبتذل، غير ان المسعودي (المتوفى ٣٤٦ هـ) في كتابه « مروج الذهب » كان اول المؤرخين الذين اشاروا اليه تحت عنوان « هزار افسانة » اي « الف خرافة » ، ثم جاء ابن النديم (المتوفي ٣٨٥ هـ) فذكره في كتابه « الفهرست » ، ووصفه بانه « كتاب غث بارد الحديث » ، والواضح ان هذين الرجلين قد اتفقا على ان الكتاب منقول من « هزار افسانة » .

وان اسمه في عصرهما كان « الف ليلة » لا « الف ليلة وليلة » ، كما يقول المرحوم الزيات ، وثمة اشارة ثالثة تفيد بان الكتاب كان معروفا في العصر الفاطمي في مصر باسم الف ليلة وليلة ، ثم تأتي ذكره الى العقد الثاني من القرن التاسع عشر .

مضمون الكتاب

يقرأ المرء كتاب الف ليلة وليلة فيرى مجموعة كبيرة من الاقاصيص يستطيع بسهولة استشفاف الروح العربية منها، سواء أكانت الاجواء المسيطرة عليها هي الاجواء البغدادية أم القاهرية أم الدمشقية ، وهو واجد في الكتاب اقاصيص اخرى لا تمت بنسب الى الشخصية العربية ، ومن هنا راح بعض الدارسين يفتون بمضمون الكتاب لمعرفة اصله ، لان خير وسيلة هي فرز هذه الحكايا بحسب الاجواء المسيطرة عليها ، وقد ظن المرحوم الزيات ان يصنف تأليف هذا المضمون على مراحل ، بحيث كانت النواة اولا ثم الطبقة البغدادية الصغيرة ، فالطبقة المصرية الكبيرة ، فالطبقة الحديثة .

يرى الزيات ان اصل الكتاب هو « هزار افسانة » ، ويورد كلاما مفاده ان هناك فريقين ، يقول احدهما بان هذا الاصل هندي ، ويقول الاخر بانه فارسي ومن الشاق ترجيح احد هذين الرأيين على الاخر ، وان كان المرء يميل الى الرأي القائل بهندية الاصل ، مفسرا ان القصاصين العرب قد عبثوا بالكتاب فبدلوا اسماءه ، وغيروا اسلوبه حتى

● هل عبث القصاصون العرب بالكتاب وبدلوا اسماءه ؟!
● مستشرق يؤكد ان الكتاب عربي من بدايته لنهايته !

الثالث على القاسمين النقلية فرزة وتخصيصه من حكايا هذا الاصل حكاية الملك شهريار واخيه شاه الزمان ، وحكاية التاجر والجني وحكاية حسن البصري ، وغير ذلك .

يكشف الزيات بان هناك اناسا من قصاصي بغداد قد اضافوا الى الكتاب بعض الاقاصيص الفارسية المطبوعة بالطابع الاسلامي ، بحيث تمثل حياة الطبقة الوسطى ، وتصور حضارة بغداد وقد تم ذلك في القرنين الرابع والخامس ، كما يفهم من ابن النديم صاحب الفهرست الذي اشار الى بعض هذه الحكايا ، كقصة ريحانة وقرنفل ، وقصة وضاح وام البنين ، وقصة سكينة والرباب .

اما الطبقة الثالثة فقد اضافها قصاصو مصر بين القرن السادس والعاشر ، فتكونوا شيئا من القصص العربية والتقاليد الاسلامية والسير النبوية والاساطير الفرعونية ، كحكاية امير الزمان ومزين بغداد ، والخياط والاحدب ، وعلي بابا واللصوص الاربعين ، وعلاء الدين والمصباح العجيب ، وابي قير وابي صير ، وعلي الزيبق ، واحمد الدنف ، وحسن شومان ، ودليلة المحتالة ، وزينب النصابة وغير ذلك .

[illegible] الصالحين والمتطفلين ، مما يشير الى ان هذه الطبقة هي احدث ما اضيف الى الكتاب ، كقصة عجيب وغريب ، وعمر النعمان ، وغير ذلك .

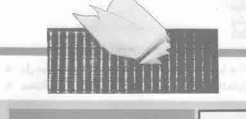
وان الكتاب الف ليلة وليلة الموجود بين ايدينا الآن ليس هو طراز الساعة ، وانما هو طرز معدل ، ومأثور شعبي على مدى قرون .

مؤلف الكتاب

بعد ان وضح للدارسين ان مضمون الكتاب لا يحتوي على مادة واحدة متسقة وانما على نواة مركزية ومجموعة من الطبقات البغدادية والمصرية والحديثة ، راحوا يقولون ان الكتاب تأليف جماعي لا فردي . وقد ذهب المستشرق دي ساسي في عام ١٨٢٧ الى ان الكتاب عربي التأليف من فاتحته الى خاتمته . والحقيقة ان معرفة هوية المؤلف عسيرة ، لان عزار السالفة نقل الى العربية نقلا لم يسم واضعه ، على حد تعبير المرحوم الزيات ثم شذبته الطبقتان البغدادية والمصرية على التدريج ، فكان كل قصاص يكتب نسخة ما سمع وجمع في عصره من الحكايات والقصاصون ان يسندها الى راو او يعزوها الى مؤلف .

يبدو ان النسخة العربية الاولى للكتاب قد كتبها احد النساخ دون ان يذكر اسمه عليها ، ولكن المرجح ان تاريخ هذا التدوين هو بين ٩٢٢ – ٩٢٣ ، كما ينص المرحوم الزيات ، القائل ايضا ان اقدم نسخة مطبوعة هي نسخة « كلكتا » وتحتوي على مائتي ليلة ، وقد طبعت في الهند في العام ١٨٢٤ – ١٨١٨ في جزءين . ثم طبعت نسخة « برسلو » التي قام عليها الاستاذ « هيكت » في اثني عشر جزءا بين ١٨٢٥ – ١٨٤٣ ، ثم طبعت الحكومة المصرية نسخة « بولاق » في ١٨٣٥ في مجلدين ، وهي اكمل النسخ واصحها ، وعنها صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي . ومن المفيد هنا القول ان الكتاب في صورته الحالية يضم (٢٦٤) حكاية قسمت عناوينها على الف ليلة وليلة .

سمير روحي الفيصل



اعلام الفكر ويقظة المغرب الحديث

نقولا زيادة

عرف العالم العربي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين نهضة شملت اجزاءه المختلفة ، لكنها تباينت من حيث زمنها وقوتها وابتدائها ومداها . فقد كانت في مصر ولبنان وديار الشام اسبق منها في الشمال الافريقي مثلا . كما انها شملت من نواحي الحياة مجالات الفكر اقما في المنطقة الاولى منها في المنطقة الثانية . ونحن لا نود الآن ان نؤرخ لهذه النهضة ، ولكن الذي نريد ان نفعله هو ان نتحدث عن كتابين يتناولان بعض نواحي هذه النهضة ومظاهرها في المغرب .

ومحمد المنوني يقف في الجزء الاول من كتاب مظاهر يقظة المغرب الحديث (وهو الذي نعنى الى الآن) عند سنة ١٩٠٠ . وهو يقسم تطوّر النهضة المغربية الى ثلاثة : التطور الاول يحمله من سنة ١٨٣٠ ، وهي السنة التي احتلت فيها فرنسا الجزائر الى سنة ١٨٦٠ وهي السنة التي وقعت فيها معركة تطوان وفيها خسر المغرب معركة كبيرة ضد الاسبان . ويمتد التطور الثاني من ١٨٦٠ الى ١٩٠٠ اما التطور الثالث (وهو موضوع الجزء الثاني) فيمتد من ١٩٠٠ الى ١٩١٢ اي السنة التي وقعت فيها البلاد المغربية تحت الحماية الفرنسية .

التطور الاول والثاني

ويرى المؤلف ان الاصلاح في المغرب بدأ بالمحاولات العسكرية في التطور الاول ، ثم في التطور الثاني كان النشاط الحكومي اكبر من النشاط الشعبي ، فيما يمتاز التطور الثالث بان النشاط الشعبي كان فيه اكبر من النشاط الحكومي .

يعدد / المنوني بعض المصلحين الذين ظهروا في التطور الاول مثل الكردودي وابن عزوز والسوالي ومحمد بن ادريس وغيرهم . ويمكن القول اجمالا ان هؤلاء دعوا الى امور هامة هي : (١) الدعوة الى اصلاح الجيش ، ولعل ما آل اليه امر الجزائر على ايدي الفرنسيين كان حافزا لهم على هذه الدعوة (٢) وكانت ثمة دعوة على يد الكردودي ، الى الاخذ بالنظام الجزائري (٣) وكان اكثر هؤلاء الداعين يرمزون الى النظر الى العالم الاسلامي نظرة وحدة دينية اجتماعية سياسية . (٤) كان هم الشعراء بشكل خاص منصرفا الى الدعوة الى الجهاد ومقاومة التوسع الاستعماري .

الاهتمام بالجيش

وقبل ان ننتقل الى عرض ما تمت فيه

المنوني في التطور الثاني ، نود ان نشير الى ان الفترة حفلت بأسماء ملوك المغرب في القرن التاسع عشر وهم : سليمان (١٧٩٢ – ١٨٢٢) وعبد الرحمن (١٨٢٢ – ٥٩) ومحمد الرابع (١٨٥٩ – ٧٣) والحسن الاول (١٨٧٣ – ٩٤) وعبد العزيز (١٨٩٤ – ١٩٠٨) .

يتحدث المنوني في هذا القسم من كتابه عن متغيرات الدولة في النظام الاداري وهي في نظره عشرة : تنظيم الجهاز الحكومي وتجديد الجيش وانشاء الاسطول وبناء المعامل الحربية واصلاحات المواطن ومحاولات لتطوير بعض الصناعات والتقدم في التجارة الخارجية وتوحيد العملة وتشريع الوظائف للبوانات وتنظيم البريد . ونقف عند بعض هذه الاصلاحات والتطورات وقفات قصار .

يقول المؤلف في مجال تنظيم الجهاز الحكومي « ان المغرب اصبح ذا حكومة منظمة تشتمل على عدة وزارات ، بينما كانت – الى عهد قريب – لا تتوفر الا على وزير واحد يكون بمثابة معين للملك في اعماله » . « والوزارات التي استحدثت هي الرئاسة ومعها الداخلية والخارجية والحرب والعدلية والمالية » . « واصدرت التشاريع اللازمة لتنظيم هذه الوزارات .

● الأسطول الذي إشتراه السلطان ووزعه على مراسي المغرب !
● منذ قرن إشتركت مصنوعات مغربية في معرض باريس !



أما في مجال الخارجية ، فبالإضافة الى تعيين شخص مسؤول عن الأمور الخارجية فقد أحدث منصب النائب السلطاني بطنجة لأن هذه المدينة كانت مقر نواب الدول الأجنبية . وصار للمغرب ما يمكن أن يسمى قنصلية بالقاهرة أصبح له سفارة مع الدولة العثمانية باعتبار هذه الدولة جزءا من اطار الاتحاد الاسلامي ويورد هذا المؤلف عددا من الرسائل المتبادلة بين ملوك المغرب وسلاطين آل عثمان .

بعد معركة ايسلي (١٨٤٣) التي انكسر فيها الجيش المغربي امام الفرنسيين نشأ هناك اهتمام خاص بتجديد الجيش . فأصبح عدد افراده ستة عشر ألفا .

اصلاح الشواطئ

ويقول بهذه المناسبة ، ان ثلث الملك الى امر على غاية الاهمية بالنسبة الى تجديد الجيش . فأمر به في عاصمة الدولة العثمانية في اواخر القرن الثامن عشر وانتقلت العدوى الى مصر ثم الى تونس فوالى المغرب متأخرة في كل حال نحوا من الستين أو ما يقارب ذلك . ومثل ذلك ينطبق على الاسطول الذي بناه السلطان الحسن الاول ، اذ اشترى من اوروبة عدة

... والتمرين ... الجيش ... الاصلاح ... كان في ... مصانع ... وأجر الشرقيين في مراكش . ويورد المؤلف في مصنفاته رماما (أي كتابا) لمكينة الكرطوس يذكر فيه كل انواع الماكينات اللازمة لذلك . يضاف الى ذلك انه انشأ معملا ودارا للسلاح في فاس .

أما فيما يتعلق باصلاحات الشواطئ فقد عين . الحسن الاول بكل مرسى مهندسا لتفقد أبوابها والأبراج عليها واختيار المسؤولين في المراسي وقت بالسلاح منها والافتقار للاصلاح . وعين المولى احمد السويري ــ الذي كان رئيس قواد المدفعية وخليفة (وكيل) وزير الجيش ــ واسطة بين اولئك المهندسين وبين الملك ، الذي كان يجهد ما يتصل بالواقع بيانا يتعلق بالعطبة الحالة .

العلماء المغاربة

والصناعات التي اهتم بها محمد الرابع تتناول انشاء المعامل التجارية التالية : معمل السكر ومعمل القطن والطاحونة التجارية . وأمضى الاهتمام بالصناعات في ايام الحسن الاول .

وترتب على قيام الصناعات من جهة ترقي مستوى المعيشة واتصال المغرب اتصالا فعالا بالعالم الغربي من جهة ثانية ، ان تقدمت التجارة الخارجية تقدما واشتراك المغرب في معارض باريس الثاني (١٨٦٧) والثالث (١٨٧٨) والرابع (١٨٨٩) وقد عرضت في كل منها مصنوعات مغربية يدوية . وهذا التقدم النسبي في التجارة الخارجية ادى الى تجديد في العملة المغربية .

وازداد عدد الموظفين في دوائر الدولة المختلفة بحيث أصبح من الضروري أن تنظم شؤونهم . ومن هنا كان وضع الترتيب لموظفي الديوانات (١٨٦١) حددت فيه اعمالهم ومرتباتهم وبعض العقوبات لمن يخالف الانظمة المرعية . وكان ثمة تنظيم البريد المغربي ، بحيث اصبح من الممكن ارسال الرسائل بين مدن المغرب .

على انه بالاضافة الى هذه الاعمال والاصلاحات الادارية ، فقد كانت اشياء اخرى لا تقل اهمية عن تلك تمت في تلك الفترة (١٨٦٠ ــ ١٩٠٠) ، وهي امور تتعلق بالتطور الثقافي .





اعلام الفكر ويقظة المغرب

لقد سعى الملوك الاربعة ـ عبد الرحمن ومحمد الرابع والحسن الاول وعبد العزيز (في صدر حكمه) ـ الى العناية بالدروس العسكرية والرياضيات "وقد قام بهذا العمل علماء مغاربة منهم ابو اسحق التادلي واساتذة وفدوا من الخارج . وفي سبيل تحقيق ذلك انشئت مدرسة للمهندسين بفاس والمدرسة الحسنية بطنجة وهذه كانت مخصصة لتعليم الالسن الاجنبية حتى تمكن طلاب البعثات من تعلم لغة البلد الذي سيذهبون اليه" وقد وضعت رسائل في العلوم العسكرية اللازمة مثل رسالة في تنظيم الجيش العربي ونزهة الجالس في علم احكام المدافع والمهاريس (وهي ارجوزة) والعاز في علم المدفع والمهراز .

حركة الترجمة

وقد عني المغرب بارسال بعثات علمية الى الخارج : الى مصر والى اوروبة "لقد كان هناك خمسة وخمسون طالبا ارسلوا الى البلجيك ، وواحد وعشرون طالبا ارسلوا الى ايطاليا عدا بضعة من الطلاب ارسلوا الى اماكن اخرى وقد اورد المنوني اسماء الطلاب وتخصصاتهم : وكانت البعثات موضع نقد رسمي اورد المؤلف حالة منها عن سنة ١٨٩٢ .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الحديث عن الكتب التي ترجمت الى العربية فيقول « اصبح من المحقق ان حركة الترجمة الى العربية وجدت في هذه الفترة وتناولت الفلك والرياضيات وبعض الموضوعات العسكرية ، وحسب المترجمات الاتية فان بعضها وقع بمشاركة من محمد الرابع » والمؤلف لا يكتفي بذكر اسماء الكتب ومترجميها ، متى عرفت ، بل يحلل محتوياتها وفصولها



ويستعرض المنوني زمرة من الفلكيين المبتكرين والمؤلفين في هذه الفترة ، ويترجم لهم ويدلنا على اثارهم - وفي مقدمتهم الملك محمد الرابع ومنهم محمد بن محمد الاشخم ومحمد بن كيران الفاسي وعبد الرحمن العلج والحسن الميشي وعبد السلام الاودي والسعيد والمراكشي واحمد الصويري والحسن الزميزي والطاهر الحصري وعمر بن محمد ابن السعيد المراكشي ومحمد بن علي الاغزاوي .

النهضة الفربية

ويقرأ المنوني صفحات لتاريخ الطباعة في المغرب ، وقد كانت حجرية اولا ثم تلتها الطباعة الفلكية .

ولعل من اطرف ما عمله المؤلف المنوني هو انه ذكر اثنين من المثقفين ـ هما ابو اسحق ابراهيم التادلي وابو العباس احمد بن خالد الناصري ـ على انهما نموذجان للمثقفين الذين تاثروا بالنهضة الغربية الحديثة .

ويقول عن الناصري المؤرخ انه كانت لديه الجرائد السيارة من مصر والشام واسبانية وفرنسا " ويضيف هذه اللقطة نمو الحضارة الحديثة اثرت في عقلية الرجل تاثيرا واضحا ..... وهو اول مؤرخ مغربي حديث اقتبس من المصادر الاوروبية وترجم منها الى العربية كما نراه متكررا في تاريخه الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ".

• من هم المثقفون المغاربة الذين تأثروا بالنهضة الحديثة ؟
• معنى التعليم التقليدي في الكتاب والمسجد المغربي!

ويبدو انه مع تقدم القرن التاسع عشر نحو نهايته ازدادت عناية أهل العلم بوجوب الاهتمام بالاصلاح في جهاته ونواحيه المتعددة . وكان ثمة شعور بوجوب اصدار جريدة عربية . وقد صدرت جريدة المغرب فعلا ، وكان ذلك بصدور أول عدد منها « يوم الاربعاء ١٤ رمضان عام ١٣١٦ الموافق ٧٥ [illegible] (أيار) سنة ١٨٨٩ » .

هذا الكتاب الذي عرضنا على القارىء جزءه الاول (ونرجو ان نعرض جزءه الثاني متى صدر) الذي يمتاز بالوضوح في اسلوبه ، ولو اننا كنا نحب لو كان اكثر ترتيبا وتنظيما . ولعل أهم ما يميز الكتاب ، بالاضافة الى [illegible] المادة وصحة الرؤية هو العدد الكبير من الوثائق المنتزعة من مظانها الاصلية .

الكتاب خدمة كبيرة لقراء العربية ليطلعوا على ما تم في قطر عربي عن شؤونه القريبة منا .

احياء المدرسة القديمة

والكتاب الثاني (من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا) هو من وضع عبد الله الجراري .

والمؤلف ابن الثقافة التقليدية التي يبينها ، والتي نشأ عليه في وضع القسمة (الجزء الاول) واختيار الفكرين والترجمة لهم .

والموضوعات بعد الجزء الثاني ، وكان قصد المؤلف منها توضيح معنى التعليم التقليدي القديم في الكتاب والمسجد ودور العلماء في [illegible] [illegible] كان من اثرها [illegible] الثقافة العربية في البلاد المغربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والترتيب .

اما ما سماه الجراري من اعلام الفكر المعاصر ووسمه بالجزء الثاني فهو مجموعة من التراجم منها الوافي ومنها المقتضب . وقد ترجم فيها للعلماء التقليديين ـ على العموم ـ من اهل الرباط وسلا .

وطريقة المؤلف هي ان يترجم للعالم ويذكر مؤلفاته ويصفها . ومن عادته ان يلجأ الى الاوصاف المألوفة عن سعة علم الرجل ومواقفه ومنزلته بين اهل بلده وعدله ـ ان كان تولى القضاء ـ وحزمه ـ ان كان من رجال الادارة ـ وتصوفه ان كان من اهل التصوف . لكن الذي ينقص الكتاب هو التحليل ـ التحليل في المؤلفات وربط هذه المؤلفات في اطار بعضها ابعادها من حيث اثرها في الفكر العربي . فهي الآن في الواقع متفرقات .

وترتيبه للتراجم اساسه المحمدون اولا ثم الاحمدون ثم بقية التراجم ابجديا . وهذا الجزء من الكتاب في قسمين ، وكل منهما يتبع الترتيب نفسه . فالكتاب معجم ، ولذلك فنحن لا نستطيع ان نتابع التطور الفكري عند هؤلاء القوم مجتمعين . وكم كنا نحب لو ان المؤلف رتب هذه التراجم على اساس سني الوفاة .

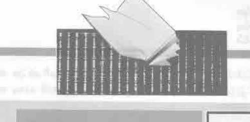
ونأمل ان يوفق الجراري الى وضع تراجم للعلماء المعاصرين الذين ظهروا في مدن المغرب الاخرى .

د. نقولا زيادة

●●●

صدق أو لا تصدق

هل تصدق ان العنب يحتل القمة [illegible] وهذا ما يعطيه من المواد الحاوية على مواد [illegible] .. [illegible] انه يسكن الالام وينشط الاعصاب ويقوي الجسم ويطرح سموم الكبد والكليتين خارجا .. ويخفف وطأة مرض السرطان والسل وشبيه القوية للاجسام كل كيلو جرام واحد منه يعادل كيلو جرامين من اللحم . وتناول كل كيلو جرام واحد منه يعادل لترا واحدا من [illegible] في ازالة مفعول السموم . ومن غرائب مفعوله انه يهب النحاف سمنة .. وفي نفس الوقت يخفف اوزان الاجسام البدينة الى حد الرشاقة ، بحيث يعمل على اعتدال في الوزن .. ولذا يعتبر افضل وسيلة للحصول على الرشاقة واعتدال وزن الاجسام .. كما ان عصير العنب خير غذاء للاطفال الرضع ويضاعف نموهم وسلامتهم ..



شاعر الوجدان والغربة

محمد عبد الرازق

من خلال منهج تاريخي تحليلي يهتم بالرصد والوصف والتحليل، وينتهي بتحديد المراحل الفنية، يتناول الدكتور عبد العزيز السبوقي في «القسم الثالث» من كتابه: «القرشي - شاعر الوجدان» معالم انتاج الشاعر وتجربته الشعرية.. ويهمنا في هذا المجال أن نتحدث عما أسماه بمرحلة «الوجدان القومي والثوري».

يقول المؤلف: «هناك مرحلة رابعة يمكن أن تتداخل مع هذه المراحل ولكنها كانت بمثابة الرفأ الذي استراح عنده الشاعر بعد تجاربه الثرية في المرحلة الثالثة.. وهي ما يمكن أن نطلق عليها المرحلة النضالية والقومية.. وقد بدأت هذه المرحلة بصدور ديوان القرشي السادس «فداء الدماء» في عام ١٩٦٤ في الوقت الذي كانت فيه حالته النفسية قد انحرفت في المرحلة الثالثة، وقد اهتدى الشاعر بفطرته الى وسيلة يتنفس بها من هذا الاشتيار النفسي فوجدها في الشعر القومي والنضالي وشعر الإنسان وهذه المرحلة لا تتقيد بزمان معين فمن الممكن أن يطل من مصادرها دواوين أخرى صدرا بعد ذلك أحدهما ديوان الشاعر التاسع «لن يضيع الغد» الذي

... عام ١٩٧٠ ... الذي ... في ١٩٧٠ فهو الموضوع الغالب على الشعر القومي النضالي والوطني وباقي القصائد الى رثاء شاعر كبير أو بتحدث عنها... وإن كانت تحمل رواسب من تجاربه الوجدانية».

هموم الوطن

ومفهوم النص أن الشاعر قد اتخذ من الشعر القومي والنضالي مطية هروب من حب قاتل وصفه الباحث وهو يتحدث عن المرحلة الثالثة التي أسماها مرحلة «الإحباط المتأثرة» بأنه: «تجربة حب كبير أخرى... أصابها الفشل فانعكست الى تجربته الأولى وفجرت في نفسه كل هذه المعاني».

وهذا الهروب لا يخرج - في رأينا - عن أحد أمرين - فهو إما أن يكون باعثا عن سلوى أو أداة لإشغال!

ولكن القرشي تبنى قضايا الوطن منذ ديوانه الأول «البسمات الملونة» (١٩٤٧)، ففي هذا الديوان نجد قصائد له عن «الشباب والعلم» و«ميثاق الأمم المتحدة» و«الجامعة العربية» و«الوحدة الكبرى» و«الجيش في ميدان القتال» و«حنين السارية الى وطنه».. ومثل هذه القصائد التي لا تقدم الدليل على مدى حرارة انفعال صاحبه بهموم الوطن لا تمثل - من جهة أخرى - «مرحلة» من المراحل، وإنما يشكل تيارا «من التيارات المتدفقة في مجرى شعره، فالمعروف أن المرحلة وإن تداخلت مع السابقة عليها واللاحقة بها تتحدد بفترة زمنية معينة.. وقد نفى الباحث نفسه هذا التحديد الزمني صراحة حينما قال: «وهذه المرحلة لا تتقيد بزمن معين».. ونفيه للتحديد الزمني ينفي في نفس الوقت صفة المرحلة!

والذي أوقع الباحث في مطب «المرحلة» التي لا نستريح اليها - هو - في نظرنا - ظهور ثلاثة دواوين للشاعر تحمل عناوينها على غير عادته الى النبرة النضالية الحالية: «فداء الدماء» (١٩٦٤).. «لن يضيع الغد» (١٩٦٨).. «فلسطين وكبرياء الجرح» (١٩٧٠)، في حين أن المسألة قد ترجع الى تصنيف الكم الذي أتيح في هذه الحقبة سواء في ذلك شعر الهيام بالحبيب، أو الاهتمام بالمناسبة، ويؤيد ذلك أنه أصدر في نفس عام ١٩٦٤ ديوان «الذكرى المتحجرة»، ونقول أصدر «لن يضيع الغد» نراه يصدر «النغم الأزرق» (١٩٦٦) و«بحيرة العطش»

● نحن أمام عملية جمع ولسنا أمام مرحلة فن !
● لماذا تحولت حياة الشاعر الى أطلال وانهارت آماله ؟

(١٩٦٧) ، ويعد « فلسطين وكبرياء الجرح » يصدر « زحام الاشواق » (١٩٧٢). هذا بالاضافة الى ان الدواوين الثلاثة المعنية ، فقد تمثل روافد من تجاربه الوجدانية ، كما يذكر الباحث .

التذوق الجمالي

ويبدو ان الدكتور عبد العزيز لم تقلقه مسألة التصنيف هذه - الا بقدر ان الدواوين الثلاثة - وتجمع شعر القرشي النضالي والقومي وشعر التأمليات -- ، اي اننا امام عملية « جمع » ولسنا امام « مرحلة فن » اما اذا لاحظنا زيادة في الكم النضالي في هذه الحقبة الزمنية فانك ترجعها الى طبيعة المرحلة النضالية للامة العربية منذ ثورة الجزائر ، لا الى طبيعة المرحلة الفراغية للشاعر منذ هتافه في جبة الكبير الاخير .

عموما فان مسألة المراحل كثيرا ما تثير الجدل ، لهذا فاننا نتركها جملة وننتقل الى قسم « التذوق الجمالي والفني لشعر القرشي » - وهو القسم الذي يقيم الانتاج الشعري بالمقاييس الفنية المطلقة التي لا تخضع - والعبارة للدكتور مختون - لاية ملابسات ، بل تصدق على الانتاج الشعري بعامة في كافة الازمنة والامكنة وآداب اللغات المختلفة ، ولقد اختار المؤلف لهذا القسم الثاني قصائد تمثل كل منها تجربة من تجارب الشاعر ، وقام بدراسة كل قصيدة على حدة باعتبارها تجربة شعرية متكاملة - وهنا تظهر براعة الدسوقي الحقيقية - وقد شعر باهمية هذا القسم فتساءل في نهاية القسم الاول : « هل عرفنا بعد تلك الدراسات في الزمان والمكان الرؤية الفنية لشعر القرشي ؟ -- واجاب : « اقرر في صراحة وحسم : لا . لقد وصفناه من الخارج ووضعناه في خانات وتقسيمات - ولكننا لم نقف على حقيقته - لم نعرف جوهره -- فجوهر الشعر لا يمكن ان تحدده كل تلك التقسيمات

الخارجية والظروف العامة وطبيعة البيئة ورؤية الشاعر الفكرية - قد تكون وثائق كاشفة تلقي الاضواء على البناء الشعري من الخارج - اما عالم الشعر العاطفي -- وجوهره الفني ، فذلك مما لا يمكن ان ندركه الا من خلال تذوقنا الجمالي - وذلك لا يتم الا بعد ان نلج عالم القرشي مجردين من كل تلك الدراسات -- »

ويرى [illegible] ان [illegible] [illegible] [illegible] ديوان « الاصل الضائع » (١٩٦٢) [illegible]

[illegible]

« لماذا تحولت حياة الشاعر الى أطلال وانهارت آماله -- ؟ هل تجربه ان فقد الرفيق والخليل ؟ ولا نبعد كثيرا عن جو القصيدة النفسي والتعبيري اذا ما اضفنا من معلوماتنا الخارجية ان الشاعر فقد في مطلع حياته اعز رفيق له وهو والده »

هل هما حقا « يشيران » وبه مباشرة الى هذين الحدثين ؟ !

لا اعتقد --

حتى لو قال لنا الشاعر نفسه انه ما قصد سواهما -

ونمن بهذا « الزج » نهبط بالقصيدة من المستوى الوجودي المحيط بمأساة الانسان الى مستوى التأبين ومفارقة الخلان !

المطاردة والغربة

وقد نبه المؤلف الى المغزى الوجودي قائلا : « وكان من الممكن ان تظل تجربة القرشي تجربة ذاتية محدودة تعبر عن حيرة الشاعر وحزنه وضلاله لان آماله لم تتحقق ولانه فقد بعض احبائه وخلانه - ولكنه فجأة ارتفع الى آماد كونية عندما ربط تجربته بالوجود الاكبر - ومزج احزانه الذاتية بمأساة الوجود - واحس انه طريد الوجود وان وجوده مشكلة كبرى --- وانه وجد في هذا الكون هبط طريدا مطرودا بلا هدف فهو يعيش في ملام وملل لانه محكوم عليه بالحياة - ومن هنا نشعر ان تجربة الشاعر لم تعد تجربة وجدانية فحسب بل تسللت اليها ابعاد وجودية جديدة اضفت عليها تلك الحرارة والرشاقة والعمق » .

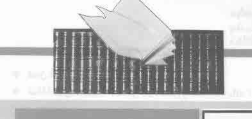
ونحن وان كنا لا نوافقه على تسميته انحاء القصيدة ، نوافق على المفهوم الوجودي لها ، منطلقين معه من ان الشاعر في العالم شريطة ان يكون الشاعر هو الحيرة الفردية والالم الفردي غير المحدد بوقائع معينة لم تفصح عنها القصيدة -

لقد حرص الشاعر على الاستعانة بمفردات الوجوديين بطريقة ملحة تبدو وكانها متعمدة للتعبير الى حد تعرفه على الفلسفة الوجودية - مثل : « الوجود » و « العدم » و « السأم » و « المطاردة » و « الوحدة » و « الغربة » و ---

التشبع بالألم

من هنا ، بدا الشاعر معلا في التعرف على الفلسفة الوجودية التي صبغت العديد من قصائده فيما بعد ، وهذه القصيدة تشي بالتأثر البالغ بهؤلاء الفلاسفة ، وان لم ترتفع الى المستوى اللائق للتعبير عن فلسفتهم لافتقارها الى التصوير والحس الدرامي وافتقارها الايقاع الرتيب .

محمد عبد الرازق



قصص الحب العذري..

يوسف الشاروني

عرف التراث العربي لونين متقابلين من القصص . القصة القريبة من الخبر او التاريخ في مقابل القصة الفانتازية . فالنوع الاول من القصص يحاول فيه مؤلفوه او ناقلوه ايهامنا بانه قد وقع ، ولكي تتم عملية الايهام فانهم يردونه الى سلسلة من الرواة تنتهي بمن عاصر او شاهد او شارك في مرحلة من مراحل القصة . وربما يكون لهذا القصص اصل تاريخي فعلا ، ولكن مما لا شك فيه ايضا ان عمليات حذف واضافة قد ضللت على هذا الاصل ـ ان وجد ـ بحيث انتقل من التاريخ الى الفن اي مما وقع الى ما يحتمل ان يقع . وقصص الحب العذري التي شاعت في تراثنا العربي ـ نسبة الى قبيلة بني عذرة في البادية العربية شمالي الحجاز والتي اشتهرت بهذا اللون من الحب وان لم يقتصر عليها ـ مثل قصة مجنون ليلى وكثير عزة وجميل بثينة وقيس ولبنى ... الخ من ابرز النماذج على هذا اللون من القصص .

في مقابل ذلك نجد قصص الفانتازيا ، وهي التي تتدخل فيها القوى الغير انسانية كالسحر والاماكن المرسومة والحيوانات الخرافية وتحول الناس الى حيوانات وكائنات اسطورية ومخلوقات غير مرئية كالجن والعفاريت . ومثلما كانت ليلة وليلة ابرز نموذج لهذا اللون القصصي ، ثم بعض السير الشعبية التي احيانا ما امتزجت قصص النوع الاول لكن بعد ان تطورت بها من القصة ـ الخبر الى القصة ـ الفانتازيا .

ويلاحظ ان اللون الاخير يكون صلب ما يعرف بالادب الشعبي ، بينما يكون اللون الثاني ركنا هاما من اركان الادب الفصيح ، بل كان مصدرا هاما من المصادر التي حققت لنا لونا متميزا من الوان الشعر العربي .

العاشق الفنان

والمحور الذي تدور حوله قصص الحب العذري لا يخرج عن فتى يهيم بفتاة ، اما لانهما نشأا معا (عروة وعفراء) او وقع ما سبب لقاءهما (قيس وليلى) بل واحيانا ، كان هذا اللقاء شجارا انقلب الى محبة (جميل وبثينة) . غير ان عائقا يحول بين هذا الهوى وتحقيق النهاية الاجتماعية المرجوة كغيرهم من خلق الله ، الا وهو الزواج ، اما بسبب عدم التكافؤ (عروة وعفراء) او بسبب تشبيب المحب بحبيبته (جميل وبثينة) وحتى حين يتم الزواج كما في حالة قيس ولبنى فان اعتراض الوالد والحاحه في هذا الاعتراض يؤدي الى فراق الحبيبين .

الى هنا والامر قد يبدو طبيعيا يمكن ان يحدث لاية علاقة طرفاها فتى وفتاة ، لكن المرحلة الثالثة ـ بعد مرحلتي اللقاء وقيام العائق ـ هي التي تميز بحق قصص الحب العذري . فالمحبان اللذان فرقت بينهما التقاليد الاجتماعية او العوامل الاقتصادية لا ينصرف كل منهما نحو علاقة جديدة تصحح العلاقة المحبطة مجرد ذكرى باهتة ، بل ان العكس هو الذي يحدث ، فحرمان كل طرف من الاخر ما يلبث ان يؤجج مشاعره ويضاعف من شوقه وحنينه ، ولا يلبث ان يصبح هذا الحرمان منبعا من منابع العاشق الفنان ، وينبوع شعره الجياش بالعاطفة ، ذلك الشعر الذي اثرى ادبنا العربي بتلك القصائد التي اثبتت ان العرب قادرون على التعبير المتفرد عن ادق خلجات النفس البشرية . وقد اتاح الفرصة للعاشقين ان يلتقيا وان يحققا ما سبق ان حرما منه ولكن روح الفن تصرعلى السقوط في المألوف والعادي ويرفض العاشق الفنان

● البطل يفضل ان تبقى شعلة الهامه متقدة !
● قصص الحب العذري هي شعاع فجر الأدب الرومانسي !



ان يفعل ما يفعله ملايين الناس في مثل هذا الموقف ـ ان حراما او حلالا ـ حيث يصبح واحدا من ملايين الازواج عبر الاف السنين وتصبح حبيبته واحدة من ملايين الزوجات كل همها ان تعنى بشئون البيت وشئون اطفالها . انه يفضل ان تبقى شعلة الهامه متقدة على ان يطلها باطفاء قصة الحب !

نجد هذا في قصة عروة وعفراء اقدم قصص هؤلاء العذريين تاريخا .

والامر نفسه في قصة قيس وليلى . فقد احب قيس ليلى كما بادلته ليلى الحب ، وعندما اعتزم زواجها جاء الاعتراض من والده ثم والدته .

الفجر الاول

ويتكرر نفس الموقف مع جميل وبثينة . فقد وشت احدى اماء بثينة بها الى ابيها واخيها وقالت لهما : ان جميلا عندها الليلة فاتياها مشتملين على سيفين . فرأياه جالسا في ناحية بعيدا عنها يحدثها ويشكو اليها ما به ، ثم قال لها : يابثينة ارأيت ودي اياك وشغفي بك الا تجزينه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين فقالت له : ياجميل اهذا تبغي ؟ والله [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ولا [illegible]
فقال : والله ما كنت الى هذا [illegible]
[illegible] فيه ، ولو علمت انه [illegible]
انه لعلمت انك عويرك اي البرى ، ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ، اوما سمعت قولي :

وإني لأرضى من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبألا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله

فقال ابوها لأخيها : قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم ان نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاهما .

ويقول جميل :

فهل يلفني عذرة مميتتنا
اتيل وجه يحسه يلقر
لا والذي تسجد الجباه له
مالي بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت به
ما كان الا الحديث والنظر

ولهذا فان البعض يعدون قصص الحب العذري شعاع الفجر الاول للادب الرومانسي في العالم . فالعاشق فيها لا يرى فتاته مخلوقة من لحم ودم كسائر الفتيات ، ولكنه يراها صورة اثيرية يهيب ان يلمسها ، بل حتى ان يمعن النظر فيها . وهو يسلم نفسه للوازع قلبه حتى تتحول فتاته وحبه ودنياه كلها الى وهم من الاوهام .

لذة الفراق

والدكتور صادق جلال رأي جيد بالالتفات فهو يرى ان الحب العذري ضد مؤسسة الزواج وما تعنيه ، فهو يبقي على نفسه بالرغم منها ويتمسها تحديا مباشرا ومستمرا . وان كلا من هؤلاء العشاق لم يكن عاجزا عن الحصول على حبيبته ان حلالا او حراما ، لكنهم كانوا يرفضون عن قصد هذا الحصول . وهؤلاء العشاق العذريون يتفقون مع التخصيصا الدون جوانية في ان كلا منهم يرفض رباط الزوجية . لكنهم يختلفون عنها في اهم



قصص الحب العذري

يالف حياة فيضطران للافتراق من جديد . فلو ان جميل كان حب بثينة ولم يتسبب بها كان سيخشى لخطبها من اهلها وفقا لسنة البادية المتبعة ويتزوجها وينجبان الاطفال ويعيشان حياة رتيبة تخلو من الانفعال . لهذا كان العشرات العشاق العذريين تحول كلها دون الوصول الى هذه النتيجة . هذا يعني ان جميل كان يحب عشقه لبثينة اكثر مما كان يحب بثينة نفسها . فحدوث حبه الحقيقي في ذاته اللحظة الحية وليس شخص الحبيبة .

وقد كان جميل صريحا يبدأ الغني حين اعترف ان لقاء بثينة يميت هو بينما فراقها يجدده ويحييه :

يموت الهوى مني اذا ما لقيتها
ويحيا اذا فارقتها فيعود

ومن ثم يتبين كيف كان الخليفة معاوية سياديا الصواب حين سمع بموت عروة يرفضون العلاقة الجسدية غير الشرعية ، وانهم يؤمنون بالوحدانية في الحب بينما لا يفرح الدون جوان من تعدد علاقاته غير الشرعية . فالعاشقان العذريان انما يبحثان في الحقيقة عن حمة الانفعال في العشق ويريد كل منهما دوما على تصعيد عنف عشقه . رغم ان العاشق العذري يبدو في الظاهر انه يؤجل النشر

دوما في الحصول على حبيبته ، لكنه في الوقت نفسه يصنع جميع العراقيل المتمثلة لتحول بينه وبين امتلاكها حتى لا تخف حدة عشقه ويهدد عاطفته . والعراقيل هنا نوعان : خارجية وداخلية . فحين يواجه العاشق العذري عائقا خارجيا يستبسل في جهوده للتحطيم وازاحته عن طريقه، ولكن في الساعة التي [illegible]

يذكرهما التاريخ بخير» . ويستطرد الدكتور صادق جلال العظم ساخرا : «ان مجرد التفكير في بثينة على انها حرم جميل المصون يكفي لافساد كل مشاعرنا وخيالاتنا المرتبطة بقصة هذين العاشقين . وهل باستطاعتنا مثلا ان نتصور الكوميديا الالهية بعد التفكير في بياتريس على انها مدام دانتي التي تعد له ثلاث وجبات يوميا وتنظف الاطباق والصحون ثم تجري وراء اولادها من الصباح الى المساء

مذابح العشاق

اما المرحلة الرابعة والاخيرة في حياة هؤلاء العشاق العذريين فهي الموت وبعبارة الدكتور العظم ذاته : «العائق المطلق الذي يحن اليه العاشق وذلك على نحو ما رأينا في قصة عروة وعفراء فحين سمعت عفراء بموت عروة ذهبت لتجيء حتى ماتت . وهكذا يتحقق في الموت مالم يتحقق في الحياة» .

وليلى الاخيلية تزوجت بعد موت توبة ثم ان زوجها بعد ذلك مر بقبر توبة وليلى معه فقال لها : ياليلى هل تعرفين هذا القبر ؟ فقالت : لا ، قال : هذا قبر توبة ، فسلمي عليه . فقالت : امض لشأنك ، فماتريد من توبة وقد بليت عظامه قال : اريد تكذيبه ، أليس هو الذي يقول :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت
علي ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

فوالله لا برحت او تسلمي عليه . فقالت : السلام عليك يا توبة ورحمة الله وبارك لك فيما صرت اليه .

فاذا طائر قد خرج من القبر على ضرب صدرها فشهقت شهقة فماتت ، فدفنت الى جانب قبره . فنبتت على قبره شجرة وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفتا .

وقيل لبثينة : هذا جميل لا بد لهن فعله من حيلة لتنسين بها وتجده ؟ فقالت : ما عندي اكثر من النظر الى ان القاه في الدار الاخرى او زيارته وهو ميت تحت الثرى .

وعندما بلغ كثير نبأ وفاة عزة شهق

شتيتا

قيل لنوح عليه السلام يا ابا البشر .. ويا طويل العمر .. كيف وجدت الدنيا؟ قال كبيت له بابان .. دخلت من احدهما وخرجت من الاخر ! وقال المسيح عليه السلام للحواريين انا الذي كفأت الدنيا على وجهها .. فليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب ، قيل لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه .. صف لنا الدنيا .. قال ما اصف من دار اولها عناء .. وآخرها فناء ! وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدنيا عرض حاضر .. يأكل منه البر والفاجر .. والآخرة وعد صدق .. يحكم فيها ملك قادر .. يفصل الحق من الباطل ! وقال : الدنيا خضرة حلوة .. فمن اخذها بحقها بورك له فيها .. ومن اخذها بغير حقها .. كان كالآكل الذي لا يشبع ..

الموت هو العائق المطلق الذي يحن اليه العاشق !
الأقدمون يتعاطفون مع العاشق ويتحمسون لسماع أخباره !

شيقة فارقت روحه الدنيا، ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد.

وفي احدى القصص الباطلة أن جارية قتلت نفسها عندما رأت عاشقها يقتل نفسه أمامها وهي تنشد قائلة:

من كان عشقا فليمت هكذا

لا خير في عشق بلا موت

ولئن انتشرت قصص الحب العذري في العصر الأموي، فإن جذورها تمتد الى العصر الجاهلي.

فكل من يقرأ التراث الجاهلي ويتتبع الحياة الاجتماعية في هذا العصر يستطيع أن يتبين اتجاهين أساسيين في اتجاهات الحب: الاتجاه الحسي الذي تتمثل فيه المشوقات والاتجاه الروحي الذي تتوحد فيه المحبوبة.

فالى جانب امرئ القيس والأعشى وأضرابهما ممن يمثلون الاتجاه الحسي اللاهي (وعمر بن أبي ربيعة) يمثل هذا الاتجاه بعد الإسلام فقد عرف المجتمع الجاهلي في باديته ومضاربه طائفة من الشعراء يمثلون نفس الاتجاه الذي بدت فيه قصص العذريين الأمويين فيما بعد وأطلقوا عليهم اسم «المتيمين» وربطوا بين كل متيم وصاحبته التي عرف بها، تماما كما فعلوا مع العذريين في العصر الأموي فالمرقش الأكبر وأسماء، والمرقش الأصغر وفاطمة، والمخبل وميلاء، وعبد الله بن العجلان وهند ... ثم أعذبهم صيغة عنترة وعبلة.

التطورات الفنية

ويرى الدكتور عبد الحميد ابراهيم أن بعض قصص الحب العذري وضعت تفسيرا لبعض الأبيات الشعرية التي وردت على لسان هؤلاء العذريين فرأى الخيال الشعبي أن يؤلف لها قصصا. وإن كان قصصا ساذجة فيها الكثير من الثغرات، كما أن معظم هذه القصص لم يكن هدفها سوى التسلية التي يحتاج إليها كل مجتمع، وأحيانا ما تكون هذه القصص موضوعة للدعاية أو للدفاع عن فكرة يؤمن بها واضعها كالصراع بين السادة والعبيد في قصة [illegible]

[illegible]

أما في النصوص الأخيرة فقد تغيرت هذه النظرة عند كثير من الناس فأصبحوا ينظرون الى العاشق نظرة سخرية، بل يحتقرونهم [illegible]. فقد أورد الانطاكي في كتابه «تزيين الأسواق» فصلا عنوانه «فيمن أتاح به الحب تلفه على الحب عقله» ذكر فيه قصصا عن عشاق أدخلهم أهلهم بيمارستان بغداد أو دير هرقل.

الأدب القصصي

ومن ناحية الشكل كانت قصص الحب العذري متناثرة متتابعة، كل موقف — في الأعم — ينفصل عن الموقف الآخر ولا رابط بينها سوى العاشقين، وإن كانت هذه القصص تغطي حياتهما من لحظة اللقاء وكيف تم حتى لحظة الفراق أو الوفاة، ولكنها مشاهد متفرقة كل منها مستقل. ثم وقع أمر تطور لهذه القصص حين أتيح لها أن تنمو وأن تتوسع في الأحداث وفي اثارة التشويق وفي جلب السامع وفي اضفاء الجو القصصي، وذلك حين استطاعت أن تتخلص من قيد النظرة التاريخية وأن تنتقل الى مجال الأدب القصصي انتقالا واضحا واعيا، كما حدث حين انتقلت بعض هذه القصص الى السير الشعبية على نحو ما نرى في سيرة عنترة، فقد أصبح هم رواة هذه السير تشويق السامعين بالأحداث والاختلاف عن القصص المأخوذة عنها.

وفي قصة قيس — كما جمعها مجهول — نجد ميل الراوي الى الناحية القصصية وتطرقا للتفصيلات بما يعرف في الأدب القصصي بعملية الايهام بالواقع، مثل «وكان قيس بأنه كان أحسن المولد عمرا وأسلافهم همة وقدرا وأجودهم ... وقدرا ...» وصاحبته ليلى «سمراء اللون، قصيرة القامة، فصيحة الكلام وعلى خدها الأيمن شامة».

وفي سيرة مثل سيرة الأميرة ذات الهمة نرى كيف يكون في قصص العشق التي جاءت صورتها القصص الأموي الثراء والتشابك والانتقال من حكاية الى حكاية والمفاجآت وحسن الوصف ومحاولة التأثير على القارئ وجذبه، نجد مثلها مثلا لقصة غرامية يطلقها ليلى و... تتشابه مع قصص العشاق العذريين وقصة «أمامة الصحصاح» تشبه قصة ليلى وقيس في بدايتها، ثم تتشابه بعد ذلك مع قصة مضاد ... (وهي القصة التي تتشابه أحداثها وقصة روميو وجوليت). كذلك تتشابه قصة ليلى وغالب مع قصة عفراء وعروة في بدايتها.

وقد أوضح الدكتور عبد الحميد ابراهيم أن هذه القصص تطورت أكثر وأكثر حين انتقلت الى الأدب الفارسي والتركي حتى تحولت الى قصص ذات طابع فلسفي وفكري وصوفي.

شروط المسابقة



المسابقة تتكون من قسمين :

القسم الاول من ثلاثة اسئلة : سؤال عن شخص ، وسؤال عن مكان ، وسؤال عن شيء .

القسم الثاني : عبارة عن ١٠ اسئلة متنوعة .

وعلى من يريد الاشتراك في هذه المسابقة ان يصل الى الاجابة الصحيحة من هذه الاسئلة ، معتمدا على التعريف الموجود في كل فقرة ، مع المعلومات المعطاة عن حروف الاسم المطلوب ، بعد تغيير ترتيبها ويرفق الكوبون الخاص بالمسابقة مع ورقة الاجابة .

اما نتائج مسابقة العدد الماضي ، فسوف تعلن في العدد القادم

الجـوائز :

الاولى : ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور .

الثانية : ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور .

الثالثة : ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور .

١٢ جائزة أخرى : قيمة كل منها اشتراك لمدة عام في المجلة .

من ؟ أين ؟ مـا ؟

من : مهندس فرنسي وصل البحر الاحمر بالبحر الابيض والمحيط الهادي بالمحيط الاطلسي اسمه مكون من سبعة احرف .

الف : ٦ ، ٣ ، ٤ ، ٧

من اخرج ادم من الجنة

٥ ، ٢ ، ١

مزاله خدم وحشم

١ ، ٦ ، ٥

عسل من النخيل

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

اين : عاصمة حكمت الدنيا وكانت مركز العلم والحضارة والمدنية اسمها من خمسة احرف .

١ ، ٤ ، ٢

انسان ظالم مفتري

٥ ، ١ ، ٤ ، ٢

علاج للجلود ليمكن استعمالها

٢ ، ٣ ، ٤ يعني اليوم التالي

١	٢	٣	٤	٥

ما : مادة تستخرج من نبات للدواء والتكيف اسمها من خمسة احرف .

١ ، ٥ ، ٢

عضو من أعضاء الجسم

٤ ، ٣ ، ١

وكالة انباء تخدم ثورة تحريرية

٤ ، ٢ ، ٣

يعني مخلص صادق الوعد

١	٢	٣	٤	٥

١ ـ الزجاج مادة صلبة شفافة :

لها شكل بللوري

ليس لها شكل بللوري

٢ ـ مناحم بيجن رئيس الوزراء الصهيوني هو بطل مذبحة

غزة

دير ياسين

القبيا

٣ ـ يرجع الـ... بين ... وموريتانيا والجزائر الى ... لقدر بملايين الاطنان من خام :

الحديد

الفوسفات

الاسبستوس



٤ ـ يبلغ ارتفاع هرم الجيزة الاكبر :

٥٠١

٤٨٠

٢٠٧ قدما



٥ ـ مؤلف الالياذة شاعر اغريقي اعمى هو :

هوميروس

بطليموس

سقراط

٦ ـ يستخرج زيت البرافين من التقطير لمادة :

الفحم الحجري

خام البترول

خشب الصندل

٧ ـ قصب السكر نبات ينتمي الى عائلة:

النجيليات

النخيل

الموز

٨ ـ اثنان من الاسماء الآتية من ابرز علماء اللغة ونحاتها :

ابن زيدون

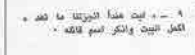
الاصطخري

ابو الاسود الدؤلي

الجاحظ

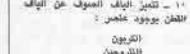
سيبويه





٩ ـ ـ ابت هذا البرتقا ما تعد . اكمل البيت واذكر اسم قائله .





١٠ ـ تتميز الياف الصوف عن الياف القطن بوجود عنصر :

الكربون

النتروجين

اليورانيوم

مسابقة

نتيجة حل مسابقة عدد (ديسمبر)

فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر ·

● القارىء : ايمن محمود محمد ـ الاردن عمان ـ وزارة الاوقاف والشئون والمقدسات الاسلامية ص·ب ٦٥٩ ·

فازت بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر ·

● القارئة : اميرة سعد الدين ـ بواسطة سعد الدين برقان ـ وزارة العدل ـ ص·ب ٢٣٩٣٧ الكويت ·

فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة اشهر ·

● القارىء : احمد الترعى ـ تونس ـ مكتب مراقبة الاداءات بالمعرس ـ صفاقس ـ تونس ·

الفائزون باشتراك لمدة سنة واحدة

١ ـ سامر حكمت ماجد عبيدات ـ الدوحة ـ قطر ـ ص·ب ٣٠٠٦ ·

٢ ـ فوزى ناصر الحمداني ـ العراق ـ بغداد ـ وزيرية ـ كلية التربية ـ قسم الفيزياء ـ السنة الرابعة ·

٣ ـ أحمد محمد على آدريس ـ السعودية ـ الرياض ـ ص·ب ٢٨٥٨ ·

٤ ـ عبد العزيز مهدى على ـ محطة السيارات القديمة ـ منزل رقم ٨٧٢ ـ المحرق ـ البحرين ·

٥ ـ يحيى أحمد آدم ـ السودان ـ الخرطوم ـ جريدة القوات المسلحة ـ بواسطة أحمد محمد ·

٦ ـ عبد الوهاب يوسف ـ السعودية ـ مطار جدة ـ قسم الشحن الجوى ·

٧ ـ تيسير محمد شلطف ـ الاردن ـ عمان ـ الوحدات ـ مدرسة ذكور مخيم عمان الاولى ·

٨ ـ حاتم امين أحمد ـ ميت خاقان ـ بندر شبين الكوم ـ مصر ·

٩ ـ حسام حيدر ـ لبنان الجنوبي ـ النبطية ـ حي البياض ·

١٠ ـ عبد الرحمن على عبد الصادق ـ المعلا ـ عدن ـ شارع مدرم شقة رقم ١٩ ·

١١ ـ رضوان القدة ـ سوريا ـ دمشق ـ ميدان ـ منطقة تنظيم غربى الميدان ـ طابق ٣ بناء القدة ·

١٢ ـ موسى عبد القادر ·

Schuetzen Str. 23 . 4600 - Dortmund - 1 W. Germany

حل مسابقة ديسمبر

الإدريسي
متعقد
تمر
١ ـ الأحمر
٢ ـ ق
٣ ـ عبد المنعم خلاق
٤ ـ ١٨٦٩
٥ ـ افريقيا
٦ ـ كربونات كالسيوم
٧ ـ الاحساء بشرق المملكة العربية السعودية
٨ ـ تونس
٩ ـ مكس بلانك
١٠ ـ الكحالة

الاسم :
العنوان :